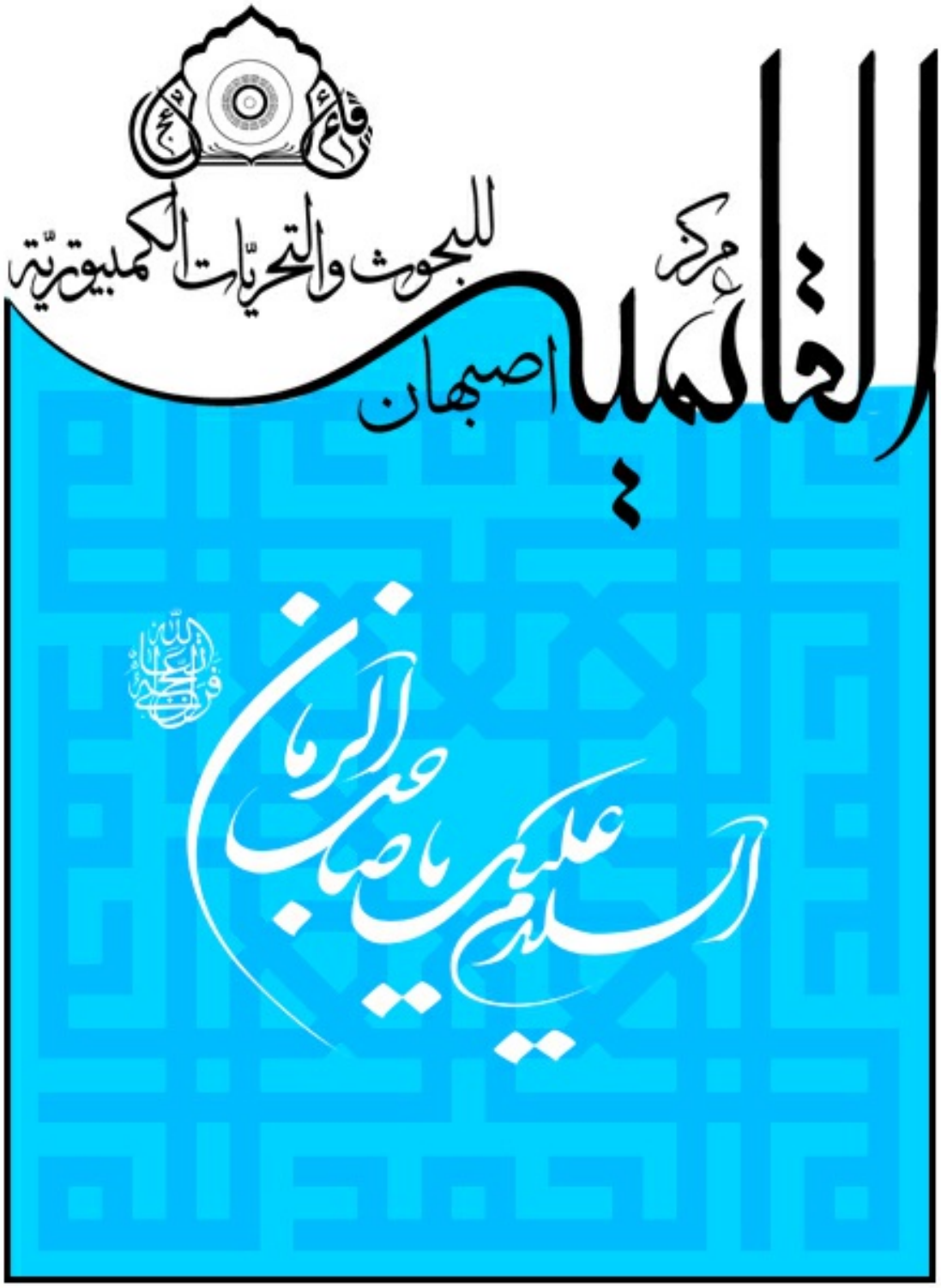

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإمام الحسين بن علي
في الشعر العراقي الحديث

دراسة موضوعية فنية

تأليف

د. علي حسين يوسف

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الحسين بن علي في الشعر العراقي الحديث

كاتب:

على حسين يوسف

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الامام الحسين بن على فى الشعر العراقى الحديث 8

اشارة 8

اشارة 8

الإهداء 13

مقدمة اللجنة العلمية 14

المقدمة 16

التمهيد 20

اشارة 20

أولاً: الرثاء فى اللغة والاصطلاح 22

الرثاء فى اللغة 22

الرثاء فى الاصطلاح 23

ثانياً: رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لمحة تاريخية 26

الباب الأوَّل: الدراسة الموضوعية 44

اشارة 44

الفصل الأول: مراثى الإمام الحسين عليه السلام الاتجاهات العامة والمحاور الموضوعية 46

اشارة 46

أولاً: الاتجاهات العامة 48

توطئة 48

الاتجاه التقليدى 54

الاتجاه التجديدى 63

ثانياً: المحاور الموضوعية 83

الفصل الثانى: مراثى الإمام الحسين عليه السلام الوظائف والأداء 94

اشارة 94
توطئة 96
اشارة 96
أولاً: الوظيفة النفسية 98
ثانياً: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية 112
ثالثاً: الوظيفة السياسية 135
الباب الثانى: الدراسة الفنيَّة 160
اشارة 160
الفصل الأول: البناء الهيكلى 162
اشارة 162
توطئة 164
العنوان والتأريخ 166
مقدمات المراثى 169
الخاتمة 188
مقدمات طفيَّة 192
مراثٍ من دون مقدمات 200
الفصل الثانى: اللغة الشعرية 206
اشارة 206
لغة الشعر 208
اشارة 208
أولاً: الألفاظ 209
الصياغة 221
أساليب التصوير الفنى 232
التصوير الحسى 232
التصوير الذهنى المجرَّد 237

الأسلوب التقريرى فى بناء الصورة 241
الإيقاع 247
الوزن 248
القافية 253
التكرار 260
عناصر إيقاعية أخرى 264
الخاتمة 267
الملحق 273
المصادر والمراجع 293
أولاً: القرآن الكريم 293
ثانياً: المخطوطات 293
ثالثاً: الكتب المطبوعة 293
رابعاً: الرسائل الجامعية 316
خامساً: المجلات 317
المحتويات 319
تعريف مركز 323

الامام الحسين بن على فى الشعر العراقى الحديث

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة 2013 – 344

الرقم الدولى: 9789933489533

يوسف، على حسين.

الإمـام الحسـين بن على فى الشـعر العراقى الحـديث / تـأليف على حسـين يوسف؛ [تقـديم محمـد على الحلو]. ط 1. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، وحدة الدراسات التخصصية فى الإمام الحسين، 1434ق. = 2013م.

271 ص؛ 24 سم. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 106).

المصادر : ص. 243– 268؛ وكذلك فى الحاشية.

1. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 - 61 هـ. - الشعر - تاريخ ونقد. 2. الشعر العربى - العراق - القرن 20 . 3. شعر الرثاء - العراق.

الف. الحلو، محمد على، 1957 – م.، مقدم . ب . العنوان.

PJ 7542 . H8 . y975 2013

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

ص: 3

الإمام الحسين بن على فى الشعر العراقى الحديث

دراسة موضوعية فنية

د. على حسين يوسف

إصدار

وحدة الدراسات التخصيصة فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1434هـ ـ 2013م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: 326499

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

ص: 5

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم

مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيْمُ

سورة الأحزاب

الإهداء

إلى سيِّد الشهداء... الإمام الحسين (عليه السلام)

وإلى روح والدى...

وإلى والدتى، وأفراد عائلتى جميعاً.

على

مقدمة اللجنة العلمية

أنجز الشـعر العراقى الحديث أغراضاً شعرية كربلائية لم يصل إليها جهد شعرى آخر، وإذا توسعت فى مقولتى هذه فسأشمل كذلك الشعر العراقى بزمنه المطلق، وأقيـده من كربلاء الواقعـة حتى يومنا هـذا، وربما يسـتطيع الباحث أن يقف على ما يلتمسه من الشخصـية الشـعرية العراقيـة كونها هى الأقرب مكاناً الى الواقعـة، أى أن الذات الأدبية على تماس مع الحدث الكربلائى حتى أعطى بُعداً آخر للإبداع الفنى أن يأخذ مدياته ضمن أفقٍ مليئ بالتصورات الفنية التى انطبعت بها المخيلة الأدبية العراقية، فالمجاورة المكانية للواقعة أعطت للفن التراتيجدى مساحتهُ فى القصـيدة العراقية، أى أن القطعة الأدبية العراقية احتلت مكانة واسـعةً فى التوصيف بمعنى توصيف الحادثة لما يستشعره الأديب من قداحـة المأسـاة، وبرزت أكثر على القصـيدة الشـعرية التى تميزت بالإبـداع، ومن جـانبٍ آخر فان للقضـية الكربلائيـة خصوصـيها فى اسـتقطاب المخيلة الأدبية لترفدها صوراً تتداعى وتتراكم لتؤسـس صورةً لحدثٍ ما أو موقفٍ معين أو قضيةٍ مأساوية تُسيطر على لُب الشاعر فلا تفارقه حتى تسـتل منه إبداعاً متميزاً، اذن فمأساة كربلاء أرفدت المخيلة الأدبية بصورٍ إبداعية ساهمت فى تعزيز البُنية الشـعرية بشـكلها الإبداعى،

وفى دراسـته الموسومة (الإمام الحسين فى الشعر العراقى الحديث دراسة موضوعية فنية) بذل المؤلف الأستاذ على حسين يوسف وسعه فى استقصاء بعض ما قدمته الحقبة الشعرية الممتدة بين 1900 - 1950، ولعل اختيار الباحث لهذه الحقبة كان موقفاً إذ الجهد الأدبى العراقى بلغ أوج الإبداع وذروة العطاء ولابد أن يكون هذا الإبداع هو حصـيلة المأساة الكربلائية التى ألهمت الشاعر العراقى إبداعات قد لا تتلمسها فى شـعر غيره، أو قد لا تتوقعها فى غرضٍ شـعرى آخر سوى الرثاء الحسينى الذى ألهب النفوس ودفع القرائح الشعرية أن تُعطى ما لا تملكه فى غرضٍ أدبى آخر...

من هنا جاءت أهمية الدراسة و إبداعاتها فهى من ضمن الإبداع الكربلائى الممسوس بواقعة كربلاء.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد على الحلو

المقدمة

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على سـيد المرسـلين، وأشـرف الخلق أجمعين؛ أبى القاسم محمـد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين..

أما بعد:

ففى لحظات الصدق مع الذات ينعدم تقسـيم الزمن على ماضٍ وحاضـر، فالماضـى يتماهى مع الحاضـر، وقد يكون أكثر حضوراً منه، فلا يكون الحاضـر سوى إشراقة من إشراقات ذلک الماضى. هذا الاندماج فى الزمن يفصح عن نفسه فى حضرة العظماء من الشهداء، لتتكشف العلاقـة بين الحى والميت فى رثـاء أولئک الرجال من خلال الارتباط غير المادى الـذى يجمع الأرواح ليكشف عن ديمومـة القيم السامية التى خلَّدوها بدمائهم لتنير الطريق للأحياء.

ولا أدلّ على ذلک من رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) فى الشعر العربى، فهذا الكنز الذى تجاوز مفهوم التراث بموضوعاته ووظائفه وقيمه الجمالية كون بمجموعه ملحمة أدبية خالدة استمدت قوتها من وجود أبطالها على ارض الواقع،

ناهيک عن أن رمز الحسين اته محفوف بكل الابعاد التى تمد نسيج الملحمة بالحياة والروح لما يؤطر لک الرمز من طابع مقدس لذلک لم يعدم الأدب الحسينى الجدَّة والأصالة فى كل زمان ومكان. وقد كان هذا باعثاً من بين بواعث كثيرة فى اختيار المؤلف لمراثى الإمام الحسين موضوعاً لكتابه هذا، الذى خصص لدراسة تلک المراثى فى الشعر العراقى فى النصف الأول من القرن العشرين لعدم وجود دراسة فى هذا الموضوع.

ولمّا كان الكتاب دراسة فى موضوع مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) وفنِّها فقد قسم على بابين سبقهما تمهيد فى فقرتين، ضمَّت الأولى تعريفاً للرثاء فى اللغة والاصطلاح، فيما ضمَّت الثانية تتبعاً لتطور رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) عبر عصور الأدب العربى وصولاً لحقبة الدراسة.

أما بابا الكتاب، فقد كان كل واحد منهما يشتمل على فصلين، خصص الباب الأول منها للدراسة الموضوعية، فكان الفصل الأول منه يبحث فى الاتجاهات العامة لهذه المراثى، وخصائص كل اتجاه، والمحاور الموضوعية التى دارت حولها مراثى هذه الحقبة.

وتناول الفصل الثانى الوظائف النفسية و الاجتماعية والأخلاقية والسياسية فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام).

أما الباب الثانى فقد خصص للدراسة الفنيَّة، وجاء الفصل الأول منه لبحث البناء الهيكلى للمرثيَّة الحسينيَّة، ومعالجة وحدات ذلک البناء (المقدمة والتخلص والخاتمة)، وكان الفصل الثانى من هذا الباب مخصصاً لدراسة اللغة الشعرية،

بمكوناتها (الألفاظ، الصياغة، الإيقاع).

وكانت الخاتمة ملخصاً لأهم النقاط التى برزّها الكتاب، وقد أشفعت بملحق ضمَّ تراجم شعراء المراثى العراقيين وجده المؤلف مكملاً لموضوعه، محققاً فى الوقت نفسه إفادة القارئ الكريم.

وقد انصبَّ عمل المؤلف على تشخيص الظواهر البارزة، ثم محاولة تفسيرها وتعليلها، استناداً إلى نصوص المراثى نفسها، فكان المنهج التحليلى هو المنهج المتبع، مع الإفادة من المناهج البحثيَّة الأخرى، مع التأكيد فى مفاصل الكتاب كله على إبراز طابع الجدَّة فى تناول المسائل المطروحة، وفى تبويب وترتيب تلك المسائل محاولاً أن يكون الكتاب منسجماً عنوانه.

وتماشياً مع المنهج الذى اختاره المؤلف فى تشخيص الظواهر البارزة فقط فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فقد تمَّ التغاضى عن أمور لم يكن تجاهلها مؤثراً فى تقديم الصورة الواضحة لتلك المراثى، مثل العدد القليل من المقطوعات والمربعات والمشطرات والمنظومات، كما تم إهمال الموشحات والمخمسات أيضاً لخروجها عن المعنى المتبادر لمفهوم المراثى الذى ينصرف فى أغلب الأحوال إلى القصائد، فضلاً عن قلَّة عددها فى الحقبة موضوع الدراسة.

أما مصادر الكتاب فقد سعى المؤلف إلى أن تكون موضوعية، ومعروفة فى الأوساط الأكاديميَّة، وذات طبعات جيدة بقدر الإمكان، وقد توزعت على الدواوين والمجاميع الشعريَّة، والمعاجم اللغوية، وكتب النقد القديمة والحديثة، وكتب الأدب وتاريخه، وكتب التحليل النفسى والاجتماعى للأدب، فضلاً عن

كتب الحديث والتاريخ والفلسفة، مما هو مذكور فى قائمة المصادر، ولم يحرم المؤلف كتابه هذا من الرسائل الجامعية.

وعلى الرغم من هـذه المجموعـة الكبيرة من المصادر، فقـد واجهت المؤلف مشـكلة تمثَّلت فى عدم وجود مصادر نقدية وتحليلية لمراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فى الحقبة موضوع الدراسة، لكن تلك المشكلة ذللت أمام الرغبة فى إنجاز الكتاب، والقراءة الموازنة لما كتب عن مراثى الحقب الأخرى.

وحـاول المؤلف الابتعاد عمّا تثيره القضايا العقائديـة التى عالجها شـعراء المراثى بالتعامل معها بموضوعيـة تجنباً لحساسـية تلك القضايا، وذلک بالرجوع إلى مصادر متنوعة، وبعيدة عن الانحياز، مما يجعل القارئ يطمئن شيئاً ما لتوجهات المؤلف.

وقـد بـذل المؤلف ما وسـعه من جهد، وآثر العناء على الراحة، فإن أحسن فذلک بفضل الله، وإن كانت الأخرى فإنَّ كل بنى آدم خطاؤون، وعسى أن يكون عملى هذا قربة إلى الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

اشارة

أولاً: الرثاء فى اللغة والاصطلاح

ثانياً: رثاء الإمام الحسين عليه السلام.. لمحة تاريخية

أولاً: الرثاء فى اللغة والاصطلاح

الرثاء فى اللغة

الرثاء من رثى له: رقَّ له، وأشفق عليه(1)، ورثيت الميت رثياً، ورثاءً، ومرثاةً، ومرثيةً: مدحته، وبكيته(2).

وقد سمع عن العرب قولهم: رثأت الميت (بالهمز)، يريدون المعنى نفسه، بيد أنَّ الفراء عدَّه من الوهم(3)، معللاً ذلک بقوله: "ربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز"(4).

والرثاء عند النقاد القدامى من باب المديح، فهو مدح الميت بألفاظ تدل على أنها لهالک، مثل: كان، وتولى، وقضى نحبه(5).

1- ينظر: العين: 8 / 234، والصحاح: 5 / 1876.

2- ينظر: لسان العرب: 3 / 1582.

3- ينظر: تهذيب اللغة: 15 / 124، ولسان العرب: 3 / 1580، وتاج العروس: 1 / 239.

4- الصحاح: 5 / 1876، ولسان العرب: 3 / 1583.

5- ينظر: نقد الشعر: 118، وكتاب الصناعتين: 148، والعمدة: 2 / 147.

الرثاء فى الاصطلاح

أمـا الرثاء فى الاصـطلاح، فإنَّه: " غرض من أغراض الشـعر الغنائى، يعبر الشاعر فيه عن مشاعر الحزن، واللوعـة التى تنتابه لغياب عزيز فجع بفقده، أو لكارثة تنزل بأمة، أو شعب، أو دولة "(1).

والباعث على الرثاء الحاجة النفسـية المتمثلة فى شـعور الإنسان بالغربة، والوحدة، حينما يفصم الموت أو الفراق عرى ألفته مع الآخرين، أو الأشياء، أو المخلوقات التى اعتاد عليها وألفها، لذا فإنَّ الرثاء لم يقتصر على البشر، وإنما تعداه إلى رثاء الحيوانات(2)، والمدن والدول(3)، والأشياء الأخرى التى يزاولها الإنسان(4).

لـذلك لم يكن الحزن فى الرثاء على درجـة واحدة، " فعلى شدَّة الجزع يبنى الرثاء"(5)، ولهذا وضـعوا ألفاظاً، يدل كل واحد منها على نوع من الرثاء، ومنها: النـدب، والتأبين، والعزاء، فالنـدب عادة ما يطلق على رثاء الأهل والأقارب والأحبـة، ومنه ندب الرسول الكريم وأهل بيته (عليهم السلام)(6).

ويأتى بعد ذلك التأبين، وهو أشبه بالمجاملات الاجتماعية، ومنه تأبين

1- المعجم المفصل فى اللغة والأدب: 1 / 663.

2- ينظر: ديوان الحطيئة: 395، ومقطعات مراث: 91، والأنوار ومحاسن الأشعار: 163.

3- ينظر: التجديد فى الأدب الأندلسى: 58.

4- ينظر: رثاء غير الإنسان فى الشعر العباسى: 20 - 26.

5- العمدة: 2 / 147.

6- ينظر: الصحاح: 1 / 197، وفن الرثاء: 12 - 53، وأدب العرب فى عصر الجاهلية: 133.

الملوک والزعماء والأشراف(1).

أمـا العزاء فهو موقف تأمـل خاص بالشـخص الراثی فی مسائل الموت والمصـیر(2)، لـذلک یمکن أن یعـدَّ تطوراً نوعیـاً للرثاء بعـد أن مرَّ بمراحل تطوریَّة، تمثَّلت بداياتها بتلک التعویذات السحریة والنوائح التی کانت تقام للمیت فی مراسیم طقوسیة صاخبة(3)، ثمَّ أصبح الرثاء یلبی حاجات نفسیة، بوصفه تخلیداً للمیت(4)، ویلبی أیضاً حاجات اقتصادیة من خلال الغزوات الثأریة(5).

ومهما یکن من أمر، فإنَّ الرثاء یعـد من أصـدق أغراض الشـعر فی التعبیر عن مشاعر الإنسان، وأبعـدها عن النفاق والریاء، ولاسـیما إذا کان المیت قریباً أو عزیزاً، وقد ذکر الجاحظ أنَّه "قیل لأعرابی: ما بال المراثی أجود أشـعارکم؟ قال: لأنّا نقول وأکبادنا تحترق"(6)، لذلک فإنَّ من روائع الشعر العربی تلک المراثی التی قیلت فی رثاء الإخوان کمرثیة درید بن الصمَّة(7) التی مطلعها:

(من الطویل)

أرثَّ جدید الحبل من أم معبدِ

بعاقبة أو أخلفت کل موعدِ

1- ینظر: الصحاح: 5 / 1670، وفن الرثاء: 54 - 85.

2- ینظر: أدب العرب فی عصر الجاهلیة: 35.

3- ینظر: الصحاح: 5/1930 وتاریخ الأدب العربی - العصر الجاهلی: 207، والجامع فی تاریخ الأدب العربی: 1 / 146.

4- ینظر: الأدب الجاهلی؛ قضایا، وفنون، ونصوص: 327.

5- ینظر: مقالات فی الشعر الجاهلی: 335.

6- البیان والتبیین: 2 / 320.

7- الأصمعیات: 106، وجمهرة أشعار العرب فی الجاهلیة والإسلام: 466 مع اختلاف یسیر.

ومرثية أوس بن حجر(1)، التى أولها: (من المنسرح)

أيتها النفس أجملى جزعاً

فإنَّ ما تحذرين قد وقعا

وقد قيل فيها: " لم يبتدئ أحد مرثية بأحسن منها "(2). ومنها مرثية الخنساء فى رثاء أخيها صخر(3): (من البسيط)

قذىً بعينيک أم بالعين عوّارُ

أم ذرّفت إن خلت من أهلها الدارُ

ومرثية متمم بن نويرة فى أخيه مالک(4):

(من الطويل)

لعمرى وما دهرى بتأبين مالک

ولا جزع مما أصاب فأوجعا

وقد عدَّ الأصمعى كعب بن سعيد الغنوى فحلاً(5) لمرثيته البائية فى أخيه أبى المغوار(6):

(من الطويل)

فقلت:ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرةً

لعلَّ أبا المغوار منک قريبُ

إنَّ صدق العاطفة فى هذه المراثى يمكن أن يكون تعبيراً عن الحالة النفسية التى تعترى الإنسان العربى حينما يصاب بفقد من يشد به أزره، ويقوى ساعده فى مواجهة حياة الصحراء التى لا ترحم.

1- ديوان أوس بن حجر: 48.

2- الشعر والشعراء: 3.

3- ديوان الخنساء: 41.

4- المفضليات: 150، وطبقات فحول الشعراء: 1 / 209.

5- ينظر: فحولة الشعراء: 27.

6- طبقات فحول الشعراء: 1 / 212.

ثانياً: رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لمحة تاريخية

بعد واقعة الطف بكربلاء سنة 61ه_(1)، تملّك المسلمين شعورٌ بالحيرة والذهول لهول ما فعلته السلطة الأمويَّة، حينما أقدمت على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه فى مشهد دامٍ، فكان الناس آنذاك بين نادمٍ لعدم نصرته الإمامَ، وبين خائف من عقاب إلهى وشيك، وبين حانق على الأمويين، خائف من بطشهم.

ولم يكن خافياً على أحد من المسلمين ما كان للحسين (عليه السلام) من منزلة عظيمة، مستمدة من منزلة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، لاسيما أنَّ الحوادث دلَّت على شدة تعلّق النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بابن بنته، وتأكيده المستمر على أنَّ الحسين (عليه السلام) امتدادٌ طبيعى لشخصه الكريم، وقد تجسَّد ذلك فيما تواتر عنه من قوله:

"حسين منى وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، الحسين سبط من الأسباط"(2).

1- ينظر فى مقتل الحسين (عليه السلام): الأخبار الطوال: 339، وتاريخ اليعقوبى: 2 / 169، وتاريخ الطبرى: 3 / 451، ومروج الذهب: 3 / 68، وكتاب الفتوح: 5 / 183، ومقاتل الطالبين: 113، والإرشاد: 113، والتاريخ الكبير: 4 / 326، وتاريخ مدينة دمشق: 14 / 111، والكامل فى التاريخ 4 / 46، والمنتظم: 4 / 61، ومختصر تاريخ دمشق: 7 / 136، والمختصر فى أخبار البشر: 1 / 190، والبداية والنهاية: 4 / 119، والفصول المهمة: 168، وتاريخ الخلفاء: 207، وكنز العمال: 12 / 56، وشذرات الذهب: 1 / 121، ونور الأبصار: 194.

2- سنن ابن ماجه: 34، والمعجم الكبير: 3 / 33، والفصول المهمة: 169، والتوشيح: 6 / 2372، وكنز العمال: 12 / 53، وفيه: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط..) والتاج الجامع للأصول: 3 / 359، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى: 10 / 190.

فإنَّ المعنى المتبادر من التعبير (منى وأنا منه) يفيد شمولية الامتداد لعموم الصفات بين الشخصيتين المقدستين، ما عدا النبوَّة، فكان من الطبيعى أن يكون لمقتل سبط النبى بالطريقة التى قتل فيها، ذلك الوقع المؤلم فى نفوس المسلمين، فإنَّ ما روى فى كتب التاريخ والحديث يشير إلى عمق الفاجعة، وشدَّة الحزن الذى أصاب المسلمين باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى درجة تجاوز حدود البشرية ليشمل الوجود كلَّه.

فقد روى أنَّ الجدران - بعد مصرع الإمام - كأنَّما تلطخ بالدماء ساعة تطلع الشمس(1)، وأنَّ السماء والأرض والجن والملائكة كانت تبكى على الإمام الشهيد(2)، وأنه ما رفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط(3)، وغيرها من الأخبار(4).

ولم تقتصر تلك الأخبار على ما قيل من روايات تاريخية، بل تجاوزته إلى رواية الشعر، فقد نسبت كثير من الأشعار التى قيلت فى الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاده إلى مصادر غيبية، فقد روى أنَّ هاتفاً سمع ليلة مقتل الحسين (عليه السلام) يقول(5): (الخفيف)

أيها القاتلون جهلاً حسينا

أبشروا بالعذاب والتنكيلِ

1- ينظر: تاريخ الطبرى: 3 / 448، والكامل فى التاريخ: 4 / 90، ومختصر تاريخ دمشق: 7 / 149، والفصول المهمة: 194.

2- ينظر: التاريخ الكبير: 4 / 338، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال: 1 / 251، والصواعق المحرقة: 2 / 568، وعيون أخبار الرضا: 2 / 268.

3- ينظر: مختصر تاريخ دمشق: 7 / 149، والصواعق المحرقة: 2 / 568.

4- ينظر: كل ما فى الكون يبكى الحسين: 13.

5- ينظر: تاريخ الطبرى: 3 / 487، والكامل فى التاريخ: 4 / 90، والإرشاد: 548.

ومن ذلک ما قیل فی البیت المشهور(1): (من الوافر)

أترجو أمة قتلت حسیناً

شفاعة جده یوم الحسابِ

ویمکن أن تکون هذه الأشعار، وغیرها مما روی للجن والهواتف دلیلاً علی عمق الفاجعة، وشدة أثرها فی نفوس المسلمین، وصورة واضحة تعبر عن حزنهم، وعدم تصدیقهم للأحداث التی وقعت للحسین، وأهل بیته (علیهم السلام) بکربلاء، کما مثلت خوفهم من بطش الدولة الأمویة بهم فی حال المجاهرة الصریحة برثاء الإمام.

لذا إنَّ من غیر المستبعد أن تکون هذه الأشعار لشعراء خافوا علی أنفسهم، وأسرهم من غضب السلطة، وقد لاحظ أبو الفرج الأصفهانی ذلک حینما قال: " وکانت الشعراء لا تقدم علی ذلک [أی رثاء الإمام الحسین] مخافة من بنی أمیة، وخشیة منهم"(2)، مما جعل أولئک الشعراء یتوسلون بوسائل تستحق الإعجاب، مثل اشراک عالم الغیب، أو نسبة الشعر إلی الجن والهواتف.

ومهما یکن من أمر فإنَّ تلک الأشعار المنسوبة إلی عالم الغیب أصبحت جزءاً من التراث لا یمکن تجاهله، لما یحمله من قیم تاریخیة وفنیة، فضلاً عن أبعاده الإنسانیة والأخلاقیة، ومن هنا کان بحاجة إلی دراسة موضوعیة لإظهار وکشف تلک القیم، ولبیان ظروف نشأته وأسبابها.

وقد واکب الشعر الحدث الحسینی، منذ مقتل الإمام (علیه السلام) فی

1- ینظر: الطبقات الکبری: 42، وفیه أنَّ قلماً من حدید خرج علی قتلة الإمام فی أول مرحلة لهم فی أثناء عودتهم إلی الشام وهم یشربون الخمر فی إحدی الکنائس.
2- مقاتل الطالبیین: 121.

كربلاء فكان استذكاراً لهذا الحدث، يعتمد على صياغة الحقيقة التاريخية بقوالب فنية معبرة، تعيد صورة الماضى البطولى، وتؤجج مشاعر المتلقى، جاعلة من أحداث كربلاء صوراً مليئة بالايحاءات والدلالات، رابطة إياها بزمن المتلقى(1)، فكان للأدب العربى من ذلك ثروة لا تقدَّر(2).

ومن الطبيعى أن تكون بداية رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) تلك المقطوعات التى نسبت لأفراد من البيت النبوى، مثل السيدة زينب بنت على(3) (عليهما السلام)، والسيدة سكينة بنت الحسين(4) (عليهما السلام)، والسيدة الرباب زوجة الإمام(5) (عليه السلام)، فهؤلاء النسوة كنَّ جزءاً من وقائع المأساة، وأول المفجوعات بفقد سيدهنَّ، فلا نستبعد صحَّة نسبة تلك المقطوعات إليهنَّ، لاسيما أنها دلَّت بألفاظها الرقيقة، ومعانيها الحزينة، وصورها المؤثرة على شدَّة الجزع الذى ألمَّ بأهل البيت (عليهم السلام)، فضلاً عمّا عرف عن العرب من شاعريَّة، ولاسيما فى أوقات الشدائد، فقد يصدر البيت والبيتان والمقطوعة، وربما القصيدة من غير الشعراء فى مثل تلك الظروف، فما بالك بأهل البيت النبوى، معدن الفصاحة والبيان.

وكان لمشاعر الظلم والندم التى أصابت نفوس المسلمين، ولاسيما التوابون

1- ينظر: الحسين رمزاً فى الشعر العراقى المعاصر، عبد الحسين شهيب (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة القادسية، 2006: 8.

2- ينظر: أثر التشيع فى الأدب العربى: 90.

3- ينظر: ينابيع المودة: 3 / 85.

4- ينظر: الأغانى: 14 / 165.

5- ينظر: أمالى الزجاجى: 168.

الـذين نـدموا على عـدم نصـرتهم الإمـام (عليه السـلام) دورٌ مهمٌ فى تطويع الرثاء لأغراض تجاوزت الحزن والتفجع إلى الرفض والمطالبة بالثورة، الأمر الذى كان طابعاً مميزاً لمراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام) إلى يومنا هذا، فبعد مصرع الإمام وصحبه قال عبيد الله بن الحر الجعفى(1): (من الطويل)

يقول أميرٌ غادرٌ حقَّ غادر

ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمهْ!

فيا ندمى ألاّ أكون نصرته

ألا كلّ نفسٍ لا تسَّدد نادمهْ

وإنى لأنى لـم أكن من حماته

لذو حسرة ما ان تفارق لازمهْ

سقى الله أرواح الذين تآزروا

على نصره سقياً من الغيث دائمهْ

.....

فإن يقتلوا فكلَّ نفس تقيةٍ

على الأرض قد أضحت لذلک واجمهْ

وما ان رأى الراؤون أفضل منهم

لدى الموت سادات وزهراً قماقمهْ

أتقتلهم ظلماً وترجو ودادنا

فدع خطة ليست لنا بملائمهْ

لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم

فكم ناقم منا عليكم وناقمهْ

أهمَّ مراراً أن أسير بجحفلٍ

إلى فئة زاغت عن الحق ظالمهْ

فكفوا وإلاّ ذدتكم فى كتائبٍ

أشدّ عليكم من زحوف الديالمهْ

هـذه المعانى الرافضـة لظلم السـلطة، والتى كانت نتيجة للشـعور بالظلم والإحباط، كانت الأساس فى إشـعار الأمة بأنَّ قوى الخير سـتظلّ مستهدفة ما لم تكن هناك وقفة تحدٍ، وهو ما تجسَّد فعلياً على أرض الواقع بالثورات الكثيرة التى قامت بوجه الأمويين بعد وقعة كربلاء. لذا يمكن القول أنَّ عبيد الله بن الحر

1- تاريخ الطبرى: 3 / 489.

الجعفى " هو الذى وضع لمن جاء بعده من الشعراء التقاليد الفنية لرثاء الحسين، وأنه هو الذى مهد لهم الطريق، وذلل مناكبه، حتى أصبح رثاء الحسين موضوعاً أساسياً من موضوعات الأدب الشيعى "(1).

ويلاحظ على المراثى التى أعقبت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) أنَّها فى الغالب كانت مقطوعات، أو قصائد قصيرة، من دون مقدمات، وهى ظاهرة طبيعية فى وقت كانت عيون السلطة الأموية ترقب كلَّ من تشك فى ولائه لها، فربما كان خوف الشعراء وراء عدم إطالتهم القصائد، ثمَّ إنَّ تلك المراثى كانت استجابة انفعالية تعبر عن لحظات الحزن فى نفوس أشجاها الأسى لما حصل لآل البيت النبوى، وألهبتها ثورة الرفض والاستنكار للفعل الشنيع الذى ارتكبته حكومة يزيد(2)، فإنَّ تلك المراثى كانت استجابة للحظتها الراهنة، فهى إما أن تكون صادرة عن موالٍ محب، أو قريب مفجوع من أهل البيت، فالوقت الذى أعقب الفاجعة، ليس وقت إطالة وتكلف، ولا هو وقت تفنن وتزويق، فالنفوس حزينة، والعبرات حرّى.

ويمكن أن يكون الإطار العقائدى لمأساة كربلاء، الذى لم يتبلور بعد فى تلك الحقبة سبباً فى عدم وجود قصائد مكتملة كما آل إليه حال المراثى فيما بعد.

ومن الخير أن لا نستبعد فقدان قصائد كاملة ربما قيلت فى تلك الحقبة، كما فقد كثير من كنوز تراثنا العربى، وقد يعزز ما ذهبنا إليه تصريح أبى الفرج

1- حياة الشعر فى الكوفة: 379.

2- ينظر: مراثى الإمام الحسين فى العصر الأموى، دراسة فنية، مجبل عزيز جاسم، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب - جامعة الكوفة، 2005: 15.

الأصفهانى حينما قال: " وقد رثى الحسين جماعة من متأخرى الشعراء... أما من تقدَّم فما وقع إلينا شيء مما رثى به... "(1).

وقد أعقب هذه المرحلة – مرحلة المقطعات والقصائد غير المكتملة - مرحلة أخرى، نلحظ فيها أنَّ رثاء الإمام الحسين كان ضمن قصائد مكتملة البناء، ومستوفية لشروط القصيدة التقليدية، لكنه لم يكن غرضاً مستقلاً بذاته، إنما كان ضمن موضوع عام يتضمن مأساة (آل هاشم) عامة، وكان الشاعر الكميت بن زيد الأسدى خير ممثل لهذه المرحلة فى قصائده التى عرفت ب (الهاشميات)(2)، والتى أظهر فيها ولاءه وإخلاصه لآل بيت النبى ورثاء شهدائهم.

ومما اشتهر من تلك القصائد (الهاشميات) بائيته المعروفة، ومطلعها(3):

(من الطويل)

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ

ولا لعباً منى وذو الشيب يلعبُ

وقد ضمنها أبياتاً فى رثاء سيد شباب أهل الجنة، منها(4):

قتيلٌ بجنب الطف من آل هاشمٍ

فيا لك لحماً ليس عنه مذبَّبُ

ومنعفر الخدين من آل هاشم

ألا حبذا ذاك الجبين المترَّب

قتيل كأنَّ الولّه العفر حوله

يطفن به شم العرانين ربربُ

1- مقاتل الطالبيين: 122.

2- ينظر: شرح الهاشميات: 36، والإمام الحسين (ع) عملاق الفكر الثورى: 354

3- شرح الهاشميات: 36، وفيه: هامش 1: إنَّ عجز البيت يروى (أذو الشيب)، ويمكن أن تكون الهمزة محذوفة لجواز ذلك. ينظر: المعجم المفصل فى اللغة والأدب: 1 /12.

4- شرح الهاشميات: 50.

ويتجلى فى الأبيات المتقدمة صدق العاطفة، والتحسر بادٍ فيها، وهى سمات تكاد تشترك فيها أغلب مراثى الإمام الحسين فى هذه الحقبة - أى حقبة الدولة الأموية(1) - فإنَّ أغلبها صدر عن شعراء عرفوا بشدة ولائهم وتمسكهم بمنهج أهل البيت، من دون أن تكون هناك دوافع مادية تدفعهم، فهذا الكميت يجيب الإمام الباقر (عليه السلام) حينما أجازه على ما نظمه فى أهل البيت قائلاً: " والله ما أحببتكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه، ولكنى أحببتكم للآخرة"(2)، فعلاقة الشاعر بأهل البيت علاقة أخروية أكثر مما هى دنيوية(3).

وكان أسلوب الشعراء يختلف باختلاف الباعث، فحين يحملون على الأمويين يكون قوياً، وإذا جادلوا كان هادئاً(4)، وكان هذا دأب الشعراء برغم قسوة السلطة، وملاحقتها لكل من تظن به الولاء لأهل البيت والإخلاص لهم، ففى الوقت الذى كانت فيه منابر بنى أمية تجهر بسب على(5) (عليه السلام) كانت حناجر محبيه تصدح بالولاء له، وكانت واقعة كربلاء النشيد الحزين، وترنيمة الأسى لقلوب فجعت بفقد الحسين، وأهل بيته الأطهار، فكان الرثاء يصدر عن تلك القلوب " ملتاع الزفرات، ملتهب العبرات، لأنه صادر عن حب ووفاء "(6).

1- ينظر: أدب السياسة فى العصر الأموى: 189.

2- الأغانى: 15 / 118.

3- ينظر: طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى، د. على كاظم المصلاوى، (بحث / مجلة جامعة كربلاء، العدد 4،2007): 193.

4- ينظر: أدب السياسة فى العصر الأموى: 190.

5- ينظر: العقد الفريد: 5 / 27، والنصائح الكافية: 71.

6- أدب السياسة فى العصر الأموى: 161.

وقـد حافظت مراثی الإمام الحسـین فی العصـر الأموی علی أکثر عناصـر الرثاء الجاهلی أصالـة، مثل التفجع علی المیت، والمطالبة بأخذ الثأر، لأنَّ من عادة الشعراء فی هذا العصر " أن ینسجوا علی منوال الأولین "(1)، وان کان الثأر الجاهلی مرفوضاً فی الاسلام لذلک تمیز فی مراثی الإمام الحسـین بصدق العاطفة، المسـتندة إلی العقیدة التی ترسخت فی أذهان الشعراء، والتی تبلورت بفعل الثورة الحسینیة، فکانت الملامـح العقائدیـة فی تلک المراثی تتجسـد فی الاحتجاج علی الخصم، والقول بالرجعـة، أملاً فی عودة الإمام لیقتصَّ من أعدائه، والقول بالتقیَّة(2). وکان ذلک واضـحاً فی مراثٍ کثیرة لشـعراء حرکت فاجعة کربلاء مشاعرهم فراحوا یبکون سـید الشهداء، ویعلنون سخطهم علی الأمویین، مثل سلیمان بن قتة(3)، وعوف بن عبد الله الآزدی(4)، وأبی الأسود الدؤلی(5)، وأبی دهبل الجمحی(6).

وفی العصـر العباسـی، کانت المراثی الحسـینیة صوراً صادقـة لنقل ما جری فی کربلاء، بشـکل مؤلم، ومثیر، یسـتثیر الدموع، ویوقد اللوعة والحزن فی النفوس.

یقول منصور النمری(7): (من الوافر)

1- تاریخ الآداب العربیة من الجاهلیة وحتی عصر بنی أمیة: 314.

2- ینظر: أدب السیاسة فی العصر الأموی: 166، 182.

3- ینظر: مقاتل الطالبیین: 121، وشرح الحماسة للمرزوقی: 2 / 961، ومروج الذهب: 3 / 79، والکامل فی التاریخ: 4 / 91.

4- ینظر: معجم الشعراء للمرزبانی: 126.

5- ینظر: دیوان أبی الأسود الدؤلی: 156، 296.

6- ینظر: دیوان أبی دهبل الجمحی: 60.

7- زهر الآداب: 3 / 705.

فدت نفسی جبینک من جبینِ

جری دمه علی خدٍ أسیلِ

أیخلو قلب ذی ورع ودینِ

من الأحزانِ والألم الطویلِ

وقد شَرَقَت رماحُ بنی زیادٍ

بری من دماء بنی الرسولِ

بتربة کربلا لهم دیارٌ

نیام الأهل دارسة الطلولِ

فأوصال الحسین ببطن قاعٍ

ملاعب للدبور وللقبولِ

فقد حاول الشاعر ربط الورع والدین بالحزن علی الحسین، إیماناً منه بأنَّه یمثل الإسلام بأکمله.

أما السید الحمیری فقد قال فیه الدکتور طه حسین: " ولعلَّ شیعة العلویین لم یظفروا بشاعر مثله فی حیاتهم السیاسیة کلها، وقف علیهم عمره وجهده، وکاد یقف علیهم مدحه وثناؤه، مخلصاً فی ذلک کله إخلاصاً لا یشبهه إخلاص"(1)، فمن رثائه للإمام الحسین (علیه السلام) قوله(2): (مجزوء الکامل)

أُمرُ علی جدث الحسی_

_ن وقل لأعظمه الزکیهْ

یا أعظماً لا زلت من

وطفاء ساکبة رویَّهْ

.....

قبر تضمَّن طیِّباً

آباؤه خير البريَّةْ

آباؤه أهل الريا

سة والخلافة والوصيَّةْ

فقد ضـمَّن الشاعر أبياته مفاهيم مثل (الخلافة، والوصـية)، ويبدو أنَّ هذا الأمر كان مسألة طبيعية فى عصـر تبلور فيه مذهب آل البيت، وكثر فيه الجدال

1- حديث الأربعاء: 2 / 240.

2- ديوان السيد الحميرى: 470.

الفكرى بين الفرق الإسلامية لإثبات صحة معتقداتها فى الدين والسياسة.

وكـانت تائيـة دعبـل بن على الخزاعى من أجمـل القصائـد التى رثى بها الإمام (عليه السـلام)، حتى إنَّ ابن المعتز وصـفها بأنها أشـهر من الشمس(1)، وقال فيها أبو الفرج الأصفهانى بأنها من أحسن الشعر، وأفخر المدائح فى أهل البيت(2)، ومطلعها(3): (من الطويل)

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ

ومنزل وحى مقفر العرصاتٍ

ومنها قوله فى رثاء الحسين(4) (عليه السلام)

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً

وقد مات عطشاناً بشط فراتِ

إذن للطمت الخدَّ فاطم عنده

وأجريت دمع العين فى الوجناتِ

أفاطم قومى ياابنة الخير واندبى

نجوم سماوات بأرض فلاةِ

ومما يميز المراثى الحسـينية فى هذا العصـر تلك الوفرة من القصائد التى قيلت فى رثاء الحسـين (عليه السـلام)، وقد كان تشـجيع الأئمة، ورعايتهم للشعراء، عاملاً مهماً فى ذلك.

فقد روى أنَّ الإمام على بن موسـى بن جعفر الرضا (ت 150ه) حينما دخل عليه الشاعر دعبل، طلب منه أن ينشـده تائيته التى تقدم ذكرها فأنشده إياها، فبكى الإمام حتى أغمى عليه، ثمَّ قال للشاعر أحسنت ثلاث مرات، وأمر له بمكافأة

1- ينظر: طبقات الشعراء لابن المعتز: 267.

2- ينظر: الأغانى: 18 / 29.

3- ديوان دعبل الخزاعى: 131، وأخبار شعراء الشيعة: 99.

4- ديوان دعبل الخزاعى: 135.

كبيرة(1).

ونجد أيضاً فى تلك المراثى معارضة واضحة للسلطة العباسية تصل أحياناً إلى درجة التحدى، فهذا دعبل يهجو ويسخر من بنى العباس، على الرغم من قوة بطشهم وقد قال يوماً: " أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ أربعين سنة، فلا أجد أحداً يصلبنى عليها "(2)، مما يدل على أنَّ العقيدة الثابتة فى نفوس الشعراء، كانت تجد صداها فى مراثيهم فى أهل البيت عامة، والإمام الحسين خاصة، فقد كان هؤلاء الشعراء يرون " أنَّ العباسيين اغتصبوا الخلافة من العلويين "(3)، لاسيما أنَّ العباسيين أقاموا دولتهم تحت شعار الرضا من آل محمد، لكن سياستهم كانت بخلاف ذلك، فقد ذكر أنَّ آل أبى طالب كانوا " فى محنة عظيمة، وخوف على دمائهم، قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد "(4).

لذا كثر الاحتجاج والجدال السياسى فى هذا العصر، فانعكس على مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)(5)، مما ميزها بالسهولة والوضوح، وضمنها مفاهيم ومصطلحات عقائدية كالإمامة، والإمام، والوصاية، والمهدى(6)، لكن أهم ما يميز مراثى الإمام الحسين فى هذا العصر أنها وصلت إلى تكامل مستوياتها البنائية،

1- ينظر: الأغانى: 18 / 29، وعيون أخبار الرضا: 1 / 154.

2- مختار الأغانى: 3 / 527، وشخصيات كتاب الأغانى: 270، وفيه: (خمسين سنة).

3- التشيع وأثره فى العصر العباسى ألأول: 104.

4- مروج الذهب: 4 / 149.

5- ينظر: التشيع وأثره فى العصر العباسى الأول: 110 - 115.

6- ينظر: م. ن: 17.

وظهرت القصيدة الكاملة فى رثاء الحسين (عليه السلام) بعد ما كان رثاؤه متداخلاً مع رثاء أهل البيت، أو على شكل مقطوعات ونتف، ونجد ذلك واضحاً عند شاعر أهل البيت الكبير الشريف الرضى، إذ اكتسبت المرثية عنده صورتها المتكاملة، "فجاءت متكاملة البناء والنسيج... وكانت وحدات البناء الهيكلى مترابطة بشكل كلى"(1)، وبدل الطلل القديم ليكون طللاً متجدداً، حياً، نابضاً بالمعانى الروحية، والسمو المتجدد، يقول الشريف الرضى(2): (من الكامل)

قف بى ولو لوثَ الإزار فإنما

هى مهجة علق الجوى بفؤادها

بالطف حيث غدا مراق دمائها

ومناخ أينقها ليوم جلادها

فالقصيدة من أولها إلى آخرها كربلائية النفس، حسينية المعانى، الأطلال فيها طفوف كربلاء، ويوم التنائى يوم عاشوراء، وسبب أرق الشاعر مأساة الحسين " لقد طوع الشاعر الموروث الشعرى القديم ليصوغ بنية جديدة، وطللاً جديداً هو أسمى وأعمق من طلل الجاهلى الذى وقف وبكى واستبكى، وسأل الطلل، ولم يجبه"(3) راسماً بذلك الملامح الأساسية لبنية المرثية الحسينية التى أصبحت مثالاً طالما سار عليه الشعراء فيما بعد.

لقد تهيأت الدوافع المناسبة لنضوج المرثية الحسينية فى هذا العصر، فالدافع العاطفى المتمثل بتأثر الشعراء بمأساة الحسين (عليه السلام)، والدافع النفسى

1- طفيات الشريف الرضى:35.

2- ديوان الشريف الرضى: 1 / 280 - 281.

3- طفيات الشريف الرضى، د. على المصلاوى (بحث / مجلة بابل للعلوم الإنسانية، العدد10، لسنة 2007): 35.

المتمثل بالشعور بالظلم والإحباط، والدافع السياسى الذى تمثل بإحساس الشعراء أنهم جزء من المعارضة للحكومة العباسية، تلك الدوافع شكلت صورة مكتملة للمرثية الحسينية من جهة الموضوع والفن(1).

وفى العصور المتأخرة لم تسلم مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) مما أصاب الشعر العربى عامة من وهن وضعف(2)، بيد أنَّ ذلک لم يحل دون وجود شعراء مجيدين(3) حافظوا على الوجه المشرق للشعر العربى، منهم الشيخ على الشفهينى(4)، وابن العرندس الحلى(5)، صاحب الرائية المشهورة فى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، ومنها قوله(6): (من الطويل).

أيقتل ظمآناً حسينٌ بكربلا

وفى كل عضو من أنامله بحرُ

ووالده الساقى على الحوض فى غدٍ

وفاطمة ماء الفرات لها مهرُ

فيا لهف نفسى للحسين وما جنى

عليه غداة ألطف فى حربه الشمرُ

أما فى العصر الحديث فقد عرف عدد من الشعراء برثائهم لسيد الشهداء، كان من بينهم السيد حيدر الحلى الذى عرف بجودة رثائه للإمام الحسين، حتى

1- ينظر: رثاء الإمام الحسين فى العصر العباسى، دراسة فنية، احمد كريم علوان (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2008): 26.

2- ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: 2 / 122.

3- ينظر: أدب العصور المتأخرة: 23.

4- ينظر: أدب الطف: 4 / 145، والبابليات: 1 / 93، والحسين فى الشعر الحلى: 43.

5- ينظر: أدب الطف: 4 / 284، والطليعة من شعراء الشيعة: 1 / 420، ومعجم شعراء الحسين: 3 / 437.

6- ينظر: أدب الطف: 4 / 285، ومعجم شعراء الحسين: 3 / 437، وفيه: (فوا لهف نفسى).

قيل فيه: " لقد ناح جده الإمام الحسين وأولاده الأئمة من بعده نوح الثكالى "(1)، ومن مشهور رثائه قصيدته(2): (من الرمل)

عثر الدهرُ ويرجو أن يقالا

تربتْ كفّک من راجٍ محالا

والحلى فى هـذه المرثيـة ومراثيه الأخرى كان صادق العاطفة بقدر إجادته فى تقديم النموذج الراقى لمراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام)، كما وصلت إليه من أسلافه الشعراء، مضيفاً لمساته الإبداعية التى أكدت تفوقه فى هذا الفن.

وعلى الرغم مما أصاب مراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام) فى العصور المتأخرة ومطلع هـذه الحقبـة من ركاكـة الأسـلوب، والإفراط فى الصـنعة البديعيـة، واللحن فى الإعراب، ووجود المفردات الدخيلة(3)، فقـد كانت تلک المراثى تعبر عن مرحلتها التاريخيـة، مثلما كانت دليلاً على بقاء الذكرى الحسينية حيَّة فى ضمائر الجماهير حتى فى أحلک الظروف، فان الثورة الحسينية ظلت قوية فى نفوس الناس وكانت حية الى ان وصلت الى العصر الحديث.

مما تقدَّم يمكن ملاحظة أنَّ مراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام) منذ استشهاده حتى العصر الحديث قد مرَّت بأكثر من مرحلة من التطور فى الشكل والمضمون، فمن ناحية الشكل كانت المرثية الحسينية فى بادئ الأمر مقطوعة أو

1- تطور الشعر العربى الحديث فى العراق: 42.

2- ديوان السيد حيدر الحلى: 1 / 100.

3- ينظر: شعر رثاء الإمام الحسين فى العراق ابتداءً من سنة 1100 ه حتى 1350ه، دراسة فنية، خالد كاظم حميدى، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة الكوفة، 2007: 200 - 202.

قصـيدة قليلة الأبيات، غير مكتملة البناء الفنى، وكانت تلك المقطوعات وليدة ظرف خاص أعقب مصـرع الإمام (عليه السلام)، ثمَّ تطوَّرت إلى قصائد مكتملة، كان رثاء الإمام الحسـين جزءاً من موضوع يشـتمل على مواساة أهل البيت عامة، لكننا بعد ذلک وفى العصر العباسى، وعند الشريف الرضى خاصة، نجد أن تلک المراثى أخذت شكلها النهائى من جهة البناء، لتكون أنموذجاً يحتذيه شعراء المراثى فيما بعد.

أما من ناحية المضـمون، فقد مرَّ أن المقطوعات التى قيلت فى الإمام بعد مصـرعه كانت صوتاً مدوياً للرفض والاستنكار والتشنيع على قتلة الإمـام، وكانت صورة معبرة عن نـدم آخرين ممن لم يشترک فى المعركـة، ثمَّ تطوَّر موضوع المراثى فى القصائـد التى نظمت فى أهل البيت عامـة لبيان مظلوميتهم، وحقوقهم المغتصـبة، كما فى الهاشـميات. وقـد اتسع الموضوع بعد ذلک ليكون حجاجاً ومخاصـمات مبنية على أسس عقائدية.

وبعـد أن اسـتقرَّت المرثيـة الحسـينية فى العصـر العباسـى، والعصور التى تلته أصـبح موضوع الرثاء يشـتمل على الحزن لما أصاب الإمام الحسين (عليه السلام)، وإظهار الشاعر ولاءه، وطلب الشفاعة، واستنهاض الإمام المهدى ومعالجة الشعراء قضايا أمتهم فيما بعد.

الباب الأوَّل: الدراسة الموضوعية

اشارة

الفصل الأول: مراثی الإمام الحسین علیه السلام الاتجاهات العامة والمحاور الموضوعیة

اشارة

أولاً: الاتجاهات العامة

توطئة

كانت مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فى النصف الأول من القرن العشرين نتاج أمرين، هما:

1. إنَّ تلك المراثى كانت امتداداً طبيعياً لما سبقها من مراثٍ فى العصور السابقة.

2. ارتباطها بالمرحلة التاريخية التى مرَّ بها العراق فى الحقبة المحصورة بين 1900 - 1950 م.

لـذا كـان من الطبيعى أن تتضـمن تلـك المراثى سـمات كثيرة من الموروث الشـعرى، فى الوقت التى كـانت تمثـل صورة لواقع اجتماعى وسياسى، كان بمنزلة الحاضنة الفكرية للشعراء.

وربما لا يمكن الجزم بترجيـح أحـد هـذين العاملين على الآخر فى قوَّة حضوره وشدَّته فى مراثى هذه الحقبة، ولعلَّ ما موجود - بين أيدينا - من مراثٍ

نظمت خلال هذه السنوات الخمسين يسمح بالقول: إنَّ تلک المراثی کانت کالبوتقة التی انصهر فیها الماضی بالحاضر.

ولیس من المستبعد أن یشعر القارئ لمراثی السید مهدی الطالقانی، و الشیخ کاظم آل نوح، و عبد الحسین الحویزی، وکاظم سبتی، والسید رضا الموسوی الهندی، وقاسم حسن محیی الدین، وباقر حبیب الخفاجی، وکأنَّه یقرأ مراثیَ للکمیت، أو الشریف الرضی، أو السید حیدر الحلی، فربما تشابهت الأفکار، والأخیلة، والأسالیب علی الرغم من تباین الظروف، فلا ننسی أنَّ لشعراء الشیعة مدرسة خاصة تمیزت بالنفس العربی الخالص، وضع رکائزها، وشیَّد أرکانها شعراء کبار أمثال: الکمیت الأسدی، ودعبل الخزاعی، والشریف الرضی، واستمرت فی العطاء إلی یومنا هذا، فلا غرابة بعد ذلک من وجود هذه التقاربات الموضوعیة والفنیة بین شعرائها(1).

وفی الوقت نفسه، فإنَّ الدلیل لا یعوزنا فی وجود عشرات المراثی فی هذه الحقبة، التی کان للحاضر صداه الکبیر فی تعابیرها، وصورها، وأسالیبها، لکن الشعراء فی کلتا الحالین کانوا یعبرون عن إیمانهم بمبادئ الثورة الحسینیة، وسیتضح ذلک أکثر فی الفصل الثانی من هذا الباب.

وإذا کانت المراثی الحسینیة فی النصف الأول من القرن العشرین تمثل امتداداً لما سبقها من مراثٍ فی القرون الماضیة، والقرن التاسع عشر خاصة، فإنَّ ذلک یمکن أن یکون نتیجة طبیعیة للتقارب الزمنی بین الحقبتین، وامتداد الثقافة

1- ینظر: لغة الشعر بین جیلین: 25.

التقليدية - ثقافة المساجد والشيوخ - ولأنَّ عدداً من الشعراء الذين أمضوا شطراً من حياتهم فى القرن العشرين قد تكونت ثقافتهم فى أجواء القرن التاسع عشر، فاستمروا فى المحافظة على أساليبه، وتقاليده الأدبية. وثمَّة أمر لا بدَّ من الإشارة إليه، وهو ذلك الميل الفطرى فى الإنسان لكل ما هو قديم، فالماضى يظهر فى أغلب الأحوال بتلك الصورة المثالية فى نظر الكثيرين، ولاسيما حين لا يلبى الحاضر طموحات الإنسان، ثمَّ إنَّ الجديد قد يتطلَّب كدّاً ذهنياً لتفهمه، وفضلاً عن ذلك فإنَّ " الإنسان مجبول على إيثار الراحة وحب الهدوء، فإنَّه يكون دون ريب مجبولاً على نبذ الجديد ضناً براحته، وحرصاً على هدوئه "(1).

ومهما يكن من أمر، فإنَّ مسألة القديم والجديد من الأمور النسبية، فما نعده اليوم جديداً سيصبح قديماً لا محالة بمرور الأيام، وما من جديد إلا وقوبل بالرفض أول أمره، قال أحد الكتّاب: " نعم لقد كانت بعض التقاليد فى يوم من الأيام ابتداعاً، ولكنها رسخت وتأصلت حتى أصبحت من العرف المرعى شأنها فى ذلك شأن العرف الخلقى والاجتماعى... "(2)، وهكذا حينما يرسخ العرف الأدبى كرسوخ العرف الاجتماعى، فإنَّه لا بدَّ من أن يكون قد استجاب لهموم قطاعات واسعة من الشعب، إلى الحد الذى جعل أحد الباحثين يربط مسألة القديم والجديد فى الأدب بمسألة الصراع الطبقى، فالاتجاه التقليدى لطالما ارتبط بقيم الطبقة السائدة(3)، لكن هذا الرأى ليس دقيقاً دائماً، ولاسيما وأنَّ الشواهد قد

1- الصراع بين القديم والجديد فى الشعر العربى: 82 - 83.

2- الأسس الفنية للنقد الأدبى: 41.

3- ينظر: الصراع بين القديم والجديد فى الشعر العربى: 77.

دلَّت على أنَّ الشعر التقليدى قد حظى بإعجاب أناس لا تجمعهم طبقة واحدة، ولا يردون من مشرب واحد، فضلاً عن ذلک فإنَّ هذا النوع من الشعر " ما زال أثيراً لدى كثيرين من الشعراء والشبان، ولم تزل صناعتهم الفنية من طراز ما كان ينسجه الأقدمون من حيث الأخيلة والتصوير، ومن حيث الفن والأداء "(1)، ولنا فى مراثى الإمام الحسين خير مثال على ذلک، فما زال شعراء هذا الفن سائرين على خطى من سبقهم، وهم يرددون ألحان الولاء الحسينى، ولم يكن الجامع بينهم سوى سور القضية الحسينية.

وبالعود إلى مراثى النصف الأول من القرن العشرين - موضوع دراستنا - نجد أنَّ التقليد كان يعكس ظرفاً اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً مرَّ به العراق آنذاک، مما خلق مستوى من التفكير " لم يكن مهيَّئاً له أن يزدهر فى مجتمع متخلف يعانى من الكبت الفكرى والاجتماعى، ومن الخضوع لسلطان التقاليد"(2)، الأمر الذى يجعل الحكم على تقليدية عدد من تلک المراثى بالإيجاب أو السلب مجانباً للموضوعية، فالتحليل الموضوعى لقضية أدبية معينة، لا بدَّ أن يأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية، والاجتماعية التى تفاعلت فى بلورة تلک القضية.

ومن الأمور التى كاد الاتفاق ينعقد عليها أنَّ الشعر العراقى فى النصف الأول من القرن العشرين - ولاسيما فى بدايات ذلک القرن - كان مديناً للقيم الأدبية التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر الذى سبقه، فقد كان الشعر

1- الأسس المعنوية للأدب: 83.

2- لغة الشعر الحديث فى العراق: 143.

العراقی فی القرن التـاسع عشـر یعکس صورة المجتمع آنـذاک، فإنَّ مجتمعاً یعیش فی عزلـة عن العالـم الخارجی، ویعانی أبناؤه من البطالة التامة، لسوء إدارة الدولة آنذاک، لا بدَّ أن یعانی أفراده العوز المادی، وتفشی الأمیَّة، وتردی الحالة الصحیَّة(1).

ومن ثمَّ فإنَّ مجتمعاً کهـذا لا یمکن أن ینتـج أدباً مثمراً وفعالاً، فإنَّ الإبـداع لا یجتمع مع التخلف والجوع بل یسـتحیل أن یجتمع الإبـداع والتخلف.

فکان من الطبیعی أن تغلب الرکاکـة علی الشـعر العراقی فی هذا القرن، وأن یکون شـعراً نخبویاً لا یمثل الواقع بشـیء، معتمداً علی اجترار الماضی الشعری(2).

وإذا کانت مراثی الإمام الحسـین (علیه السـلام) فی مطلع القرن العشرین قد ورثت شیئاً من تلک السلبیات، فإنها فی الوقت نفسه قد ورثت نبرة الرفض المتجدد بتجدد الذکری الحسینیة من مراثی القرن التاسع عشر، فإذا کان الشعر قد تحوَّل إلی وسیلة رزق وکسب، فغاب الصدق فیه، فإنَّ مراثی الإمام الحسـین (علیه السـلام) حافظت علی طابع الصـدق المعبر عن التزام الشـعراء لقضایا دینهم، من دون أن یکون هناک سبب مادی یدفعهم لذلک، سوی الإخلاص فی الولاء لأهل البیت.

1- ینظر: الشعر السیاسی العراقی فی القرن التاسع عشر: 76.

2- ینظر: تاریـخ الأدب العربی فی العراق: 2 / 341، والشـعر العراقی؛ أهدافه وخصائصه فی القرن التاسع عشر: 37، وتطور الشعر العربی الحدیث فی العراق: 17، ولغة الشعر الحدیث فی العراق: 119.

وإذا كان النقاد يرون فى التقليدية أمراً سلبياً يؤاخذ عليه الشعراء(1)، فإنَّ تقليدية المراثى الحسينية كانت أمراً مختلفاً لسببين:

الأول: انَّ موضوع الإمام الحسين يتميَّز بالثراء، وكثرة التفاصيل، وغزارة الموضوع، وتنوع المفاصل المؤثرة فيه، الأمر الذى يحتم على الشعراء التنوع الشعورى، فالشاعر وإن كان مقلداً فى البناء والشكل الفنى، فإنَّه من المستبعد أن تتشابه استجاباته العاطفية للمواقف المؤثرة فى واقعة الطف، مع استجابات غيره من الشعراء، ولاسيما أنَّ الأمر يتعلق بمعتقده الدينى.

الثانى: تميَّزت مراثى الإمام الحسين، وبخاصة فى العراق، بالنفس العربى الخالص، فإذا كان فيها شىء من التقليد، فإنما يعزى ذلك إلى كونها تمثل امتداداً لأنموذج عالى المستوى فى الشعر العربى، تمثل فى مراثى دعبل الخزاعى، والسيد الحميرى، والشريف الرضى، ومهيار الديلمى(2)، فإنَّ تكرار ألفاظ الشكوى من الزمان، والتحريض على أخذ الثأر، والمطالبة به؛ يمكن أن يكون دليلاً واضحاً على الحرمان والهوان اللذين كان الشعب يعيشهما يومذاك، وربما كانت تلك الألفاظ بمنزلة ناقوس الخطر لأمة كادت هويتها العربية تتلاشى فى ظل قرون طويلة من الاحتلال الأجنبى.

ولعلَّ خير دليل على ما تقدَّم؛ أنَّ تلك المراثى طالما تغنَّت بأنصع صفحات التاريخ العربى، وأكثرها إشراقاً - صفحة الثورة الحسينية وموقف سيد الشهداء فيها - وكأنَّ شعراء هذه المراثى يذكِّرون الأمة بأنَّ لها ماضيا مشرفا فى زمن كان

1- ينظر: تطور الشعر العربى الحديث فى العراق: 17.

2- ينظر: لغة الشعر بين جيلين: 25.

فيه شعراء السلطة يتمنون تقبيل أيدى الولاة(1)، ولثم أقدامهم(2).

الاتجاه التقليدى

يمكن القول: إنَّ سمات التقليد السابقة قد شكَّلت اتجاهاً واضحاً فى هذه المراثى فى الحقبة المحصورة بين 1900 ـ 1950 م، ولا ضير فى أن نطلق عليه تسمية الاتجاه التقليدى (الكلاسيكى)، وبخاصة أنَّ الشعر العراقى قد عرفَ هذا الاتجاه خلال هذه الحقبة ممثلاً بطائفة كبيرة من الشعراء(3).

ويمكن أن نلحظ ملامح الاتجاه التقليدى فى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) عند مجموعة من الشعراء، استمروا فى العطاء الشعرى إلى منتصف الفرن العشرين، منهم: كاظم آل نوح، ومير على أبو طبيخ، ومحمد الشيخ بندر، ومحمد حسن سميسم، ومحمد على اليعقوبى، وعبد الحسين الحويزى، وعبد المنعم الفرطوسى، والسيد رضا الهندى، وجواد الشبيبى، وإبراهيم حموزى، وغيرهم.

فقد اقتصر الرثاء عند هؤلاء الشعراء على غاياته الرثائية الخالصة، فكان شعراً وصفياً موضوعياً أكثر منه شعراً ذاتياً، فقد طغى الوصف الموضوعى لما

1- يقول الشاعر صالح التميمى فى مدح الوالى على رضا: (من البسيط) من لى بتقبيل كفٍ صوب عارضها يزرى بواكف صوب العارض الهطلِ

2- يقول عبد الغفار الأخرس فى مدح الوالى داود باشا: (من الطويل) فألثم أقدام الوزير التى لها إلى غاية الغايات ممشى ومهيع

3- ينظر: تطور الشعر العربى الحديث فى العراق: 91.

جرى فى كربلاء على صوت الشاعر، حتى كاد يختفى فى زحمة صهيل الخيول، وصليل السيوف، وأصوات النساء الثكالى، وصراخ الأطفال اليتامى.

يقول كاظم ال نوح(1): (من الطويل)

وأضرمت النيران فى خيم الهدى

وفرت بنات المصطفى خوف اشعالِ

مروعة راحت ببيداء قفرة

تنادى لابطال حماة واقيالِ

بنى الموت صبرا للدفاع عن الحمى

وعن فتيات حاسرات واطفال

ان هذه الأبيات تكشف عن نفس تقليدى ظل مسيطرا على عقول عدد من الشعراء مثل كاظم ال نوح الذى قال فيه احد النقاد انه كان " مثالا حسنا للمدرسة التى عاشت فى العصور الوسطى والتى انتهت بمولد الرصافى والزهاوى الا انها بقيت تحيا على نطاق ضيق فى بعض الدوائر الدينية "(2).

هذا أنموذج من المراثى التقليدية، تبدو فيه اللغة الحماسية واضحة، للمطالبة بأخذ الثأر، والتحريض عليه، وطلب الانتقام، أما صوت الشاعر، فلم يعد له وجود فيها، لكن هذه اللغة الخطابية، والحماسة العالية قد تفسر بما كان يعانيه الشعراء آنذاك من ظروف اجتماعية وسياسية قد تنعكس على رؤاهم للأشياء والوجود.

وليس كل المراثى التى نلحظ فيها طابع التقليد قد اتسمت بهذه السمات، إلى الحد الذى يمكن القول معه إنَّ الاتجاه التقليدى لم يكن تقليدياً خالصاً، فقد نجد - وهو كثير - ملامح التجديد عند شعراء من هذا الاتجاه، مثل: محمد حسن

1- ديوان الشيخ كاظم ال نوح: 3/536.

2- تطور الفكرة والاسلوب فى الادب العراقى: 102.

أبی المحاسن، والسید رضا الهندی.

یقول السید رضا الهندی(1): (من الکامل)

ظمآن ذاب فؤاده من غلةٍ

لو مسَّت الصخر الأصم لذابا

لهفی لجسمک فی الصعید مجرداً

عریان تکسوه الدماء ثیابا

ترب الجبین وعین کل موحد

ودَّت لجسمک لو تکون ترابا

لهفی لرأسک فوق مسلوب القنا

یکسوه من أنواره جلبابا

نجد فی هذه الأبیات صوت الشاعر واضحاً من خلال تلهفه، وتحسره لما أصاب الحسین (علیه السلام)، ونجد اللغة هادئة، ابتعدت عن الخطابیة والمباشرة من خلال الخیال المتجسد فی الصورة الواردة فی البیتین الثانی والثالث.

ومن السمات الظاهرة فی مراثی شعراء هذا الاتجاه أیضاً عدم الخوض فی مشکلات المجتمع، کالذی نلحظه فی مراثی الاتجاه التجدیدی، ولعلَّ من أسباب ذلک؛ التقلید الأدبی المتوارث، فلم یألف الشعراء فی القرون الماضیة الخوض فی مسائل جانبیة فی الرثاء.

وربما کان السبب فی ذلک سیاسیاً، خاصاً بقناعات عدد من الشعراء، فقد کان هؤلاء یرون فی الدولة العثمانیة ممثِلة لدولة الإسلام، فکان من الطبیعی أن لا نأمل من هؤلاء نقداً لسیاستها، وإظهاراً لمعاناة الشعب، بل إنَّ هؤلاء الشعراء یرون فی أنفسهم لسان حال هذه الدولة یفرحون لانتصاراتها، ویحزنون حینما یصیبها

1- دیوان السید رضا الموسوی الهندی: 43.

أذىً، فقـد ابتهج كاظم آل نوح(1)، ومحمد على اليعقوبى(2)، ومحمد حسن أبو المحاسن(3) لانتصار الأتراک فى موقعة الدردنيل ضـد قوات الائتلاف سنة 1915، وكان موقف هؤلاء الشـعراء ينم عن حرصـهم الشديد على الإسـلام، إذ اعتقدوا أنَّ دولة آل عثمان كانت تمثل صورة من صور الخلافة الإسلامية، ونصرها فى الدردنيل نصرٌ للإسلام.

ومما يشـبه هـذا الموقف ما نجـده عند شـعراء آخرين، كعبد الحسـين الحويزى الذى رأى فى دولة الإنكليز الدولة المثالية، فراح يمجدها، ويمدح حكامها(4).

1- يقول كاظم آل نوح: (من الخفيف) فتح الله حوزة الدردنيلِ بكماة غلب وآساد غيلِ

2- ينظر: الشعر العراقى الحديث: 81، نقلاً عن مجلـة الصـدى البغدادية، وقد ذكر المؤلف أنَّ اسم الشاعر فى المجلة محمد على يعقوب التبريزى.

3- قال محمد حسن أبو المحاسن يسـخر من قوات الائتلاف: (من السريع) وشادن أورثنى حبَّهُ كالائتلافين حزناً طويلْ عزَّ علىَّ الوصل منه كما عزَّ عليهم موقف الدردنيلْ قد رجعوا بالعار لكننى رجعت فى العشق بمجد أثيلْ

4- قال عبـد الحسـين الحويزى مادحاً الإنكليز: (من الكامل) وحويت فى الدنيا مكارم جمَّةً طلعت بدوراً تزدهى وشـموسا للدولة العلياء شبلاً أعقبت حفظت قريحة فكره القاموسا ملک رعيته إذا ذكروا اسمه ضربت لمثل جلاله الناقوسا

ومن صور التأثر الأخرى فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فى هذه الحقبة تقليد البناء الفنى للقصائد العربية، فنجد المرثية مكونة من: مقدمـة، وتخلص، وغرض، وخاتمـة، ونجد الشـعراء فى مقدماتهم يقفون على الأطلال، ويبكونها ويتذكرون الصـحب والخلان، ويتغزلون بصويحباتهم اللاتى ابتعدن عنهم، ويبكون أيام شبابهم، مثلما فعل الشعراء من قبل.

ويظهر التقليد أيضاً فى الألفاظ والتراكيب والأساليب، فقد تصادفنا ألفاظ غريبة مسـتمدة من معجم الشاعر القديم، ربما احتيج فى تفسـيرها إلى معجم لغوى.

أما الأساليب، فقد كانت مقدمات هذه المراثى غالباً ما تبدأ بالأمر (استيقاف الصـحب)، أو النصح، وتردد كثيراً أسـلوب التحسـر من خلال ألفاظ مثل (لهفى، أسفى).

ومـن الصـور النمطيـة الموروثـة فى رثـاء هـذه الحقبـة الفنـون الشـعرية الأـخرى غير القصائـد، مثـل الرباعيـات(1)، والخماسيات(2)، والمشطرات(3)، والتواريخ الشعرية(4)، والمنظومات الشعرية(5)، وإن لـم تشكل ظواهر بارزة فى مراثى هذه الحقبة.

1- ينظر: ديوان الربيعى: 1 / 210.

2- ينظر: سحر البيان وسمر الجنان: 206، 211، 260.

3- ينظر: الذخائر (ديوان شعر): 91.

4- ينظر: ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 3 / 537.

5- مثل منظومة مجالى اللطف بأرض الطف، والملحمة الكبرى لواقعة كربلاء المسماة المقبولة الحسينية.

ولعلَّ ما تقدَّم ذكره من خصائص مراثى الإمام الحسين فى هذه الحقبة، التى غلب عليها التقليد، كان نتيجة طبيعية، لأن أغلب تلك المراثى كانت شعراً منبرياً.

والشعر المنبرى: هو ذلك النوع من الشعر الذى يكتب بقصد إلقائه على المنابر، ويوجه لجمهور واسع من الناس، ويكون ملتزماً بقضايا معينة، ويتطلب من الشاعر إمكانات مميزة فى الإلقاء والإقناع(1).

ففى وقت كادت تنعدم فيه وسائل التعليم فى المجتمع العراقى خلال العهود السابقة، كان المنبر الحسينى، وسيلة مهمة فى تثقيف الناس بأمور الدين والدنيا، وقد حافظ على دوره فى إحياء الذكرى الحسينية، والإرشاد، حتى بعد أن ظهرت المدارس فى النصف الأول من القرن العشرين، وكان للشعر - وما زال - حضورٌ واضحٌ فى المنابر الحسينية، لما له من تأثير فى النفوس، لذا كان له صدى جماهيرى واسع حينما يلقى على المنابر لتصويره الجوانب المؤثرة فى واقعة كربلاء، وما جرى فيها من مآسٍ لأهل البيت (عليهم السلام)(2)، ويبدو ذلك واضحاً فى المناسبات الدينية، وبخاصة فى شهر محرَّم الحرام من كل عام، وليس من المبالغة القول بأنَّ تأريخ الأدب العربى، وفى كل العصور التى مرَّ بها لم يشهد انسجاماً، وتلاحماً بين الشاعر وجمهور المتلقين، مثلما حصل فى مراثى الإمام الحسين، حتى تكاد تتحول تلك المراثى - فى أحيان كثيرة - إلى خطابات حماسية، تثير العواطف عند إلقائها على المنبر، ومن الراجح أنَّ هذا الأمر لا

1- ينظر: الاتجاهات والحركات فى الشعر العربى الحديث: 631 - 634.

2- ينظر: الأدب العربى فى كربلاء: 175.

يمكن حصوله لو لم يكن الشاعر مشاركاً لذلک الجمهور فی عواطفه.

وفی الحقيقة أنَّ حبّ الحسين حاز قلوب الناس، حتی خيِّل لمن يری ما يجری فی شهر محرم أنَّ تلک القلوب خلت إلا من ذکر الحسين، وربما کان هذا مصداقاً لقول النبی الکريم محمد (صلی الله عليه وآله وسلم):

"اللهم أنی أحب حسيناً فاحبه واحب من يحبه"(1).

مما دفع عدداً من الشعراء إلی التشديد علی الصور المأساوية فی مقتل الحسين؛ لإثارة الجماهير، مثل تصوير الإمام فی حال من الضعف والانکسار، کقول الشاعر کاظم سبتی(2): (من الرمل)

لمن الرأس علی رمح طويلْ

مال والعرش له کاد يميلْ

ولمن من حوله تلک الرؤوسْ

کمصابيح تجلَّت وشموسْ

يا له يوم صرت يوماً عبوسْ

جلَّ فاهتزَّ له عرش الجليلْ

يا له يوم به الجن بکتْ

لدماء فيه هدراً سفکتْ

کم به ربة خدر هتکتْ

وسرت للسبی من غير کفيلْ

لمن الأطفالُ صرعی کالنجوم

ولمن فوق الثری تلک الجسوم

حولها تجثو نساء وتقوم

تملأ البيداء نوحاً وعويلْ

والقصيدة كلها تجرى على هذا النسق المأساوى، المراد منه إثارة عواطف المستمعين.

والحقيقة أنَّ ما جرى فى كربلاء على أهل بيت النبى، أشد قسوة مما يذكره

1- كنز العمال: 12/124، الحديث 34307.

2- منتقى الدرر فى النبى وآله الغرر (ديوان شعر): 1 / 61.

الشـعراء، لكن الوجه الآخر للمشهد الحسينى فى ذلک اليوم كان أكثر إشراقاً، وأعذب رواية، فالحسين (عليه السلام) على قلّة أنصاره، وكثرة أعدائه تحدّى الخصم قائلاً:

" لا والله لا أعطيكم بيدى إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد"(1).

ثمَّ إنَّ هـذا اللون من الرثاء لا يعكس الصورة الكاملة ليوم كربلاء، لذا كان الاقتصار عليه من لدن الشـعراء موضع رفض بعض الكتاب(2)، لكنه فى الوقت نفسه كـان اسـتجابة لمـا يتطلبه الموقف من إيقاعـات خاصـة، فإنَّ " الإيقاع عنصـر تأثيرى فعال فى الشـعر الـذى ينشـد فى المحافل العامـة، ويتخـذ طابع القصائـد الخطابيـة، ولذلک لا زلنا نحس بأنَّ القصـيدة القائمة على وحدة البيت هى القصـيدة التى تصـلح للإلقاء فى المحافل، والتأثير فى الجماهير "(3).

وإذا ما أتينا إلى ما يتطلبه هـذا النوع من المراثى، نجد أنه يعتمد على جملة أمور، من أهمها أن يكون هناک جمهور مسـتمع فى الغالب، أو مفترض أحياناً، وأن يلقى بطريقـة مؤثرة من خلال توظيف إمكانات الصوت والانفعال المناسب، ولا بدَّ أن يكون الجمهور مهيئاً لتقبل الآراء والاتجاهـات الفكريـة التى تتضـمنها المراثى، وأن تكون تلـک الأفكـار والمعـانى بمسـتوى الجمهور فى أغلب الأحيان، وهو الأمر الـذى يتطلب من الشاعر أن يكون أشبه بالخطيب(4).

1- تاريخ الطبرى: 4 / 323، والإرشاد: 235.

2- تأملات فى حركة ذكرى عاشوراء ينظر: مجلة رسالة الحسين، العدد 1 لسنة 1411هـ: 22 - 29.

3- الأدب وفنونه، محمد مندور: 37.

4- ينظر: الاتجاهات والحركات فى الشعر العربى الحديث: 633 - 638.

وقـد توافرت تلك المتطلبات فى مراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام) التقليدية، فهى وإن لـم تخل من اجترار القديم إلا أنها كانت مندمجة فى مشـكلات المجتمع، أو على الأقل اسـتطاع شـعراؤها تلبية ما يتطلبه الذوق، فقد "تتحكم بالذوق عوامل... لا علاقة لها بالجمال إطلاقاً منها الشـعور الجمعى بالولاء لقبيلـة، أو مـذهب دينى، أو أخلاقى، فإنَّ حكم الناس على الآثار الفنيـة كثيراً ما يتأثر بهـذا الشـعور الجمعى [(1)]".

الاتجاه التجديدى

وفى مقابل الاتجاه التقليدى، كان هناك اتجاه آخر فى رثاء الإمام الحسين، يسير إلى جانب الاتجاه الأول، أو يتداخل معه أحياناً، يمكن أن نطلق عليه (الاتجاه التجديدى).

كان هذا الاتجاه فى الرثاء الحسـينى جزءاً من اتجاه عام ساد الشـعر العراقى بعد مطلع القرن العشرين، نتيجة لعوامل ساعدت على ظهوره، وهـذه العوامل منها ما هو عام شـمل المنطقة العربية، وتمثَّل بالنهضة الأدبية العربية التى ابتدأت بجهود محمد على باشا فى إرسال البعثات العلميـة إلى أوربـا، وتأسـيس مطبعـة بولاق، ونشـر الكتب القديمـة، ونشوء تيار يهـدف إلى إحياء التراث العربى، فضـلاً عن الاطلاع على الثقافات الأجنبيَّة[(2)].

وهذه العوامل أتاحت للأدباء العرب فرصة الاحتكاك بالثقافة الغربية،

1- الأسس الفنية للنقد الأدبى: 120.

2- ينظر: اتجاهات الشعر العربى الحديث: 10.

ودفعتهم إلى الموازنة بين المجتمع العربى المتأخر والمجتمع الغربى المتقدم، وصاروا يسمعون بأنواع من الشعر لم يألفوها فى الشعر العربى، مثل الشعر التمثيلى، والقصصى، والملحمى(1).

وبعد أن وقعت المنطقة العربية تحت الاحتلال الأوربى، ظهر الوعى القومى واضحاً، متمثلاً فى الثورات بوجه المحتلين، لاسيما ثورة 1919 فى مصر، وثورة 1920 فى العراق، مما كان عاملاً مهماً فى نشوء أدب منغمس فى قلب الأحداث(2).

أما الوضع فى العراق، فقد كان انفتاح العراق فى مطلع القرن العشرين على العالم الخارجى بفعل وصول الصحف والمطبوعات، وسفر عدد من الأفراد إلى الخارج عاملاً فى تنامى عدد من الاتجاهات، كالقومية والوطنية والعلمانية(3)، فثورة الحسين بن على فى الحجاز سنة 1916 كانت سبباً فى ازدياد الشعور الوطنى عند العراقيين(4)، وكان وصول الإنكليز إلى المنطقة باحتلالهم العراق سنة 1918 سبباً فى المقارنة بين نمط حياة الغرب، والوضع الذى كان يعيشه العراقيون، فقد " أيقظ فتح الإنكليز بمظاهره المادية الفكر العراقى، برؤيته مستوى عالياً من الحياة، لم يره عند جنود الدولة العثمانية، كالنظافة والأناقة.. "(5).

1- ينظر: تطور الشعر العربى الحديث الدوافع، المضامين، الفن: 11.

2- ينظر: الصراع بين القديم والجديد فى الشعر العربى: 34.

3- ينظر: الاتجاهات الوطنية فى الشعر العراقى الحديث: 9 .

4- ينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: 89.

5- الشعر العراقى الحديث: 244.

وكان الأدب العربى فى العراق، لاسيما الشعر قد تفاعل مع هذه المتغيرات "فابتعد عن خدمة السلطان والوالى والحكومة، واتجه للشعب، وخدمته، وأصبحت للشعب منزلة محترمة، وبدأ الشعراء، وقادة الرأى فى معالجة مشكلاته الاجتماعية والسياسية، لرفع شأنه، وخلق شعب قوى صحيح، غنى، ومثقف"(1)، وأصبحت قضايا الشعب تجد صداها فى أكثر الأغراض الشعرية، ولاسيما فى مراثى الإمام الحسين عند الشعراء الذين آمنوا بأن شخصية الإمام الحسين، لابد أن تكون ملهماً لشعب ينشد استقلاله، ليعيش برفاهية وسلام، حتى أصبح سمة واضحة عند شعراء مثل محمد صالح بحر العلوم، وطالب الحيدرى، ومظهر إطيمش، وخضر عباس الصالحى، وصالح الجعفرى، وعبد الحميد السماوى، والسيد محمد جمال الهاشمى، والشيخ عبد الغنى الخضرى، وإبراهيم الوائلى، وعباس الملا على، فلم يعد الإمام الحسين (عليه السلام) موضوع بكاء فحسب عند هؤلاء الشعراء، وإنما أصبح موضوع تأمل، وتوظيف لخلق حالة من الوعى فى نفوس الناس تستمد قوتها من صلابة موقف الإمام فى كربلاء. يقول محمد صالح بحر العلوم(2): (من الكامل)

قسماً بيومک وهو فى تاريخنا

دامٍ سنبقى لا نهادنُ أحوبا(3)

نمشى على هُدىِّ الأباةِ ونزدرى

بالنائبات ولا نفوِّت مطلبا

ونقود ركب الشعب لاستقلاله

حتماً وإن تكن المشانقُ مركبا

ولنا الشهادةُ فى سبيل دفاعنا

عن حقنا-كالشهدِ-تحلو مشربا

1- م. ن: 244 - 245.

2- ديوان بحر العلوم: 2 / 85.

3- الاحوب: الآثم، ينظر الصحاح: 1/105.

فالموت فی طلب الکرامة منهل

عذْبٌ، ومیْتٌ من یعیش معذَّبا

یحاول الشاعر استمداد عزمه من عزم الإمام الحسین (علیه السلام)، ففی سبیل الاستقلال ترخص النفوس، وتستهین بالمشانق، کما استهان الإمام الحسین بالموت فی سبیل العقیدة. وقد کانت حیاة بحر العلوم مصداقا لما قاله فی ابیاته المتقدمة فقد قاسی فی سبیل الدفاع عن الشعب الاضطهاد والسجن والمطاردة(1).

وإذا کان بحر العلوم یستسهل الموت فی سبیل حریة الشعب، فإنَّ طالب الحیدری یری فی تاریخ الإمام الحسین (علیه السلام) أنشودة لکل الثائرین، یقول(2): (مخلع البسیط)

دم الإمام الشهید نورٌ

لنا وتاریخه نشیدُ

تصیح أیامه علینا

تحرروا أیها العبیدُ

سدنا علی غیرنا قدیماً

والیوم قد سادنا المسودُ

فأین تاریخنا المجید

وأین إیماننا الوطیدُ

ألا حسام ألا قناةٌ

ألا حصاةٌ ألا عمودُ

إذ یری الشاعر أنَّ تأریخ الإمام الحسین (علیه السلام) - الذی ضحی بنفسه، وسقط صریعاً - یمثل موقفاً رافضاً یستنکر علی الشعب سکوته فی ظل الاحتلال الأجنبی. فالشعر عند الحیدری یعکس "مشاعرا [کذا] وطنیة نبیلة کان یحملها الشاعر لهذا الشعب وهذا الوطن فی الوقت الذی کان یعز فیه المخلصون"(3).

1- ینظر , تطور الفکرة والاسلوب فی الادب العراقی الحدیث: 102.

2- من وحی الحسین (شعر): 17 - 18.

3- الادب المعاصر فى العراق: 143.

أما صالح الجعفرى فيرى أنَّ الشعب قد خان مبادئ الحسين حين سكت عن جرائم اليهود فى فلسطين، يقول(1): (من الكامل)

أعزز عليک أبا الفداء بأننا

خنّا بنيک قرابة وجوارا

ما ذرَّ منهم ثابت فى تربةٍ

إلا شحذنا منجلاً وشفارا

أَمِنوا اليهودَ وغدرهم لكنَّهم

لم يأمنونا مسلمين نصارى

.....

والمسجد الأقصى الشريف مصدع الـ

ـفقرات لا أسساً ولا أسوارا

فالشاعر يسمو بشعوره الإسلامى، والقومى لتكون فلسطين هاجسه حينما يتذكَّر مأساة الحسين، وكأنَّ التاريخ يعيد نفسه، حينما يستحضر الشاعر موقف الإمام الحسين الذى كان من أجل عزة الإسلام. والابيات تعكس " المرارة والخيبة فى انتاج الشعراء لتاخر بلادهم فى السياسية والعلم"(2).

أما عبد الحميد السماوى، فإنَّه يستنهض العراقيين فى إحدى مراثيه الحسينية، قائلاً(3): (من الكامل)

فهلمَّ يا بن الرافدين وإن هُما

جفّا أفاض لک الشعورُ روافدا

لا زلت مضطرب الهواجس صامت الـ

ـأعضاء تستوحى خيالاً شاردا

خفِّض عليک فلا أراک بحاجةٍ

حتى تقيم على نبوغک شاهدا

أتعج خلف المدلجين وطالما

ابتعثتک جالية العوالم رائدا

كم صرخةٍ صعدتها فتقاطرت

خطباً يرن بها الصدى وقصائدا

1- ديوان الجعفرى: 150 - 151.

2- تطور الفكرة والاسلوب فى الادب العراقى الحديث:80.

3- ديوان السماوى: 365.

يأبى الشاعر على العراقيين إذعانهم لغيرهم، وهم أصحاب ذلک التاريخ الطويل الشاهد على نبوغهم الحضارى.

أما السيد محمد جمال الهاشمى فيقول فى إحدى مراثيه، مستحضراً مأساة فلسطين (1): (من الطويل)

على مهلكم يا تائهين فإنَّما

طريقكم وعرٌ وصحراؤكمْ قفرُ

وراءكم ردوا فقد عبثت بكم

أضاليلُ عُرْفٍ كل أحكامه كفرُ

أفيقوا فإنَّ العلم أبدى نواحياً

من الحق أخفاها التعصب والغدرُ

وخلّوا فلسطيناً و إسعافها فقد

أقامت لحل العقد عقادَها مصرُ

فهل أدلّ على حال الأمة بعد ضياع فلسطين من وصف الشاعر للعرب بالتائهين، الذين لم يستوحوا تاريخ أبطالهم.

أما الشيخ عبد الغنى الخضرى، فيبدى أسفه، لأنَّ الأمة تهاونت فى تطبيق مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام)، يقول الشيخ عبد الغنى الخضرى(2): (من الوافر)

أبا الشهداء كُم لک قد أضعنا

تعاليماً قد ازدهرت خلالا

كأدراج الرياح مضت هباءً

وقد عادت بأجمعها خيالا

كإنْ من أجلها ما ذقت مراً

وما صافحت أسيافاً صقالا

فكم كسرَ العدى لک من ضلوعٍ

وکم لک من دمٍ فی الأرض سالا

قضیت العمَر فی جد وسعی

تناضل دائماً عنها نضالا

1- مع النبی وآله (دیوان شعر): 191.

2- دیوان الشیخ عبد الغنی الخضری: 183.

فوا أسفاً على تلك المبادى

أضعناها فضيعنا الكمالا

فالشاعر يقرن تطبيق مبادئ الثورة الحسينية بكمال الأمة، لكنه يبدى أسفه لحالها، بعد أن أهملت خطى سيد الشهداء، وضيَّعت بذلك شيئاً من كرامتها.

أما الشاعر إبراهيم الوائلى فى إحدى مراثيه الحسينية فإنَّه يتساءل عن تأريخ مضاع، وعدل عبثت به الأهواء، فيقول(1): (من البسيط)

صهر النبوة إنَّ العدل قد عبثت

به المطامع واجتاحته أهواءُ

أين الجهاد الذى كانت مواكبه

خفاقة النصر يحدوهنَّ أكفاءُ

وأين سيف مشت والموت ضربته

وطعنة فى مدب الشر نجلاءُ

قل للكتائب تنهضْ من مراقدها

فقد خلت من صهيل الخيل بيداءُ

فبعد أن كان الشعراء التقليديون ينادون بأخذ الثأر والتحريض، فإنَّ الشاعر إبراهيم الوائلى يدعو إلى الجهاد لاستتباب العدل، وإحقاق الحق.

ورأى الشعراء فى التعثر الذى أصاب الأمة، فى طريقها إلى تحقيق أهدافها فى التوحد والاستقلال باعثاً على كفكفة الدموع، والثورة، فيقول عباس الملا على(2): (من الخفيف)

لا يسرّ الحسينَ أنك تذرى

فوق خدَّيک أدمعاً مدرارا

نادباً ضارباً تجارى الثكالى

أو عويلاً به تبارى الصغار

بل يسر الحسينَ كونک شهماً

باسلَ القلبِ أيّداً مغوارا(3)

1- ديوان الوائلی: 1 / 170 ـ 171.

2- من وحی الزمن (ديوان شعر): 197.

3- الأيد: القوی، ينظر الصحاح: 2/386.

لتصدَّ الجيوشَ إن عمَّ خطبٌ

أو تصونَ الديارَ ممن أغارا

بل يسر الحسينَ لونک حراً

طاهر الذيل تنجب الأحرارا

فإنَّ البكاء والعويل دليل ضعف واستسلام - مثلما يرى الشاعر - فى وقت كانت الأمة بحاجة إلى الرجال الأشدّاء الذين يصدون الأعداء، مثلما كان الحسين بوقفته فى كربلاء، وهو يجابه عدواً أكثر عدداً وعدَّةً مما كان مع الإمام من الأنصار والسلاح.

وبعد أن كان صوت الشاعر يغيب فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) التقليدية، أصبح واضحاً فى مراثى الاتجاه التجديدى من خلال التأملات الذاتية التى تأتى على شكل معاناة يحاول الشاعر التنفيس عنها بذكر واقعة الطف، يقول خضر عباس الصالحى(1):

(من مجزوء الكامل)

يا ابنَ الرسول ولم تزلْ

ذكراک فى طى الصدورِ

وكأنَّها أغرودةٌ

عذراء تطفحُ بالعطورِ

رتلتُ فيک مشاعرى ال

غرقى بأشذاء الزهورِ

.....

وبآهتى الرعشى لها

ذكرى مدمّاة السطورِ

فيها انطوت مأساتک ال

كبرى على مرِّ العصورِ

فکربلاء - عند الصالحی - ذکری معطرة، تجول فی ذاکرته بأریج الزهور، لکنها مع ذلک آهة حزینة مدماة بدماء سید الشهداء.

1- ضباب الحرمان (دیوان شعر): 48 - 49.

أما مظهر اطيمش فيمزج تأملاته الحزينة من ذكرى كربلاء الكئيبة، وتاريخ العرب المشرق، فيقول(1): (من الكامل)

يا أيها الذكرى الكئيبة والتى

فيها أذبتِ من الأسى أحشائيا

ما عدتِ إلا واللواعج أيقظتْ

فىَّ الهمومَ وعاد قلبى كابيا(2)

عاهدتُ نفسى أنْ أصوغَ تحرقى

نغماً بأسباب التحرق حاليا

حيث العروبةُ بعد بيض صحائفٍ

تبلى الحياة ولم يزلن بواقيا

إنَّ حزن الشاعر المتجدد بتجدد ذكرى كربلاء، قد صار نغماً يحلو للشاعر ترديده، لأنه يرى فى وقفة الحسين صفحة من صفحات العروبة المشرقة، التى لا تزال باقية.

وقد يصل الشاعر بتأمله لواقع الثورة الحسينية إلى أبعاد ذاتية عميقة، تعبر عن فلسفة الشاعر الوجدانية، وموقفه تجاه قضية الحسين، يقول محمد مهدى الجواهرى(3): (من المتقارب)

تمثَّلتُ يومک فى خاطرى

وردَّدتُ صوتَک فى مسمعيِ

ومحَّصت أمرک لم أرتهبْ

بنقل الرواةِ ولم أخدعِ

وقلت لعلَّ دوىَّ السنينِ

بأصداءِ حادثِک المفجعِ

وما رتل المخلصون الدعا

ة من مرسلين ومن سجَّعِ

.....

1- أصداء الحياة - نفح الخلود (ديوان شعر): 87.

2- كابيا: من كبا، يكبو، سقط. ينظر الصحاح: 5/1965.

3- ديوان ألجواهرى: 3 / 235 - 236.

إلى أن أقمت عليه الدلى_

_ل من مبدأ بدم مشبعِ

فأسلم طوعاً إليک القياد

وأعطاک إذعانة المهطعِ

فنوّرتَ ما أظلم من فكرتى

وقوَّمت ما اعوجَّ من أضلعى

وآمنتُ إيمان من لا يرى

سوى العقلِ فى الشكِ من مرجعِ

بأنَّ الإباءَ ووحى السماءِ

وفيض النبوَّة من منبعِ

تجمع فى جوهرٍ خالصٍ

تنزَّه عن عرضِ المطمعِ

فالجواهرى يريد أن يكون إيمانه بقضية الإمام الحسين إيمان عقل، لا إيمان عاطفة، فما يراه من ترتيل المخلصين ونواح النساء ليس كافياً لأن يكون دليلاً يركن إليه الشاعر، ثمَّ إنَّه على وعى بما فعلته السياسة لقرون طويلة، فيتولد عنده الشک لذلک، لكنه ليس شک المرتاب، بل هو الشک الموصل إلى الحقيقة، وحينما ثبت لديه الدليل المتمثل بالمبدأ الحسينى الذى روى بدماء الشهيد، آمن الشاعر إيمان مخلص، لا إيمان أغراض ومطامع.

وإذا كانت مراثى الاتجاه التقليدى يغلب عليها الطابع الحماسى، وتدعو إلى أخذ الثأر، والتحريض المستمر، واستنهاض الإمام المهدى (عليه السلام)، فإنَّ مراثى هذا الاتجاه اتسمت بالهدوء، واللهجة المتزنة، ولنا فى قصيدة السياب (خطاب إلى يزيد) مثال على ما تقدَّم، يقول فيها(1): (من الكامل)

مثَّلت غدرک فاقشعرَّ لهولهِ

قلبى وثارَ وزلزلت أعضائى

واستقطرت عَيْنى الدموعَ ورنَّقت

فيها بقايا دمعة خرساءِ

يطفو ويرسب فى خيالى دونها

ظلّ أدق من الجناح النائى

1- أزهار ذابلة، قصائد مجهولة (ديوان شعر): 88.

حيران فى قعر الجحيم معلق

ما بين ألسنة اللظى الحمراءِ

أبصرت ظلَّك يا يزيد يرجُّه

موج اللهيبِ وعاصف الأنواءِ

رأس تكلَّل بالخنا واعتاض عن

ذاك النضار بحيَّة رقطاءِ

ويدان موثقتان بالسوط الذى

قد كان يعبث أمس بالأحياءِ

فالشاعر يوجه اللوم إلى يزيد، مشيراً إلى صفة الغدر فى البيت الأول، وربما كان ذلك إيماءة من الشاعر إلى غدر معاوية فى صفين، واصلاً بين ذلك الفعل الشنيع، وصورته، وهو يراه معلقاً فى قعر جهنم جزاءً لما ارتكبه.

ومثلما لم يكن الاتجاه التقليدى تقليدياً محضاً، فإنَّ الاتجاه التجديدى قد شابته أحياناً ملامح التقليد، يقول الجواهرى(1): (من المتقارب)

فداءُ لمثواك من مضجعِ

تنوَّر بالأبلج الأروعِ

بأعبق من نفحات الجنا

ن روحاً ومن مسكها أضوعِ

ورعياً ليومک يوم الطفوف

وسقياً لأرضک من مصرعِ

فعلى الرغم من الصورة الجديدة التى جاء بها الجواهرى فى هذه المرثية، ظلَّ متأثراً بصور القدماء، "فالدعاء بالسقى والرعى ما زال ماثلاً"(2)، وكان من عادة القدماء الدعاء بهما، لقلَّة موارد الماء فى جزيرة العرب، يقول ذو الرمة(3): (من الطويل)

ألا يا اسلمى يا دار ميَّ على البلى

ولا زال منهلاً بجرعائک القطرُ

1- ديوان الجواهرى: 3 / 323.

2- لغة الشعر بين جيلين: 28.

3- ديوان شعر ذى الرمة: 206.

وحتى حينما يقول الجواهرى(1): (من المتقارب)

شممت ثراک فهبَّ النسيمُ

نسيمُ الكرامةِ من بلقعِ

وعفَّرت خدى بحيث استرا

ح خدّ تفرَّى ولم يضرعِ

فإنَّ هذه الصورة قد وردت فى الشعر القديم، فمما يشبه هذا القول قول الشريف الرضى(2): (من الطويل)

شممت بنجدٍ شيحةً حاجريةً

فأمطرتها دمعى وأفرشتها خدى

واستناداً إلى ما تقدم يمكن القول بأنَّ مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) عند الشعراء المجددين، كانت أدباً ملتزماً(3)، فقد تبنت قضايا الجماهير، وعبَّرت عن همومها، فإذا كان " الالتزام مرتبطاً بالعقيدة منبثقاً عنها من شدة الإيمان بها"(4)، فإنَّ القضية التى آمن بها هؤلاء، قضية الشعب، فإنَّ شعراء النصف الأول من القرن العشرين كانوا على وعى بأنَّ الأدب قادر على تحريک الطاقات الكامنة فى الجماهير، ومن ثمَّ فإنَّ الالتزام عند هؤلاء يعنى " المشاركة فى القضايا السياسية والاجتماعية "(5) إدراكاً منهم بالمسؤولية تجاه الجماهير، فجاءت مراثيهم مزيجاً

1- ديوان الجواهرى: 3 / 223.

2- ديوان الشريف الرضى: 1 / 300.

3- الأدب الملتزم كان مدعاة أخذ ورد بين فريقين، الأول يرى أنَّ الالتزام مناقض للحرية التى هى شرط من شروط الإبداع، فيما يرى الفريق الثانى بأنَّ الأدب تعبير عن معاناة الإنسان، ولا يوجد أدب غير ملتزم، ويرى أنصار هذا الفريق أنَّ الفريق الأول لم يفرق بين الإلزام والالتزام. ينظر: المعجم المفصل فى اللغة والأدب: 1 / 206 - 207.

4- الالتزام فى الشعر العربى: 14.

5- م. ن: 13.

من الرثـاء، واسـتنهاض الجمـاهير، وزرع الثقـة فى النفوس بربط الماضـى بالحاضـر لإضـفاء القوة والثراء عليه، فكان الإمام الحسـين (عليه السلام) الرمز الحى لذلک الماضى العريق، فهو رجل دين لا طائفة معينة، وهو كذلک رمز لكل قيم الخير.

ثانياً: المحاور الموضوعية

تعددت موضوعات الرثاء الحسـينى فى الحقبة موضوع الدراسة، بقدر تعدد أحداث واقعة الطف، وتعدد أطرافها، وتفاصـيلها، فما من حدث كان كبيراً أو صـغيراً إلا كان مادة فنيَّة صالحة لخلق الصور المعبرة، والمجسِّدة لواقع حال ذلک الحدث، لذا فليس من المبالغة فى القول بأنَّ مراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام) كانت سـجلاً حافلاً بالصور المجسدة لكل ما جرى فى معركة ألطف، وإن كانت تلک المعركة " أكبر من أن تستوعب فى معنى لفظى ذى أبعاد محدودة، وأعظم من أن تقاس بمقياس بشرى "(1).

والملاحظ أنَّ تلک الموضوعات - على كثرتها - كانت ضمن محاور أساسية بارزة:

المحور الأول: يتمثل بشخصـية الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد كان الإمام الشخص الأول المقصود فى الرثاء، مثلما كان محط إجلال وإكبار الشعراء فى الوقت نفسه، لذلک تناول الشعراء شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) من جانبين:

الجانب الأول: مأساته التى تمثلت فى قلة أنصاره، وظمئه، وصبره(2).

1- الحسين فى الفكر المسيحى: 59.

2- ينظر: ديوان يعقوب الحـاج جعفر الحلى: 76، 83، 102، وديوان أبى الحب: 120، 141، وديوان السيد مهدى الطالقانى: 85، 87، وديوان الحويزى: 86، والأنواء (ديوان شعر): 175، وديوان السيد رضا الموسوى الهندى: 47، ومع النبى وآله: 1 / 92، وديوان الجعفرى: 434، وشعراء كاظميون: 1 / 245، وأدب الطف: 10 / 64، 203.

الجانب الثانی: التعبیر عن إجلال الشعراء للإمام الحسین، وتعظیمه، فهو أقرب إلی المدیح منه إلی الرثاء(1).

ولا یعنی ما تقـدَّم أنَّ هذین الجانبین منفصـلان عن بعضـهما، بل إنَّ الشـعراء کثیراً ما أکدوا فضل الحسـین، فی موضع التشـنیع علی فعل أعدائه، أی أنَّ منزلة الحسین (علیه السلام) کانت سبباً لذم الخصوم الذین لم یراعوا حقاً لتلک المنزلة الکبیرة، فی الوقت الذی کان هذا مثار أسی فی نفوس الشعراء(2).

وعماد هذا المحور ومرتکزه صـلة الإمام الحسـین (علیه السـلام) بالرسول الکریم محمد (صلی الله علیه وآله وسلم)، فلطالما أکد الشعراء هذه الصلة لإضفاء الصبغة الدینیة علی مراثیهم، ولتهویل الجرم الذی ارتکب بحق ابن بنت النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)، یقول محمد حسن أبو المحاسن(3): (من الطویل)

عدمناک من دهر خؤون لأهله

إذا ما انقضی خطبٌ له راعنا خطبُ

علی أنَّ رزءَ الناسِ یخلق حقبة

ورزء بنی طه تجدده الحقبُ

فقد أکّد الشاعر أنَّ مقتل الحسین (علیه السلام) کان وجهاً لغدر الدهر

1- ینظر: دیوان یعقوب الحاج جعفر الحلی: 133، ودیوان السید رضا الموسوی الهندی: 42، ودیوان الجعفری: 1 / 222، ودیوان الوائلی: 1 / 179، شعراء کاظمیون: 1 / 246.

2- ینظر - مثلاً - دیوان السید مهدی الطالقانی: 79.

3- دیوان أبی المحاسن الکربلائی: 5.

وشؤمه، وكان قوله (بنى طه) إشارة إلى منزلة الإمام الحسين (عليه السلام) عند الله ورسوله، والتى لم ترع حرمتها(1).

ولتأكيد منزلة الإمام الحسين (عليه السلام) كان الشعراء ينهلون من المأثور الذى جسَّد تلك العظمة، كنوع من المحاججة غير المباشرة لإفحام الخصم، يقول محسن أبو الحب(2): (من البسيط)

وكيف لا تحزن الدنيا وساكنها

على مصاب الإمام السيد البطلِ

فالركن يبكيه والبيت الحرام ومن

سعى وطاف فمن داع ومبتهلِ

.....

له الملائک و السبعُ الشداد بكتْ

ومن على الأرض من حافٍ ومنتعلِ

هو العزيز الذى جبريل لازمهُ

فى مهده وكساه فاخرَ الحللِ

وفطرسُ لاذ فيه وهو معتصم

به فنال الرضى من واحدٍ أزل(3)

فالشاعر استند إلى ما روى عن مظاهر الحزن التى عمَّت السماء والأرض، وشملت الملائكة والناس والموجودات إثر مقتل الحسين(4)، فضلاً عمّا روى من احتفاء الملائكة بمولده الطاهر فى إشارة إلى هول الفاجعة.

1- روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: " اشتدَّ غضب الله وغضب رسوله على من أهرق دمى وآذانى فى عترتى ". عيون أخبار الرضا: 1 / 30.

2- ديوان أبى الحب: 141.

3- فطرس يقال أنه كان ملكاً، وقد عوقب لرفضه ولاية على بن أبى طالب (عليه السلام) بكسر جناحه، فلما ولد الحسين (عليه السلام) استشفع به فشفع له، فقال: أنا عتيق الحسين (عليه السلام). ينظر: عجائب الملكوت: 371.

4- ينظر ص10 من هذه الرسالة.

أما المحور الثانی الذی أکدته المراثی الحسینیَّة فی هذه الحقبة، فکان یتعلَّق بشخصیة السیدة زینب بنت علی (علیهما السلام)، فقد کانت جزءاً مهماً من مأساة کربلاء، ویجد القارئ لتلک المراثی أنَّ الشعراء رسموا لهذه السیدة الکریمة صورتین، الأولی: صورة المرأة المفجوعة الباکیة علی أخیها، وأهل بیتها(1)، والأخری: صورة المرأة القویَّة التی تحمَّلت أعباء المسؤولیة بعدما حلَّ بأهلها(2).

وقد تتعاضد الصورتان، وتجتمعان فی المرثیة الواحدة لخلق حالة من الحزن (الهادف)، الذی تجلی فی شخصیة زینب (علیها السلام)، یقول أحمد بن درویش(3) علی لسان زینب مخاطبة جدها الرسول الکریم (ص): (من الکامل)

یا جدَّنا هذا حسینک بالعرا

فوق الصعید علیه تسفی الزوبعُ

فقد تضمَّن قول الشاعر (یا جدنا)، و (هذا حسینک) دلالة عمیقة تشیر إلی فجیعة النبی محمد (صلی الله علیه وآله وسلم) بمقتل الحسین (علیه السلام)، وقد جعل الشاعر من ذلک نداءً حزیناً من السیدة زینب (علیها السلام) لجدها المصطفی فی إشارة إلی انتهاک الأعداء لحرمات رسول الله.

ویقول عبد العظیم الربیعی(4): (من الخفیف)

فدعته ابن ام إن کنت حیا

دمتَ حیاً وللحقیقة حامی(5)

1- ینظر: دیوان الشیخ کاظم آل نوح: 1 / 5، 3 / 677.

2- ینظر: م. ن: 1 / 119، 3 / 367، ومجلة البیان ع (11 - 14) لسنة 1947: 52، 64.

3- شعراء من کربلاء: 202.

4- دیوان الربیعی: 1 / 141.

5- الصحیح: إما حامیاً لانه معطوف علی حیاً او حام علی تقدیر انت حام.

فالسيدة زينب كانت على وعى بالمهمة التى نهض من أجلها الحسين (عليه السلام)، فهى لا تستصرخه باكية نادبة، إنما نادته ب (دمت حياً وللحقيقة حامى) فى إشارة إلى أنَّ ثورة الإمام كانت تهدف إلى ترسيخ الحقائق الإسلامية.

وقال على البازى(1): (من البسيط)

نادته بنت على يا بن فاطمةٍ

يا ليت عينى أصيبتْ قبل ذا بعمى

ولا أراك على الرمضاءِ منعفراً

ومنک صدر الهدى بالخيل قد هُشِما

فقد أكَّد الشاعر القيمة المعبرة لنداءات زينب (عليها السلام) يوم عاشوراء، فى قولها (صدر الهدى... هشما) لإبراز الجرم الذى جاء به أعداء الإمام حينما أقدموا على فعلتهم فى كربلاء.

وقد حاول الشعراء أن تكون شخصية السيدة زينب تستمد قوتها، وصلابتها من قوة الإمام الحسين (عليه السلام) وصلابته، وهو يواجه أعداءه، يقول محمد حسن سميسم(2): (من البسيط)

فجاء منفرداً - فرد الوجود - لها

وقال يا أختى لا تبكى وتنتحبِ

لا ترفعى الصوتَ والأعرابُ تسمعه

لم تعلمى أننا السادات فى العربِ

فقد أكد الشاعر جملة من الحقائق تتعلق بشجاعة الإمام، وهو يحاول أن يقوى من عزيمة اخته، بعد أن أيقن أنه مقتول لا محالة(3)، لكنه كان فى أعلى

1- يوم الحسين: 80.

2- سحر البيان وسمر الجنان (ديوان شعر): 177.

3- ورد أنَّ الإمام قال لأخته زينب ليلة عاشوراء: " إنى أقسم عليک فأبرى قسمى، ولا تشقى علىَّ جيباً، ولا تخمشى علىَّ وجهاً، ولا تدعى علىَّ بالويل والثبور " الكامل فى التاريخ: 3 / 512 - 513، وتاريخ الطبرى: 4 / 620، ومقاتل الطالبيين: 113 - 114.

درجات الإباء والتضحية، وهو ينصح أخته بأن لا تظهر ضعيفة باكية، وفى قول الشاعر على لسان حال الإمام الحسين (لا ترفعى الصوت) إشارة واضحة إلى حرصه على القيم الدينية والأخلاقية المتمثلة فى كراهية سماع صوت المرأة، لتكتسب المرثية أبعاداً تربوية وأخلاقية.

أما المحور الثالث فيتعلق بأصحاب الحسين (عليه السلام)، فقد استمدَّ الشعراء مقومات الإشادة بهؤلاء الرجال مما روى عن الإمام الحسين (عليه السلام) حين خاطبهم قائلاً: " إنى لا أعلم أصحاباً أولى، ولا خيراً من أصحابى، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتى... فجزاكم الله عنى جميعاً خيرا.. "(1)، فالشاعر يستمد معانيه من أقوال الحسين فى واقعة كربلاء، ويوظفها فى شعره، فهو يستلهم أقوال الإمام وبلاغته يوم عاشوراء.

والملاحظ أنَّ هذا المحور كان أقرب إلى المديح الخالص(2)، وذلك نابع من الموقف المبدئى العالى، والإخلاص للعقيدة اللذين تجسدا فى تصميم هؤلاء الرجال على القتال إلى جنب الإمام الحسين (عليه السلام) على الرغم من أنه خيَّرهم بين البقاء معه أو تركه إن شاؤوا، فما كان من مسلم بن عوسجة إلا ـ وأجاب الإمام قائلاً: " أنحن نتخلى عنك؟ ! ولما نعذر إلى الله فى أداء حقك، أما والله حتى أكسر فى صدورهم رمحى، وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى !!! ولا أفارقك، ولو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى

1- تاريخ الطبرى: 3 / 461، والكامل فى التاريخ: 4 / 57، وفيه: (أوفى) بدلاً من (أولى).
2- ينظر: الأنواء (ديوان شعر): 176 - 177، وأدب الطف: 10 / 36، 212، 215، 217.

أموت معک.."(1).

وقد جسَّد الشعراء هذه المعانی فی مراثیهم للإمام الحسین (علیه السلام)، قال حسین بستانة(2): (من البسیط)

الصائلون کما صالت أوائلهمْ

والفاعلون علی اسم الله ما فعلوا

.....

هم الفوارس ما ذلَّت رقابهمُ

لله ما أرخصوا منها وما بذلوا

هذا الرثاء الإسلامی فی ألفاظه ومعانیه یستند إلی جملة من المقومات، تصب کلها فی إیمان هؤلاء بالقضیة الحسینیة، إذ لم یکن دافعهم لنصرته عصبیة قبلیَّة، ولم یکن لأغراض شخصیَّة، فهؤلاء الرجال موفورو الإیمان علی أتم الاستعداد لبلوغ أعلی ما یشهده المؤمن الکامل من یقین فی رحاب الله(3).

أما المحور الرابع، فکان یتعلَّق بأعداء الحسین، وهو أقرب إلی الهجاء، فقد حاول الشعراء الانطلاق من أحادیث الرسول الکریم فی عقوبة قاتل الحسین إلی ذم هؤلاء، ووعیدهم بعاقبة مخزیة، ومن البدیهی أن یکون یزید بن معاویة أول هؤلاء الأعداء إدانة من لدن الشعراء، فهو الخلیفة وقتئذ، وهو الذی أمر بقتل الحسین (علیه السلام).

یقول بدر شاکر السیاب(4)، مخاطباً یزید، ومستوحیاً حدیثاً للرسول (صلی

1- تاریخ الطبری: 4 / 318، والکامل فی التاریخ: 3 / 285.

2- أدب الطف: 10 / 212.

3- ینظر: الدوافع الذاتیة لأنصار الحسین: 27.

4- أزهار ذابلة وقصائد مجهولة: 88.

الله عليه وآله وسلم)(1): (من الكامل)

حيران فى قعر الجحيم معلق

ما بين ألسنة اللظى الحمراء

أبصرت ظلَّک يا يزيد يرجه

موج اللهيب وعاصف الأنواء

وقد أكد الشعراء الصفات السلبية لأعداء الحسين، وكان تأكيدهم فى المقام الأول على اتباع القوم لأهوائهم، وتركهم لأمر الآخرة، إذ لم يكن لدى هؤلاء مبدأ أو عقيدة يقاتلون من أجلها، " ولو كانوا يحاربون بعقيدة لما لصقت بهم وصمة النفاق، ومسبة الأخلاق "(2)، يقول الشيخ كاظم آل نوح(3): (من الخفيف)

يا لها عصبة أضاعت رشاداً

ونأت عنه يوم فاض الشقاء

من تربى على الشقا كيف يحلو

عنده الحمد والهدى والثناء

وعصوا ناصحاً أطاعوا مضلاً

واستخفت حلومها الأدعياء

ويقول الجواهرى(4): (من الطويل)

وغطى على الأبصارِ حقدٌ فلم تكنْ

لتجهدَ عينٌ أن تمد وتبصرا

فهذا الذم والتشنيع على قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ما هو إلا هجاء إسلامى يقوم على سلب صفة الإيمان من المهجو، لإظهاره بصورة المذموم عند الله.

1- روى عن النبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: " إن قاتل الحسين بن على فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدت يداه ورجلاه بسلاسل من نار... " عيون أخبار الرضا: 1 / 51.

2- أبو الشهداء الحسين بن على: 137.

3- ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 4.

4- ديوان الجواهرى: 2 / 272.

وكانت الأحداث التاريخية معيناً للشعراء، وهم يتوعدون أعداء الحسين بسوء العاقبة، يقول مرتضى ال ياسين(1): (من المتقارب)

دعوتهمُ لاتباع الهدى

فلم تلقَ من أذن صاغيهْ

فخاضوا لظاها وحلوا بها

كما حلَّت الفئة الباغيهْ

كأنَّ الشاعر يستحضر أمامه الجزاء الذى حاق بأعداء الحسين (عليه السلام) بعد سنوات قليلة، على يد المختار الثقفى(2)، فلم " تنقضِ ست سنوات على مصرع الحسين حتى حاق الجزاء بكل رجل أصابه فى كربلاء، فلم يكد يسلم أحد من القتل والتنكيل، مع سوء السمعة، ووسواس الضمير "(3)، فالشاعر يختار من أحداث الثورة الحسينيّة ما يلبى أفكاره، ويسد ما فى نفسه من حاجة إلى التشفى ممن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) من دون أن يراعى حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

1- مجلة الموسم، العدد 12 لسنة 1991: 373.

2- ينظر: مروج الذهب: 3 / 89.

3- أبو الشهداء الحسين بن على: 117 - 118.

الفصل الثانی: مراثی الإمام الحسین علیه السلام الوظائف والأداء

اشارة

توطئة

أولاً: الوظیفة النفسیة

ثانیاً: الوظیفة الاجتماعیة والأخلاقیة

ثالثاً: الوظیفة السیاسیة

توطئة

اشارة

ينطلق الباحث فی هـذا الفصل - والفصول الأخری أيضاً - من ان الادب عامـة، والشـعر خاصـة، لابـدَّ أن يكون هادفاً لتحقيق غاية منشودة؛ نفسـية أو اجتماعية أوأخلاقية أو سياسية مستنداً فی ذلک إلی أمرين: مبدأ الالتزام فی الأدب الذی يقابل مبدأ (الفن للفن)(1)، وإلی استقراء مراثی الإمام الحسـين (عليه السـلام) فی الحقبة موضوع الدراسة، إذ إن تلک المراثی لم تنفک تعالج قضايا الإنسان العربی، فقد عبرت عن هموم الجماهير وطموحاتها، إذ حاول الشـعراء توظيف الحقائق التاريخيـة المتمثلة بأحداث معركة الطف من أجل ربط الحاضـر بالماضـی لمنحه قوة وثراء، ولتأكيد عمق الانتماء التاريخی المتمثل بأنصع صفحات التاريخ، صفحة الثورة الحسينية.

إن أهم ما ميز مراثی الإمام الحسين فی العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين تلک النظرة النقدية للواقع العراقی وهو أمر يدل علی إدراک واعٍ عند الشعراء بمسؤوليتهم التاريخية، وشعورهم بأن غائية الأدب لا تتعارض مطلقاً

1- ينظر: الالتزام فی الشعر العربی: 12، الهامش 1، والأدب وقيم الحياة المعاصرة: 165.

مع قيمه الفنية الخاصة، وقد وجد هؤلاء الشـعراء أنَّ الأدب " يجب أن يندغم فى مشكلات المجتمع... حتى يحيل حياتنا الفردية إلى حياة اجتماعية تترفع عن الهموم الشخصية الصغيرة، وتضطلع بالهموم الإنسانية الكبرى "(1)، لذلک كان التزام هؤلاء الشعراء بقضايا أمتهم وهم يرثون الإمام الحسـين (عليه السلام) معبراً عن التزامهم بمبادئ الثورة الحسينية، لأن تلک المبادئ خير ما ينهض بالإنسان إلى عالم السمو الروحى والأخلاقى(2)، فضـلا عمّا يؤديه رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) من رؤية ذاتية تتمثل فى رجاء التقرب إلى الله عن طريق الإمام الحسـين (عليه السلام) وما ينتج من ذلک الأمر، من شعور بالراحة النفسية، والأمان الداخلى وهكذا نجد إن " الشاعر يهدف إلى خلق عالم أفضل من العالم الـذى نعيش فيه"(3), وهـذا المنحى فى التوظيف الشـعرى يعكس اهتمام الشـعراء بالقضايا الانسانية التى اكدتها الاداب العالمية وافرزتها المتغيرات التاريخية(4) فظهر ذلک واضـحا فى الموضوعات الجديدة , ولا سـيما السياسـية الاجتماعية منها , واستعمال المفردات المعبرة عن تلک الافكار الجديـدة الامر الذى دفع الشـعراء الى ان تكون مراثيهم الحسـينية معبرة عن رسالتهم الانسانية والقومية فضلا عن ما تضمنته تلک المراثى من قيم دينية واخلاقية وتربوية.

لذلک سيكون هذا الفصل فى ثلاثة محاور:

1- الأدب للشعب: 4.

2- ينظر: الأدب السياسى الملتزم فى الإسلام: 41.

3- فى نقد الشعر: 40.

4- ينظر, تطور الفكرة والاسلوب فى الادب العراقى الحديث:77-81.

الأول: الوظيفة النفسية التى تجسد الرؤية الذاتية للشعراء فى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام).

الثانى: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية التى تعبر عن طموحات الشعراء فى بناء مجتمع فاضل.

الثالث: الوظيفة السياسية النى نجد أثرها فى محاولة الشعراء استلهام مبادئ الثورة الحسينية فى رفض الظلم والمطالبة بتحرير الشعوب.

أولاً: الوظيفة النفسية

تتمثل الوظيفة النفسية للشعر عامة - والرثاء خاصة - فى ما تثيره من عواطف كامنة فى النفس، وما يتولد من ذلك من استقرار نفسى، فالنصوص الأدبية المؤثرة "تكشف من أمامنا آفاقا فسيحة من الخيال المجنح، والعاطفة المتقدة"(1)، ويبدو هذا الأمر جلياً فى النصوص التى ترتبط بعقيدة الإنسان يقول أحد الباحثين المعاصرين "إن قراءة القرآن - مثلا - لا تتحفنى بطائفة من الأفكار ولا تحلق بى فى أجواء من التأملات فحسب، ولكنها إلى ذلك تنفحنى نسائم من العواطف، وتثير عندى طائفة من الانفعالات، وقد تفرض على سلوكا معيناً"(2).

إن الإنسان إذا ما آمن بعدالة قضية فإنه يكون من الناحية النفسية مستعدا لتقبل كل ما يدعم ويعزز تلك القضية، وحينما يكون النص الأدبى موظفا لتلك القضية، فإنه سيكون محور التقاء بين المبدع والمتلقى، طالما أن هناك اتفاقاً ضمنياً

1- مناهج الدراسة الأدبية فى الأدب العربى: 103.

2- م. ن: 103.

مشتركاً على قضية واحدة " فالمتلقى حين يتعرض لمادة من هذه المواد فإنه يتحرك باتجاه إصدار حكم عليها والاستجابة لها "(1).

والنقطة الأساسية التى يلتقى عندها الشاعر والمتلقى فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) هى المنزلة العظيمة للإمام، وعدالة قضيته وتضحيته فى سبيلها مما ترتب على ذلك أن يكون الإمام الحسين (عليه السلام) شفيعا لمحبيه وأنصاره.

إن مبدأ الشفاعة من أهم الأسباب التى دفعت الشعراء إلى القول، وجعلت المتلقى يعيش حالات التأثر والتصديق لما يحققه مبدأ الشفاعة من شعور بالأمان النفسى عند المسلم، من هنا كان الحزن على الإمام الحسين (عليه السلام) خيارا يميل إليه الشعراء من أجل نيل شفاعته، للوصول إلى مرضاة الله، وهذا وحده يمكن أن يكون كافياً لبعث الراحة النفسية للشاعر والمتلقى معاً، فالكل بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم يوم القيامة، يقول عبد الحسين الحلى(2): (من الرمل)

أنت لى ركنٌ شديدٌ يوم لا

يُلْتجى إلاّ إلى ركن شديدِ

هذه منى يدٌ مُدت فخذْ

بيدى منک إلى ظل مديدِ

فالإنسان بما هو كائن تتجاذبه الغرائز والنزوات، فإنه سيظل عرضة للخطيئة والتقصير، مما يولد فى داخله أنواعاً من الصراعات التى تزعجه وتقض مضجعه باستمرار، ولاسيما حينما يترائ له ذلک الموقف الرهيب، وهو يعرض للحساب الإلهى، يوم القيامة فيأتى دور الشفيع - الإمام الحسين (عليه السلام) ليخفف من

1- سيكولوجية التذوق الفنى: 67.

2- أدب الطف: 10 / 96.

تلک الصـراعات الداخليـة، وليكون بارقة أمل فى النجاة، وفى الأبيات تأثر واضح بالقران لاسـيما فى قول الشاعر (ركن شديد) ويقول محمد على اليعقوبى(1):

(من الخفيف)

لست أرجو سوى حضوركم يو

م وفاتى وفى الحساب خلاصى

إن ملازمة الحزن لطلب الشـفاعة فى المرثية الحسـينية دليل واضح على إيمان الشعراء بشفاعة الإمام الحسين (عليه لسلام)، فقد " ارتبطت ثورة الحسـين وشخصـيته، ومبـادئه وبطولته وتضـحيته بالأـلم، والألم بالأمل، والأمل بالإنقاذ والخلاص النهائى، لأن البشـرية لا تسـتطيع لوحدها أن تتغلب على الألم البشـرى، وبذلک أصبح الاستشهاد طريق الشفاعة والخلاص "(2)، فالإمام حينما ضحى بنفسه وأصحابه، فإن ذلک كان من أجل خلاص المسـلمين، حتى إن تضـحيته فى سبيل الإسـلام لم تقف عنـد حـد، فقد أعطى الله كل شـىء، فأعطاه الله كل شىء، ومما أعطاه الله للحسين، أن يغفر لمن نصره، ولو ببيت شعر، أوبدمعة حزن(3). يقول محمد على النجار(4): (من الكامل)

وأرى ببعدى عن رثائک جفوةً

فنظمت أبياتا على مقدارى

لأكونَ مصداقَ الأحاديثِ التى

تُروى لنا فى جملة الأخبارِ

من قال فينا بيت شعرٍ واحدٍ

فله جنان الخلد دار قرارِ

1- الذخائر: 40.

2- تراجيديا كربلاء: 308.

3- روى عن الإمام جعفر الصادق (عليه السـلام) أنه قال: " من قال فينا بيت شـعر بنى الله تعالى له بيتاً فى الجنـة ". عيون أخبار الرضا: 2 / 15.

4- الحسين فى الشعر الحلى: 451.

ويقول عباس رشيد الخزاعى(1): (من الخفيف)

تدخلون الجنات من قال فيكم

بيت شعر وقلبه مسرورُ

وشعورى لديكم والقوافى

هى لى عندكم شفيع نصيرُ

فقد جعل الشعراء من شفاعة الإمام الحسين (عليه السلام) وسيلة للخلاص الأخروى، وكانوا يتكلمون بلهجة الواثق المطمئن لرسوخ ذلك المبدأ عندهم، فكان خير وسيلة حاول الشاعر من خلالها الانتقال من "حالة إحساسه الحاد بالواقع؛ واقعه النفسى لذى يموج بألوان الصراع... وعندئذ يكون الدافع إلى الإبداع هو الرغبة فى التخلص من هذا الواقع "(2).

ويقول عبد المنعم الفرطوسى(3): (من البسيط)

أنت الشفيعُ وما عندى لما اكتسبت

يداى غيرك يوم الحشر من أملِ

فقد حاول الشاعر من خلال الكلمة الصادقة تحقيق غايتين تتمثل الأولى بالاستجابة لدافع القول بوصفه إنسانا مبدعا، فيما تتمثل الثانية فى رجائه بنيل شفاعة الإمام الحسين (عليه السلام) لتتوحد الغايتان فى تحقيق جو من الأمان النفسى والاطمئنان الداخلى.

والملاحظ أن الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته عليهم السلام لم يكونوا شفعاء فى الآخرة فحسب، بل إن الشعراء استنجدوا به للخلاص من صعوبات الدنيا ومصائبها، أو لطلب النجاح فى حياتهم يقول يعقوب جعفر

1- م. ن: 372.

2- التفسير النفسى للأدب: 37.

3- ديوان الفرطوسى: 1 / 103.

الحلى(1): (من البسيط)

إنى لأرجوكمُ فى كل نائبةٍ

فإنكم خيرُ مرجوٍ ومنتدبِ

ويقول محسن أبو الحب(2): (من البسيط)

أنتم رجائى وأنتم عدتى وبكم

أرجو النجاةَ فأنتم علةُ العللِ

ويقول عبد القادر رشيد الناصرى (من الخفيف)

يا ابن رب البيان كن لى شفيعا

يوم لا شافعَ سواكم ومطلبْ

واذكُرَنّى لدى إلهک إن جئـ

ـتَ ومن حوله التسابيح تسكبْ

قل له... عبدک المشرد يحيا

فى زحام الحياة من غير مأربْ

غيره ناعم بدنيا الأمانى

وهو فى عالم الشقاء معذبْ

إن هذا المنحى فى طلب الشفاعة والنصرة يكاد يكون ظاهرة عامة فى خواتيم المراثى فى إشارة من الشعراء الى إن حزنهم على سيد الشهداء دليل على إخلاصهم لمنهج أهل البيت عليهم السلام لذلک فمن حقهم أن يتوسلوا به لتحقيق مطالبهم التى تعبر عن نفوس أرهقها الزمن، فلم تجد سوى اللوذ بحمى الحسين (عليه السلام) لاستعادة الثقة بالنفس، وليكون ذلک للشاعر " طريقا فى المثوبة على شعره وقصائده.... كى ينال الشفاعة والأجر والمثوبة "(3).

وقد تلبى المرثية الحاجة النفسية للاقتصاص من أعداء الدين - ممثلين بقتلة الإمام الحسين - فى إشارة إلى حنق الشاعر وغضبه عليهم، وذلک من خلال

1- ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلى: 40.

2- ديوان أبى الحب: 143.

3- طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى (بحث / مجلة جامعة كربلاء): 193.

التحريض على أخذ ثأر الإمام لتحقيق العدالة الإسلامية، يقول عبد المنعم الفرطوسى(1): (من الطويل)

أما آن للموتور أن يطلب الوترا

فيشفى بأخذ الثأر أفئدة حرىَ

وللحق أن تطغى به عزماتهُ

فتنذر أهل الشرك بالبطشةِ الكبرى

وللعلم المنصور أن يبلغ المنى

فيخفق منشورا على الطلعة الغرّا

إن القراءة النفسية لمثل هذه النصوص يمكن أن تكشف عن رغبة الشاعر فى تطبيق العدل الالـهى (وللحق ان تطغى به عزماته)، مثلما تكشف عن المزاج الشخصى للشاعر، ولاسيما إذا عرفنا أن الشاعر - أى شاعر "يقضى عمره فى جهاد ونضال وعراك مع الدنيا والناس ومع الأوهام والأباطيل والأضاليل"(2)، فالفرطوسى الذى عاش حياة بائسة(3).

يمكن أن تعبر أبيات التحريض المتقدمة التى بلغت حوالى 37 بيتاً من أصل 67 بيتاً أى أكثر من نصف المرثية على إعادة الموازنة النفسية للطبقة التى ينتمى لها الشاعر بحكم ما تعرضت له من عوامل القهر والاضطهاد، فمثل هذه الأبيات يمكن أن تكون ردة فعل تتناسب وجسامة القلق الذى يعيشه الشاعر(4)، وقد يحاول الشاعر من خلال التحريض أن يعبر عن ولائه لأهل البيت انطلاقا من التبرء من أعدائهم، فيكون ذلك جزءً من رسالته الأدبية التى تمثل " رسالة التزام هادف

1- ديوان الفرطوسى: 1 / 76.

2- رسالة الأديب: 218.

3- ديوان الفرطوسى: 1 / 18.

4- ينظر: نقد الشعر فى المنظور النفسى: 183.

يدعم القيم القومية والإنسانية ويدافع عن الإنسان كلما لحقه لون من شتى ألوان الاضطهاد"(1). من هنا يمكن أن تفسر دعوات التحريض بأنها دعوات ولائية لا دعوات انتقام من الآخرين، ولاسيما وأن مبادئ الثورة الحسينية تأبى ذلك وقد تنعكس الحالة النفسية للشاعر فى المرثية بصورة تساؤل وشك فى حقائق التاريخ، يقول محمد مهدى الجواهرى(2):

(من المتقارب):

وقلت: لعل دوى السنينِ

بإصداء حادثك المفجعِ

وما رتل المخلصون الدعا

ة من مرسلين ومن سجعِ

.....

يدا فى اصطناع حديث الحسين

بلون أريد له ممتعِ

.....

أريد الحقيقة فى ذاتها

بغير الطبيعة لم تطبعِ

إن نفس الجواهرى فى هذه الأبيات غير مطمئنة لما يراه الشاعر ويسمعه من الدعاة بشأن قضية الحسين (عليه السلام) فيذهب به الشك إلى الشك فيما عنده من مسلمات متوارثة بشأن حديث الحسين (عليه السلام)، يقول الجواهرى(3):

وجاز بى الشكُّ فيما مع الـ

ـجدود الى الشك فيما معى

لكن شك الشاعر لم يكن سلبياً بل كان سبيلاً إلى الوصول إلى حقيقة

1- الشعر والمجتمع: 69.

2- ديوان الجواهرى: 3 / 235.

3- م. ن: 3 / 236.

الثورة الحسينية الناصعة إنه أشبه بشك ديكارت حينما قاده إلى الإيمان بالله(1)، يقول الجواهرى حينما يتجاوز مرحلة الشك(2):

فأسلم طوعا إليک القياد

وأعطاک إذعانة المهطعِ(3)

فقـد حاول الشاعر خلق جو من الاطمئنان الداخلى،الذى قد ينتقل إلى المتلقى، لأن النص الأدبى المؤثر حين يخرج من حوزة المبدع فإنه يتحول إلى ملک مشاع بين المتلقين، فيؤدى الوظيفـة نفسـها والأثر ذاته، فقـد يشـعر المتلقى بما يشـعر به المبـدع إلى درجة أنه يتماهى مع النص فى حال من (الاتحاد الفنى) أى "أن تحس نفسک، والصورة التى تراها، أو الموسـيقى التى تسـمعها شيئاً واحداً"(4)، وهذا وجه مهم من أوجه الوظيفـة النفسـية فى مراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام)، لأن هـذه الوظيفـة لا يمكن أن تفهم إلا ببيان الصـلة بين (أنا) الشاعر و(النحن) الذى يمثل المتلقين "من حيث إنها عملية تمضى نحو إدماج ال (أنا) مع الاخرين فى بناء اجتماعى متكامل هو (النحن)"(5).

وقد تتمثل الوظيفة فى الكشف عن الأبعاد الخفية لحزن الشاعر، ما يسـهل فهمه وتفسـيره، ولاسـيما أن شعراء المراثى الحسينية فى النصف الأول من القرن العشرين لم يكن حزنهم على الإمام الحسين مجرداً من غاياته، فلعل القارئ لا

1- ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: 63، والمعجم الفلسفى: 1 / 705.

2- ديوان الجواهرى: 3 / 237.

3- وردت الكاف فى (إليک) مكسورة فى الديوان، والصحيح فتحها.

4- من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب: 64.

5- الأسس النفسية للإبداع الفنى: 339.

يجد مرثية تخلو من بارقة أمل توحى بأن دولة العدل لا بد من أن تحقق يوما، فالحزن بهذا المعنى حزن إيجابى لا حزن خضوع وانهزام، فقد يكون " الحزن علامة قوة، لا علامة ضعف؛ لأنه يشهد بإدراكنا لقيمة ما نفقد، ولا نكون كذلك إلا ونحن أصحاء.... "(1).

إن هـذا المزيـج الغريب من الحزن والأمـل، ربمـا لاـ نجـد ما يماثله فى أى نوع من الأدب ما خلا مراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام)، فالشاعر يعى حزنه، محاولا فى أغلب الأحيان تبريره بأسباب منطقية يقول عبد الحسين الازرى(2): (من الكامل)

لا غرو إن طوت المنيةُ ماجدا

كثرت مآثره وعاش قليلا

فهذه خصيصة الإنسان المؤمن الذى ينطلق من الحزن ليصنع الفرح، أو فى حزنه يكمن الفرح.

ويصور يعقوب جعفر الحلى حزن عدد من الأنبياء على الإمام الحسين (عليه السلام)، لإضفاء الشرعية على حزنه، فيقول(3):

(من الوافر)

وموسى راح وهو به كليمٌ

وفيه أسىً بكى عيسى المسيحُ

وأكرم أنبياء الله طه

وأشرفهم غدا فيه ينوحُ

ألا تهوى السماء وذا حسين

على الغبراء منعفر طريحُ

1- رسالة الأديب: 248.

2- ديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 339.

3- ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلى: 66.

فالشاعر فى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) لا يكتفى بالحزن، بل يحاول أن يسجل أسبابه، وقد يتعدى الأمر إلى المطالبة، والحث على الحزن، يقول محسن أبو الحب(1): (من البسيط)

فرضٌ علينا ثياب الحزن نلبسها

على الحسين بن طه سيد الرسلِ

ونذرف الدمع حزنا لأبن فاطمةٍ

من القلوب دماءً لا من المقلِ

فقد حاول هؤلاء الشعراء أن يكون حزنهم على الإمام الحسين (عليه السلام) منسجما مع حزن الأنبياء والوجود على سيد الشهداء أنه جزء من الحزن العظيم الذى " لا يكون إلا من نصيب الرجل العظيم، ولو كان البكاء عيباً لنزه الله الأنبياء عن البكاء "(2).

إن هذه النصوص الحزينة تكشف عن الواقع اللامرئى المتمثل بخبايا النفس الإنسانية، ولاسيما عند النفوس التى تتحسس مرارة الواقع، فليس كل إنسان بقادر على الرؤية الفاحصة والدقيقة لواقعه، فالإنسان غير الفنان لا يرى ما يراه الفنان أو الشاعر، أو لا يستطيع أن يعبر عما يراه بالطريقة نفسها التى يعبر بها الشاعر فخلف كل بيت شعر يوجد العديد من المعانى والصور، وخلف كل كلمة حزن يكمن واقع مرير، واقع الشاعر نفسه وقد يفرغ الشاعر كل آلامه وأحزانه فى رثائه للإمام الحسين (عليه السلام) يقول الشيخ كاظم آل نوح(3): (من الخفيف)

سئمتْ نفسهُ الحياةَ ليحيى الـ

ـدين إذ قتله به إحياءُ

1- ديوان أبى الحب: 141.

2- رسالة الأديب: 248.

3- ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 5.

نصر الدينَ دينَ احمد إذ سا

قت جيوشا لحربه الطلقاءُ

إن الشاعر يستشـرف الواقع من خلال تحسسه لما يثيره هذا الواقع فى نفسه من هموم ومتاعب، يحاول إفراغها فى البكاء على الإمام الحسين (عليه السـلام) وكأن الإمام الحسـين (عليه السلام) بما شهد من مآس يمثل المثل الأعلى لأحزان الشاعر كلها " فلكى يعقل الإنسان العالم ونفسه لا بـد له من أن يخرج عنهما، وأن يحتل منهما برج المراقبة..... "(1)، فإن التعبير (سئمت نفسه) يمكن أن يكون إشارة واضحة لما يشـعر به الشاعر نفسه، لذلك فإن مثل هذه المعانى تجسد قصة النفوس التى حاصـرها عبء الواقع فلم تجد سوى الحسـين (عليه السـلام) ملجأ تلوذ برياض ذكره العطرة، وهـذا لا يعنى هروباً من مواجهـة ذلك الواقع أو نكوصاً من الشاعر بل محاولـة لاكتشاف الذات من جديد، الذات التى لا تجد نفسها إلا بحضرة الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا ما يطلق عليه علماء النفس بالوقاية النفسية التى يلجأ إليها الإنسان للوذ " بتلك الأنماط السلوكية التى سبق للشخص أن ألفها واطمأن إليها "(2)، يقول السيد محمد جمال الهاشمى(3): (من الطويل)

فعذرا أبا السجاد طفحةَ شاعرٍ

يحاول أن يرمى إليک بسلمِ

وأنت الذى قد حاول الفكر سبره

ففاض ببحر من معانيک مفعمِ

لذاک اتخذت الدمع للشعر مجهرا

يرى فيه أسرار الوجود المطلسمِ

فما كنت إلا عالما مترامیا

يشع بأقمارٍ ويزهو بأنجمِ

1- علم النفس والأدب: 144.

2- موسوعة علم النفس: 144 - 145.

3- مع النبى وآله: 1 / 194.

إن الشاعر بوصفه إنساناً فناناً لا بد وأن حاجاته النفسية تبقى بلا إشباع فى الأغلب، وأن الخيارات المطروحة أمامه، قد لا تتناسب ومزاجه، مما يؤدى به إلى حالة من التوتر التى لا يستطيع تحملها، لذلك يعمل جاهدا لخفض ذلك التوتر باللجوء إلى رحاب الشخصيات العظيمة كالإمام الحسين (عليه السلام) الذين يمثلون له عالماً من الأمان، وقدوات أنموذجية " وهكذا تتجسد فى الفنان المبدع همومه وهموم عصره، ويستقطب قلقاً إنسانياً، فيتفاعل فى داخله قلقه الذاتى، وقلق مجتمعه وأمته، وقلق إنسانى عام "(1).

إن قنوات الاتصال بين الشاعر والمتلقى مهيأة تماما فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال اشتراكهما فى هم واحد، ومأساة واحدة مما يخلق " تطابقاً بين محتوى الاتصال (موضوع الرثاء) ومحتوى العملية الإبداعية التى تتنقل نتائجها عن طريق العمل الفنى المنجز "(2)، ويبدو ذلك واضحاً من خلال عنصر المأساة فى الحدث الحسينى، الذى يمثل عاملا مشتركا بين الشاعر والمتلقى مما يخلق جوا من التلاحم بين العمل المنتج والمستقبل، يقول السيد مسلم الحلى(3):

(من البسيط):

لقد مضيتَ وقد خلفتها مُثُلا

بقين فينا مثال العز والعظمِ

دروس تضحية للمؤمنين بها

إذا مضت أمم تلقى إلى أممِ

1- الإبداع فى الفن: 66.

2- علم النفس الفنى: 212.

3- يوم الحسين: 48.

ويقول حسين على الأعظمى(1) (من الرمل):

دمه الذكرُ الذى ننشده

كلما لاح صباحٌ ومساءُ

فقد حاول الشاعران أن يتكلما بلسان الجمع فى إشارة إلى اشتراك الآخر - المتلقى - فى الحزن، فالشاعر يحاول فى أغلب الأحيان أن يكون أدبه جماعياً لم " ينظمه... لمجرد أنه الرأى السائد فى جماعته، بل لأنه أحس هو إحساساً عنيفاً قاهراً بهذه العاطفة، وهذا الإحساس هو الذى أرغمه على أن ينتج أدبه "(2)، وهذا يعنى أنَّ الشاعر العراقى فى رثائه الإمام الحسين (عليه السلام) يحمل بين جنباته هموم قطاعات واسعة من الناس تشترك كلها فى الإيمان بعدالة القضية الحسينية، وهذا واضح فى استعماله بكثرة لضمائر الجمع (نا، نحن).

ثانياً: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية

لقد أكد عدد من النقاد على أهمية العوامل الاجتماعية فى إنتاج الأدب؛ هذه العوامل تتمثل عندهم بجملة من الأمور منها: الوضع الاقتصادى للمؤلف، والوضع المهنى وطبقته الاجتماعية، ونظرته للتراث(3).

ومن خلال تلك العوامل يمكن فهم الوظيفة الاجتماعية للأدب، وتفسير أهدافه وغاياته.

إما فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)، فإنه يصعب فهم عدد من

1- مجلة البيان (ع 11 - 14) لسنة 1947: 39.

2- وظيفة الأدب: 88.

3- ينظر: التحليل الاجتماعى للأدب: 117.

الموضوعات التى يؤكد عليها الشعراء، ما لم يتم فهم العوامل الاجتماعية التى تؤثر فى الشعراء، ومن تلك الموضوعات؛ دعوة الشعراء إلى أخذ الثأر والتحريض واستنهاض الإمام الثانى عشر على وجه الخصوص فبدون الرجوع إلى الخلفية الاجتماعية للشاعر، ومنابع ثقافته، واتجاهه العقائدى، لا يمكن إيجاد معنى منطقياً يفسر تلك المفاهيم، لكن المتلقى المعين، والمقصود من قبل الشاعر قد لا يرى فى الأمر مشكلة فى فهم مثل تلك الدعوات، إذ إن الفهم المشترک بين الشاعر والمتلقى يساعد على إدامة عملية التواصل بينهما، محدثا تأثيرا وتأثرا بين الطرفين، مما انعكس على أن تكون المرثية عاملا مهما من عوامل توجيه الجماهير، وزيادة تفاعلهم مع الحدث الاجتماعى والسياسى.

ويمكن القول إن الوظيفة الاجتماعية لمراثى الإمام الحسين (عليه السلام) تتمثل فى إبرازها لحقيقة الصراع بين الخير والشر، هذا الصراع الذى وجد مع وجود الإنسان، وسوف يستمر ما شاء الله له الاستمرار، ولكل طرف من طرفى هذا الصراع من يمثله، فالأبطال والشهداء والمضحون من أجل المبادئ الإنسانية، يمثلون الطرف الأول - الخير - أما الظالمون والأشرار، الذين يحاولون إعاقة مسيرة البشرية نحو الكمال، فإنهم يمثلون طرف الشر، هذا المعنى جسده الشعراء العراقيون فى مراثيهم الحسينية، بشكل لا يقبل اللبس، فالحسين الذى جسَّد معالم الفضيلة كان رمزاً سامياً كاملاً لمفاهيم الخير، فقد كان " أنموذجا لأفضل المزايا الهاشمية "(1) فضلا عن إنه ابن بنت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) واقرب الناس

1- أبو الشهداء الحسين بن على: 50.

إليه، وأكثرهم محبـة له، أما يزيـد الذى لـم يكن " نموذجا لأفضل المزايا الأموية، بل كان فيه الكثير من عيوب أسـرته ولـم يكن له من مناقبها المحمودة إلا القليل"(1)، فكان يمثل طرف الشر.

كان هـذا التقابل بين طرفى معركة كربلاء محورا مهما حاول الشـعراء العراقيون فى النصف الاول من القرن العشـرين اسـتثماره فى إبراز إن ذلـك الصـراع لـم ينته ما زالت هناك نفوس خيرة وأخرى شـريرة، ففى كل زمان حسـين (عليه السـلام) وفى كل مكان كربلاء. يقول محمد صالح بحر العلوم(2) (من الطويل)

فجيعة يوم الطف تروى فصولها

أصولُ حياةٍ طورها يتجددُ

وتضحية الحر الشهيد بنفسهِ

شهادة حق باسمها الحقُّ ينشدُ

وقريب من هذا المعنى قول السيد محمد جمال الهاشمى(3): (من الخفيف)

حادثٌ أفجعَ القرونَ فلا تن

فكُّ من هول يومه تتبرمْ

هكذا سنة الزمان، فحق

مستضام وظالم يتظلمْ

فالثورة التى أعلنها الإمام الحسـين (عليه السـلام) نجد صداها فى ثنايا الأيام، إلى الأبد، حينما يطل الشـر برأسه بين الفينة والأخرى لتدمغه وتكبح جماحه، بقوة المبادئ التى استشـهد من أجلها سيد الشهداء (عليه السلام) لتؤكد حقيقة غلبة الخير فى آخر الأمر، يقول عبد الحميد السماوى(4): (من الطويل):

1- م. ن: 50.

2- ديوان بحر العلوم: 2 / 122.

3- مع النبى وآله: 1 / 188.

4- ديوان السماوى: 378.

سلى كيف أودى فى أمية بغيها

وكيف انطوى سلطانها المتوغلُ

وكيف تلاشى رمزها بعدما رنا

إلى مجدها طرف من الدهر أحولُ

هوى صرحها الأعلى فأضحى بجنبه

يرن من العدل الإلهى معولُ

فالشاعر يؤكـد حتميـة العـدل الإلهى، كوظيفة اجتماعية أخلاقية فقد يمهل الإله من تسول له نفسه الظلم والطغيان، لكنه لا يهملهم يعيثون فى الأرض فساداً، فسـرعان ما يفتك بهم ويجعلهم نسـياً منسـياً، بعكس الصالحين والخيرين، وقـد كان ذلک من أهم الحقائق التى أكـدها القرآن الكريم.

والشاعر حينما يضع تلک الحقيقـة نصب عينيه، ويوظفها فنيا، فإنما يعبر بـذلک عن آمال الجماهير، ويرضـى خواطرهم فى الاقتصاص من الظالمين، فالشاعر فى الرثاء الحسـينى معبر عما يختلج فى الذاكرة الجمعية للجمهور، إذ ليس من المبالغة القول إن الجمهور مدين للشاعر بوصـفه الناطق باسـمه، المعبر عن طموحه وقـد ينصـهر صوت الشاعر مع صوت الملايين من الشـعب، حتى ليبدو الخطاب باسم الجماعة يخفى من ورائه هموم شعب بحاله، وفى إحدى مراثيه الحسينية يقول محمد صالح بحر العلوم معبرا عن تلک الحقيقة(1):

(من الكامل)

أنا صورة الشعبِ الذى نفض الكرى

عن مقلتيه وثار ليثا مرعبا

ناغيته طفلا وصنت لواءَهُ

كهلا وارفع فيه رأسى أشيبا

وأقمت فى بيتى تجاربَ أمسهِ

عينا تقيه تصدّعا وتشعبا

البيتُ بيتى والحفيظةُ فى دمى

والشعبُ قوّتى التى لن تغلبا

1- ديوان بحر العلوم: 2 / 86.

فالشاعر يظهر إيمانه بالشعب كقوة لا تغلب، وهو قادر على تحقيق ما يصبو إليه " لذا فإن الشاعر حاول أن يجعل من تجربته الذاتية تجربة جماعية تعبر عن تطلعات المجموع وهمومهم "(1)، وهذا الارتباط بين (أنا) الشاعر و(النحن) وتعبيره عن هموم الطبقات المحرومة كان حافزا مهما للطرفين: الشاعر والجمهور فى إدامة التفاعل فى ظل خيمة القضية الحسينية، فكان ذلک سببا وراء هذا الكم الهائل من المراثى، وإذا كان أحد الباحثين يقول أنه لم يعلم أنَّ " شاعراً عربياً حتى اليوم لم يعرض فى شعره - ولو جزئياً - إلى الحسين وثورته إلا نادراً "(2)، فكيف بالشعراء العراقيين الذين حلَّت بين ظهرانيهم فاجعة كربلاء، وسالت تلک الدماء الزكية على أرضهم، لذلک فقد تميز بالاصالة، وأصالة المرثية الحسينية لا تعنى التفرد المطلق فى الرثاء، بل تعنى شدة الولاء، وصدق الإخلاص للقضية التى آمن بها الشعراء الحسينيون، فالفكرة الأصيلة " لا تعنى أن أحداً لم يفكر فيها أبدا من قبل....."(3)، إذ إن الأصالة فى الإبداع نسبية ومشروطة بظروفها التاريخية والاجتماعية، فشخصية الشاعر " تعيش فى بيئة ذات مضمون ثقافى تاريخى اجتماعى، تتبادل معها الأثر والتأثير بطريقة دينامية متفاعلة من خلال إطار نوعى اكتسب مضمونه من الخارج "(4)، ترى ذلک واضحاً فى الأثر الاجتماعى التى

1- القيم الإسلامية فى الشعر العراقى الحديث، رائد فؤاد الرديني، (رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد، 2002): 21.

2- الإمام الحسين (عليه السلام) عملاق الفكر الثورى: 355.

3- الإبداع والشخصيَّة، دراسة سيكولوجية: 316.

4- مشكلة الإبداع الفنى رؤية جديدة: 279.

تتسم به مفردات المراثى الحسينية، إذ إن العلاقات الاجتماعية بين الشاعر ومعارفه تأثرت بقضية استشهاد الإمام (عليه السلام)، فاصطبغت المراثى بين الأصدقاء بالطابع الحسينى، فالفن يعد مجهودا مشرقا لأجيال من المبدعين الذين يتعاقبون جيلا بعد جيل، يؤثرون فى المجتمع، ويؤثر المجتمع فيهم، وفى هذا التفاعل بين الطرفين كمن سر بقاء الادب وديمومته.

وهذا السيد محمد سعيد الحبوبى يتأثر بوفاة أحد أصدقائه(1)، فيرثيه بمرثاة أقرب إلى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) يقول(2): (من الكامل)

كان المحرم مخبرا فاريتنا

يا جعفر فيه الحسين قتيلا

فكأن جسمک جسمه لكنه

كان العفير وكنت أنت غسيلا

وكأن راسک راسه لو لم يكن

عن منكبيه مميزا مفصولا

وجبينک الوضاح مثل جبينه

بلجاً وليس كمثله تجديلا

وحملت أنت مشرفا أيدى الورى

وثوى بنعش لم يكن محمولا

إن تنأ عنا راحلا كرحيله

فلرب سجاد تركت عليلا

فقد كان الحدث الحسينى حاضراً فى ذهن الشاعر، لم يغب عن باله، إذ إنه يراه مجسداً فى كل ما يثير أشجانه ولواعجه إن هذا التماهى بين حزن الشاعر وهمومه الاجتماعية وحزنه على الإمام الحسين (عليه السلام) يؤكد الأثر العميق للأبعاد الاجتماعية فى الحزن على الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو أمر يكاد يكون طبيعيا " فالأعمال الفنية تتألف دائما من موضوعات لها دلالة اجتماعية،

1- هو السيد جعفر القزوينى، ينظر: ديوان السيد محمد سعيد الحبوبى: 423.

2- م. ن: 424.

وللألفاظ والأنغام والأشكال ارتباطات انفعالية تتسم بأنها اجتماعية "(1)، ويبدو أن رؤية الشعراء لخلود المأساة الحسينية كانت تعود فى أحوال كثيرة إلى عوامل اجتماعية يمكن تفسيرها " فى التطابق الذى يوجد بين الموضوعات الرئيسة والاجتماعية والعاطفية والقيم والنماذج التى يصورها العمل الأدبى، وبين القيم والنماذج المتمثلة تمثيلا قويا عند الجمهور المتلقى"(2).

يقول السيد مصطفى جمال الدين(3): (من الكامل)

مولاى... رزؤك خالد أبدا

كخلود هذا الفتح فى الحقبِ

إن أحزان الشعراء لا تنفصل عن واقعهم الاجتماعى، لذلك فقد وجد الشعراء العراقيون فى قضية الإمام الحسين (عليه السلام) إطاراً يغلفون به أحزانهم، ويبثّون شكواهم، فالشاعر يستجيب لنداء ذاته الكئيبة على الإمام الحسين (عليه السلام) بقدر ما يستجيب لضغوط العوامل الاجتماعية المؤثرة عليه، فالشاعر - أى شاعر " ابن المجتمع، مصنوع بوجدانه ومضغوط بعناصره فى النواميس والأعراف والقيم، ولكن الشاعر الحقيقى هو ابن ذاته أيضاً "(4).

يقول محمد حسن أبو المحاسن(5): (من البسيط)

دنيا لآل رسول الله ما اتسقتْ

أنى تؤملها تصفو وتتسقُ

1- فى النقد الأدبى الحديث منطلقات وتطبيقات: 176.

2- التحليل الاجتماعى للأدب: 144.

3- الديوان: 2 / 166.

4- نقد الشعر فى المنظور النفسى: 91.

5- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 147.

فالشاعر فی حضـرة الإمام الحسـین (علیه السـلام) - وأهل بیته - وجد الظلم وغیاب العدل، قد أصـبح حداً وغایة لما فی المجتمع من ظلم وقسوة، لکن الشـعراء وبرغم أحزانهم حاولوا التأسـی والصبر إقتداءً بسـید الشـهداء فلم تکن المراثی حزنا کلها، إنما وجد الشعراء إن الظلم والحیف الذی لحق بالإمام الحسـین (علیه السـلام) کانت تقابله الشجاعة بأزهی صورها ومن ذلک التناظر استحث الشعراء قرائحهم لخلق حالة من الاسـتنفار مشـفوعة بالحزن، لیکون رثاء الإمام الحسین (علیه السلام) عبرة واعتباراً لکل من یؤمن بعدالة قضیته، یقول حسین علی الأعظمی (من البسیط)(1):

رأی الحسین إلی الدنیا التی غدرت

به وعاثت بآل البیت فی نکدِ

فودع الأهل والدنیا وصال علی

أعدائه مستمیتا صولة الأسدِ

إن رفض الحسـین (علیه السـلام) لواقع الحال المرفوض، وبتلک النفس الأبیة، وتضـحیته بنفسه وأصحابه لهو درس نموذجی لا یمحی أثره، ولا ینضب مفعوله ومثل " هذا الشعر لیس تقریراً لواقع الحال فقط وإنما هو دعوة لما یجب أن یکون، ولما یریده الشاعر أن یکون الأمر علیه بلا شک "(2)، لذلک یقول الشاعر نفسه - الأعظمی - فی المرثیة ذاتها(3).

إن مت احییتَ آمالا موحدةً

وأمةً مالها فی الدهر من بددِ

فقد قرن الشاعر بین استشهاد الإمام الحسین (علیه السلام) وإحیاء الأمل فی

1- مجلة الغری ع6 لسنة 1945: 81.

2- الأدب السیاسی الملتزم فی الإسلام: 53.

3- مجلة الغری ع6 لسنة 1945: 82.

النفوس فی إنقاذ الأمة من الظلم، ولا شک أن ذلک هدف اجتماعی مهم، حاول الشاعر الالتفات إلیه، فحساسیته بوصفه فنانا"تمکنه من الالتفات إلی ما لا یلتفت إلیه الجمهور، کما تمکنه من الکشف عن جوانب إنسانیة لا تبرز عادة إلی مستوی الوعی العادی"(1).

ومن القیم التی أکد علیها الشاعر؛ قیمة الصبر، بوصفها قیمة ارتبطت بالواقع الاجتماعی للعراق فی النصف الأول من القرن العشرین فالتقلبات السیاسیة وما تبعها من عدم استقرار الأحوال المادیة والمعاشیة، وما رافق ذلک من هیمنة أجنبیة، فرض علی الشعراء أن یروا فی الصبر شراً لا بد من قبوله، والصبر من الأمور الحمیدة عند العرب، وقد قیل " خیر الأمور مغبة الصبر"(2)، فالشاعر فی الرثاء الحسینی یتأسی بصبر الحسین (علیه السلام)، ثم إنه لا یری خیاراً غیر الصبر لما هو فیه، یقول یعقوب الحاج جعفر الحلی(3):

(من الطویل)

أری کلَّ رزءٍ یجملُ الصبرُ عنده

وما الصبر فی رزء الحسین جمیلُ

فالمعنی الضمنی فی البیت یؤکد علی تهوین الصبر وقبوله فللإنسان أن یصبر علی ما ینوبه، لکنه مع نائبة الحسین (علیه السلام) قد یتعذر علیه الصبر، وقد یظهر الشاعر اهتمامه بقیمة الصبر علی لسان حال الإمام الحسین (علیه السلام)، وهو یقوی من عزیمة أهل بیته، یقول یعقوب الحاج جعفر الحلی فی مرثیة

1- مفهوم الشعر: 274.

2- جمهرة وصایا العرب: 1 / 120.

3- دیوان الشیخ یعقوب الحاج جعفر الحلی: 142.

أخرى(1):

(من الطويل)

فقال اصبروا فاللهُ خيرُ خليفةٍ

عليكم وأبقى بل أبرّ وأرفقُ

هنا تبين عاقبة الصبر فى توجيه الإمام لأهل بيته، فالصابرون على ما يريد الله لا بد إنهم سيجازون الثواب العظيم، وهذا المعنى طالما أكّد عليه القرآن الكريم.

وقد يذكر الشاعر صبر أصحاب الحسين (عليه السلام) فى ساحة المعركة، لما فى ذلك من قيمة توجيهية للشباب المسلم، يقول محمد حسن أبو المحاسن(2): (من البسيط)

والصبر أثبت فى يوم الوغى حلقا

إذا تطاير من وقع الضبا الحلقُ

رسوا كأنهم هضب بمعتركٍ

ضنكٍ عواصفه بالموت تختفقُ

ولابسين ثياب النقع ضافية

كأن نقع المذاكى الوشى والسرقُ(3)

فقد أكد الشاعر صعوبة الصبر فى ساحات القتال، وكأنه يهيب بأبناء جلدته أن يجعلوا الصبر وسيلة لتحقيق ما يصبون إليه.

ويقول حسين على الأعظمى(4) (من البسيط):

ألهمْتَنا الصبرَ فى الأحداث وهو كما

تراه فى كل ضيق خير مستندِ

1- م. ن: 133.

2- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 148.

3- فى الطبعة الثانية من الديوان وردت (والمزق)، ينظر: ديوان محمد حسن أبى المحاسن: 136.

4- مجلة الغرى: ع 6 لسنة 1945: 82.

فالشاعر يؤكد إن أهم ما فى الثورة الحسينية هو صبر الإمام الذى أصبح درسا لكل الصابرين والمثابرين من أجل تحصيل مراضيهم.

ومن القيم الأخرى التى أكد عليها الشعراء: العدل، فقد حاول الشعراء نقد الواقع الاجتماعى من خلال تصويرهم لغياب العدل فيه، يقول الشاعر إبراهيم الوائلى(1): (من المتقارب)

امور تدار ولكنها

على غير ما سُن او شرعا

وحكم يناط برأى الجهول

ليصنع ما شاء ان يصنع

فالإحساس بالظلم والإحباط نتيجة غياب العدل دفع الشاعر إلى التوجه إلى الإمام الحسين (عليه السلام) شاكياً له حال الأمة، ولا يخفى ما فى البيت من قيمة نقدية لاذعة للمجتمع، فإن إنسانية أى مجتمع تقاس بمدى توفر العدل بين أفراده، فإن غاب عنه العدل فإنه سيصبح لا محالة مجتمعاً يفرق بين الناس فيتفشى الظلم وتسود الجاهلية.

أما قيمة الشجاعة فقد اكتسبت مشروعيتها وأهميتها فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفها أهم ما يرغب العربى أن يتحلى به من صفات، ففى مجتمع - كالمجتمع العراقى - وقد تجاذبته الأحداث السياسية، والتيارات الثقافية والفكرية، لا بد أن تكون الشجاعة هى الحل الأمثل لأغلب مشكلاته؛ هذه الشجاعة يمكن أن تسمى شجاعة الحق، إذ إنها لسيت موجهة للانتقام من أحد بل "هى قيمة تكتسب اجتماعيا، وهى تقدم فكرى، بقدر ما هى تقدم أخلاقى، وهى

1- ديوان الوائلى: 1 / 178.

فضيلة اجتماعية فى روحها"(1)، فلا غرابة أن يتوجه الشعراء إلى رحاب الحسين (عليه السلام) مشيدين بشجاعته وشجاعة أصحابه، مستنهضين شباب الأمة، ليبثوا فيهم الروح المعنوية التى من خلالها يثبت الشعب وجوده ويحقق هويته بعد عقود طويلة من الاستلاب وغياب الشخصية. يقول محمد جواد الغبان(2): (من الكامل)

فأعد أبا الشهداء نهضتک التى

قد قمت فيها بالفضيلة صادعا

لترد للنشئ الغرير رشاده

وله تكون عن الغواية صادعا

واهتف بهم: جدوا بحزم واعملوا

(أن ليس للإنسان إلا ما سعى)(3)

فقد أكد الشاعر على أهمية العزم لتحقيق المطالب والذى لا يكتمل من دون أن يكون الإنسان شجاعاً، لذلک راح الشاعر يخاطب الإمام أبا عبد الله بأن يلهم الشباب مبادئ ثورته وشيئاً من شجاعته، ليوفقوا فى مساعيهم من أجل بناء أوطانهم. إن هذه الشجاعة المستوحاة من وقفة الإمام الحسين (عليه السلام) فى كربلاء حاول الشعراء من خلالها رسم النموذج القدوة لما يجب أن يكون عليه المرء ليكون دوره فاعلاً فى مجتمعه.

وأكد الشعراء عدم اهابة الموت، لأن الموتَ أجل عند الله إذ لا يموت الإنسان إلا بيومه الذى قرره الله، ولا دخل للإنسان فى ذلک، فالقضاء مقدر، والإقدام والشجاعة لا علاقة بها بأجل الإنسان، فكم مقاتل مغامر عاش طويلاً،

1- القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية فى وصايا عصر قبل الإسلام الشعرية والنثرية، سهام حسين جواد، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات - جامعة تكريت، 2002: 24.

2- مجلة الغرى (ع 9 - 10) لسنة 1948: 23.

3- سورة النجم، الآية / 39.

وكم من خائف مات فی أتفه الأسباب، لذلک فإن شعراء المراثی طالما أکدوا علی هذه الحقیقة من خلال تصویرهم لاستشهاد الإمام (علیه السلام) الذی کان نتیجة للإرادة الإلهیة، ولم یمت الإمام (علیه السلام) غلبةً، من ذلک قول السید مهدی الطالقانی(1): (من الکامل)

أفدیه حیث یصولُ صولة جده

فیغوصُ فی جمع الأعادی مفردا

.....

حتی إذا شاء الإله بأن یری

ذاک الهمام مجدلاً بین العدی

نادته داعیة القضاء فخر عن

ظهر الجواد ملبیاً ذاک الندا

فقد أکد الشاعر إن الإمام الحسین (علیه السلام) حینما سقط شهیدا فإنما کان ذلک لأمر الله وإرادته، ولیس لأسباب خاصة بظروف المعرکة، وهذا درس لمن یخافون الإقدام، وقد قالت العرب "إن الشجاعة وقایة، والجبن مقتلة، ولذلک من یقتل مدبراً أکثر ممن یقتل مقبلاً"(2).

وقد یستنهض الشاعر الشباب من خلال بث روح الشجاعة فیهم مستوحیاً مبادئ الإمام الحسن (علیه السلام) التی علمت الإنسانیة معنی الشجاعة والعزم، من ذلک قول السید راضی الطباطبائی(3): (من الطویل)

فهیا شبابَ العصرِ وانهج کنهجهم

فإن حسیناً لا یریدُ لک اللطما

ألیس أبی الضیم ضحی بنفسهِ

وقد علَّم الناس الشجاعة والعزما

1- دیوان السید مهدی الطالقانی: 79.

2- العقد الفرید: 1 / 100.

3- مجلة البیان: ع (57 - 58) لسنة 1948: 234.

فقـد أكـد الشاعر أهميـة الشـجاعة فى تغير الواقع من خلال تأكيـده على الإقتداء بثورة الإمام الحسـين (عليه السـلام) التى تأبى الضـعف والوهن، والتى علمت الإنسانيـة كيف تصبر لكى تنتصـر ومما يرتبط بالشـجاعة، مسألة أخذ الثأر، وذلک باسـتنهاض الأئمة لينتصـفوا ممن ظلمهم، لذلک لم يعد طلب الثأر يتجه لتلبية غايات محدودة وضـيقة، كما كان قبل الإسلام(1)، بل أصبح فى مراثى الإمام الحسين (عليه السـلام) يتجه إلى الاقتصـاص من أعـداء الإسـلام المـاثلين فى كـل مكان وزمان، يقول إبراهيم الوائلى(2) مخاطبا الإمام الحسـين (عليه السلام):

(من البسيط)

قل للكتائب تنهض من مراقدها

فقد خلت من صهيل الخيل بيداءُ

ولب للحق يا ابن الحق دعوته

فقد عراه من التضليل إعياءُ

كتيبة الله لم تهدأ على ترة

أو تستجب للتغاضى وهى خرساءُ

هـذه الأبيات تعبر عن حاجة الجماهير إلى من يأخذ بيدها لإعادة الأمور إلى نصابها، وقد وجد الشاعر بأن القيادة الحقة، هى القيادة الإلهية المتمثلـة فى أئمـة أهـل البيت عليهم السـلام، فهم القـادة وهم الأمنـاء على المسـلمين ويقول عبـد المنعم الفرطوسـى مسـتنهضاً الإمـام المهدى(3) (عليه السلام): (من السريع)

فاظهر فدتک النفس من غائب

لأنفس ملّت من الانتظارْ

1- القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية فى وصايا عصر قبل الإسلام الشعرية والنثرية (رسالة ماجستير): 8.

2- ديوان الوائلى: 1 / 171.

3- ديوان الفرطوسى: 1 / 96.

إن مثل هـذه الدعوات تعبر عن إيمان الشـعراء بأن الأئمة حاضـرون بينهم، وتشـير إلى وطأة الواقع الذى لا يمكن تخفيفها إلا بظهور الإمام المهـدى، وتؤكـد على تفاعل الشاعر مع مشـكلات عصـره لأن " المشـكلات الاجتماعية الحيوية للعصـر الذى بعيش فيه الفنان هى التى تحفزه على الإنتاج الفنى "(1).

وقـد حاول الشـعراء إبراز حقيقـة إن ما اصاب الأمـة كان بفعل إهمالها لمبادئ الإسـلام التى جسدها بشـكل واضح الإمام الحسـين (عليه السلام) فى كربلاء يقول مظهر اطميش(2): (من مجزوء الرمل)

إنها ذكرى تسامت

بالإبا معنى ومبنى

إنها ذكرى صراع

هد للطغيان حصنا

.....

إنها الذكرى التى

من أجلها نحن اجتمعنا

ما اجتمعنا لبكاء

فالبكا يورث حزنا

كم لنا فيها عظات

ليتنا فيها اتعظنا

وترسمنا طريقاً

خطَّه السبط إلينا

لعرفنا كيف نبنى

وطنا فيه خلقنا

وعلمنا كيف ننشئ

أمة المجد لنهنا

فالشاعر يؤكد أن ما يوجد من سـلبيات يمكن أن يعزى إلى إهمال دروس الثورة الحسـينية، وقد جمع الشاعر بين الشـكوى والتحسر على ما وصل إليه واقع

1- فى النقد الأدبى الحديث منطلقات وتطبيقات: 175.

2- أصداء الحياة: 74 ـ 76.

الأمة جراء إهمالها لذلک التاريخ المجيد الذى لم يستثمره أبناء العصر من أجل بناء مجتمع صحيح، وقريب من هذا المعنى قول محمد جواد الغبان(1): (من الكامل)

إيهٍ أبا الشهداءِ دعوة صارخٍ

ينعى إليک عُلا ومجدا ضائعا

لو كنت تلقى نظرةً فى وضعنا

لرأيت منه ما يردک جازعا

نشء غرير لم يسرْ نحو العلى

الا تقهقر للضلالةِ راجعا

نبذ التآزرَ والتكاتفَ مذْ غدا الـ

ـعدوان والخذلان فيه شائعا

وجنت عليه مبادئ هدامةٌ

نشروا بهن مخازيا وفضائعا

كم بائع لضميرهِ وضميرهُ

يدعو بحزن ما أخسک بائعا

فهذه الأبيات تدل بوضوح على نظرة الشاعر النقدية لمجتمعه والحال الذى وصل إليه الشباب الذى ترک الإقتداء بعظماء المسلمين وتمسک بتلک الثقافات البعيدة عن الواقع العراقى - بحسب ما يراه الشاعر - فهذه شكوى وفى الوقت ذاته نقد لاذع من هنا يمكن القول بأن شاعر المراثى حاول تعرية الواقع وإظهاره فى صورته الحقيقية، وإبراز ما فيه من مساوئ وعيوب.

ويقول عبد الحميد السماوى(2): (من الكامل)

ما كنتُ أحسبُ والمقدَّرُ كائنٌ

أن العقول تصاب بالإغماءِ

فالشاعر يحاول أن يشخص الداء، وهو عنده يتمثل بتخلف طرق التفكير، فالواقع " مشلول بالتخلف والركود، واقع يعانى من هبوط مادى

وروحی یکاد یعم

1- مجلة الغری، ع (9 - 10) لسنة 1948: 23.

2- دیوان السماوی: 361 .

شؤون الحياة جميعاً"(1).

إن هؤلاء الشعراء الذين نظروا للواقع العراقى آنذاك بعيون نقدية من خلال تشخيصهم لما يعانى منه المجتمع ومن خلال الشكوى واستنهاض الأئمة، فإنهم يؤكدون جملة أمور: منها حاجة المجتمع إلى قيادة تنصف المظلوم وتردع الظالم، مما دفعهم إلى تأكيد حضور شخصية الإمام المهدى فى أغلب المراثى، لأن ظهوره يمثل الثورة التى يكون معها الحل لأزمات الواقع الاجتماعية والأخلاقية، وهذا الأمر يشير إلى أن الشاعر الحسينى حريص على سلامة المجتمع حرصاً نابعاً من عقيدة دينية راسخة وإيمان ثابت بأن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) تمثل المعادل الموضوعى، لثورة النبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما صدح بأمر الله محرراً العرب من جاهليتهم ووثنيتهم، لذلك يقول مظهر اطميش(2): (من الكامل)

أسليل بيت لايزال كتابهم

سفراً جليلا للبرية هاديا

أبقيت للأجيال درساً خالدا

ما زال فيه فم الأعاصر شاديا

ويقول طالب الحيدرى(3): (من المتقارب)

حريٌّ بمثلك أن يخلدا

وأن يصبحَ البطلَ المفردا

ضربت لنا مَثلا فى الإباءِ

يعلمنا النبل والسؤددا

.....

تعلمنا كيف يحيا وكيف

يموت الفتى شامخا اصيدا

1- لغة الشعر الحديث فى العراق: 111.

2- أصداء الحياة: 90.

3- ألوان شتى (ديوان شعر): 109 - 110.

فمع الحسين (عليه السلام) يكتسب الوجود معناه، فالإيمان بقضية ما يعنى العيش من أجل تلك القضية، والاستعداد للموت والتضحية من أجلها، فلا بـد من وجود معنى " فاللامعنى يحرم الحياة من الامتلاء وبالتالى فهو يعادل المرض، فالمعنى يجعل الكثير من الأشـياء ممكنة التحمل، وربما يجعل كل شيء محتملا.... "(1)، يقول محمد مهدى الجواهرى(2): (من الطويل)

هى النفس تأبى أن تذِلَّ وتُقهرا

ترى الموت من صبر على الضيم ايسرا

وتختار محمودا من الذكر خالداً

على العيش مذموم المغبة منكرا

مشى ابن على مشية الليث مخدرا

تحدته فى الغاب الذئاب فاصحرا

ثم يقول فى خاتمة القصيدة(3): (من الطويل)

أقول لا قوام مضوا فى مصابه

يسومونه التحريف حتى تغيَّرا

دعوا روعة التاريخ تأخذْ محلها

ولا تجهدوا آياته أن تحورا

وخلوا لسان الدهر ينطقْ فإنَّه

بليغ إذا ما حاول النطق عبَّرا

فمواجهة الحياة لا تتأتى إلا لمن يتأسـى بعظماء الرجال ومن الصـعوبات التى تخلق الهموم فى النفس والإرادة فى إثبات الذات ينشأ التوتر الفعال " التوتر الذى ينشأ عن الألم الذى ينبثق بدوره عن عدم الانسـجام بين الإنسان والعالم، هذا التوتر قدم لنا شخصيات كبيرة من الإبداع "(4)، والأبيات تتضمن فى دلالاتها مسوغاتها

1- ذكريات، أحلام وتأملات: 330، وردت فى النص (وبالتالى)، والأصح أن يقال: (ومن ثمَّ).

2- ديوان الجواهرى: 2 / 271.

3- ديوان الجواهرى: 2 / 274.

4- فى النقد الإسلامى المعاصر: 26.

التوجيهيـة من خلالـ تأكيـد الشـاعر على الإفادة من دروس التاريـخ، وهـذا يؤكـد أن نصوص المراثى فى أغلب الأحوال، توظف من أجل المتلقى، وتوجه تبعـاً لـذلک. ولابـد من الاشـارة الى ان الشـعر العراقى عامـة فى النصف الاول من القرن العشـرين قـد اتجه الى معالجة الجوانب الاجتماعية كردة فعل على تركة القرن التاسع عشـر(1) الأمر الذى كان واضـحا فى النصوص المتقدمة فقد اظهرت اهتمام شعراء المراثى الحسـينية بمشـكلات مجتمعهم , فقـد طغى الاهتمـام بالجـانب الاصـلاحى والتوجيهى على الاهتمام بالجوانب الفنيـة , وحظى المضـمون بالعناية الاولى على حساب الاهتمام باللغة , لذا كثر اسـتعمال صيغ الامر للمطالبة بالاصلاح والتغيير مما جعل عددا من تلک المراثى تميل الى النثرية.

ثالثاً: الوظيفة السياسية

تميز الشـعر العراقى فى النصف الأول من القرن العشرين باهتمامه الكبير بقضايا السياسة ومشاكلها، ولاسيما بعد إعلان الدستور العثمانى 1908، فقـد كانت العوامل السياسـية عاملاً مهماً فى نهضـة الأدب العراقى، بخلاف الأدب فى الأقطار العربيـة الأخرى، إذ كانت العوامل الثقافية الفاعل الأساسى فى نهضتها الأدبية(2)، ويبدو أن تنامى الوعى السياسى فى العراق جعل الشاعر العراقى يعيش فى قلب الأحداث، وينغمس فيها " فالأديب يتأثر بالحياة الخارجيـة السائـدة فى بيئته القائمة فى مجتمعه، وهو يسـتمد أدبه من حياة هذا المجتمع"(3)، ولذلک ارتفع الشعر

1- ينظر: الشعر العراقى الحديث , مرحلة وتطور: 53-56.

2- ينظر: الأدب العربى فى كربلاء: 65.

3- الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل: 43.

العراقی فی النصف الأول من القرن العشرین بموضوعاته وأهدافه وابتعد عن المبالغات، ورصف الألفاظ، وانتقاء العبارات، وبرز الصدق فی الـدفاع عن قضایا الأمة(1)، وانشـغل الشـعراء فی معالجـة القضایا السیاسـیة، کالمطالبة بالاسـتقلال، والحریة وعلاقة المواطن بالسـلطة، والدیمقراطیة، وقضیة فلسطین، والوحدة العربیة(2)، ویدل هذا علی الوعی السیاسـی للشاعر العراقی فی تلک الحقبة، وشعوره بالمسؤولیة، ویدل أیضا علی وعیهم بـ_ "دور الشعر وهدفه باعتباره (کذا) سلاحاً یقارعون به الظلم، ویحثون به علی التقدم، ونیل الآمال"(3).

ولم تکن مراثی الإمام الحسـین (علیه السـلام) فی هذه الحقبة، بعیدة عن السـیاسة وصـراعاتها، فقد رافق الشـعر الحسـینی العراقی الحدث السیاسی الداخلی والخارجی، وصار الشاعر یعالج من ضمن ما یعالجه فی المرثیة، قضایا الوطن والعروبة والقومیة، إذ إن الظروف السیاسیة التی مرت بـالعراق والأمـة العربیـة ألقت بثقلهـا علی الشـعراء، ممـا دفعهم إلی " الحنین الطاغی إلی الماضـی والتأمل الطویل فی أحـداثه واسترجاع نغمات ذلک المجـد المنـدثر، والإصـرار علی العیش فی أجواء الفخر العربی وأمجاد الأمـة، وما قدمته فی قضایا الحکم والثقافة والحضارة"(4)، فالماضـی وسـیلة ناجحة لبث روح التضـحیة والشـجاعة والإقدام فی نفوس الجماهیر، وکان الشاعر فی رثاء الإمام الحسین یحاول أن یوظف مبادئ

1- ینظر: الشعر العراقی الحدیث: 49.

2- ینظر: تطور الشعر العربی الحدیث فی العراق: 111 ـ 112، وأثر التراث فی الشعر العراقی الحدیث: 181.

3- تطور الشعر العربی الحدیث فی العراق: 114.

4- م. ن: 115.

الثورة الحسـينيَّة، والعمل على غرس تلك المبادئ، فإنَّ الإمام الحسـين رمز البطولـة والتضـحية والفداء، وخلاصة الشـجاعة والبأس ومعلم الثورات الحرَّة جميعاً، يقول السيد محمود الحبوبى(1): (من الطويل)

دم العز أبقى أىَّ ذكرى لمن دعا

وآن لنا يا قوم أن نعىَ الذكرى

فنقفو خطى أحرارنا فى جهادهم

ونقرأ من تاريخنا الأسطر الحمرا

وندفع عنا الشرَّ حاط شعوبنا

ومن نحن بين الناس أن نقبل الشرا

إنَّ هـذه النبرة الجديـدة فى الخطاب الشـعرى العراقى فى النصف الأول من القرن العشـرين تشـير بوضوح إلى وعى تام بخطورة المرحلـة، وتؤشـر ميلاد قضايا أدبية جديدة فرضت نفسـها على الواقع الأدبى، فإذا كان الشـعراء العراقيون فى القرن التاسع عشر " لم يجددوا فى شىء ولم يخرجوا عن نطاق الشـعر القديم"(2)، فيما يتعلق بموضوعات الشـعر، فإنَّ شـعراء القرن العشـرين كان همهم الشاغل الأحـداث التى عصـفت ببلدهم، فكانت مبادئ الثورة الحسـينيَّة وأبعادها السياسـية التى تمثَّلها الشعراء العراقيون بوصفها قيماً نموذجيَّة، حاضرة فى كل آن فى أذهـانهم، فضـلاً عن أنَّهـا تمثل ماضـياً إيجابياً محفزاً للأجيال للثورة على كل أشـكال العبوديَّة، يقول حسـين على الأعظمى(3): (من الرمل)

دمهُ فى كل جيل ثورةٌ

تصرع الظلم وللحق سواءُ

دمهُ رمز ضحايا أمةٍ

حرَّة فيها حياة وإباءُ

1- مجلة البيان ع (57 - 58) لسنة 1948: 215.

2- الشعر السياسى العراقى فى القرن التاسع عشر: 18.

3- مجلة البيان ع (11 - 14) لسنة 1947: 39.

دمهُ الذكر الذى ننشدهُ

كلَّما لاح صباح ومساءُ

دمهُ البعث لموتى أمةٍ

حاربتها من بنيها اللؤماءُ

فقد وجد الشاعر أنَّ تضحية الإمام الحسين (عليه السلام) كفيلة بأن تكون خير درس لأمة تنشد الثورة لتصرع بها الظلم، ولتحقق حياة العزَّة والإباء، التى أرسى دعائمها الإمام الحسين (عليه السلام) بوقفته فى كربلاء، فمما لا شك فيه " انَّ الشاعر وهو يستخدم الحالة التراثية التى يجدها مناسبة لعرض أفكاره و إبرازها يستند فى ذلك إلى قناعة محددة متصلة الوشائج بقيم اجتماعية وسياسية وثقافية على نحو يجعل الحالة التراثية تحتوى هذه الأفكار، وتعبر عنها فى النص الشعرى الذى يبدعه"(1)، ففى إحدى مراثى الشاعر محمد صالح بحر العلوم الحسينيَّة يتخلَّص الشاعر إلى ما يشبه التحذير من مكائد الاستعمار والهيمنة الأجنبيَّة التى استمرَّت جاثمة على العراق، حتى بعد إعلان الحكم الوطنى، يقول(2): (من الطويل)

وكونوا كما كان الحسين وصحبه

مصابيح خير للجماهير توقدُ

وصونوا حقوق الشعب من كل ماردٍ

على الشعب فى طغيانه يتمرَّدُ

ولا تثقوا من فاتح بتعهدٍ

فما للغزاة الفاتحين تعهّدُ

ولا تقبلوا بعد التجارب توبةً

لطاغية، تاريخ عَهْدَيْهِ أسودُ

ثلاثون عاماً - وهى عمرٌ لأمةٍ

تمر وهذا الشعب فيها مصفَّدُ(3)

.....

1- أثر التراث فى الشعر العراقى الحديث: 179.

2- ديوان بحر العلوم: 2 / 122.

3- يقصد الحقبة بين الاحتلال البريطانى للعراق عام 1917 وعام هذه المرثية 1947م.

ثلاثون عاماً - كل ثانية بها

تعادل قرناً ينقضى ويجدَّدُ

تفاقمت الأرزاء من كل جانبٍ

علينا وكل بالفناء مهدِّدُ

إنَّ هـذا النفس الثورى، وهـذه الصـرخة المـدويَّة التى تضـمنتها مرثيَّة بحرالعلوم، هى دليل واضح على أنَّ الأدب ليس ببعيد عن السـياسة، ومشاكـل المجتمع، فالشاعر ينعى حال العراق فى الحقبـة 1917 - 1947 إلى الحـد الذى شـعر فيه بأنَّ الفناء يهدد الجميع إن اسـتمرَّت سياسة البلاد على ما هى عليه آنذاك، مما يشـير إلى أنه " كلما اشـتدَّت صـلة الأديب بمشـكلات الشـعب، وشاركه شعوره، وأحسَّ بآلامه وأحاسـيسه كلَّما كان أقدر على تلمّس العلل وحل مشكلاته"(1)، والحل عند بحر العلوم يتمثَّل فى الاقتداء بالإمام الحسـين (عليه السلام) والسير على النهج الذى اختطَّه فى محاربة الطغاة.

ويؤكـد عبـد الغنى الخضـرى أنَّ الاحتلال والفرقـة، والتهاون فى الـدفاع عن الوطن لـم تكن لتحصل لو تمسَّك الجميع بنهـج الإمام (عليه السلام) فى إشارة إلى تكامل ذلك النهج، وحيويته فى العصور كلها، يقول(2):

(من الطويل)

فلو أننا سرنا على ضوء نهجهِ

لعادت يد الباغى على أرضنا صفرا

وعاد الذى غلَّت يداه بحسرةٍ

وما كان يوماً بالمواعيد مغترا

وعدنا يداً لم نفترق لملمةٍ

تشيع على الآفاق لامعة غرّا

نذب عن الأوطان من أرض يعرب

وما وهبت يوماً لأعدائها شبرا

1- فى الأدب العربى الحديث بحوث ومقالات نقدية: 7.

2- ديوان الشيخ عبد الغنى الخضرى: 179.

وفى مرثيَّة أخرى، يؤكد الشاعر نفسه هذا المعنى، فيقول(1):

(من الوافر)

فلو إنّا بإخلاص بذلنا

كبذل السبط أصحاباً وآلا

لعاد الكافر الباغى طريداً

ولم يسلب لنا حتى العقالا

ولم تذهب فلسطين جباراً

ولا ملك لغير العُرْب طالا

فقد وجد الشاعر أنَّ كل المشاكل التى تعانيها الأمَّة من تفرقة، وتشرذم، واحتلال، كانت من جرّاء تضييع أبنائها مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد تكلَّم الشاعر بحسرة حينما استعمل الأداة (لو) فى إشارة إلى شعوره بالخيبة والندم على ما أصاب هذه الأمة، ثمَّ انَّ الشاعر فى المرثيتين تحدَّث بضمير الجماعة (نا) مما يعنى صدق إخلاصه وانتمائه إلى قضايا أمته العربيَّة، وابتعاده عن النظرة القطريَّة الضيقة، فالشاعر " كلما استطاع... تجاوز أنانيته الفردية كلما استطاع تخطى حالته الفردية، وضياعه إلى حالة الالتحام بالمجتمع والعصر"(2).

والملاحظ على أغلب المراثى الحسينيَّة فى الحقبة موضوع الدراسة، التى عالجت الواقع السياسى أنَّ الشعراء كانوا يرون فى ثورة الحسين (عليه السلام) ثورة رابحة بحساباتها المعنويَّة، على الرغم من أنها انتهت بمصرع سيد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته، لذلك انطلق هؤلاء الشعراء فى التعامل مع ذلك الحدث بوصفه درساً مثالياً للنجاح فى حل مشاكل الإنسان العربى، وتاريخاً مشرقاً، يمكن أن يزرع فى الإنسان مواقف التحدى والرفض، ويشد من عزيمته، يقول طالب

1- م. ن: 182.

2- ويكون التجاوز: 20 - 21.

الحیدری(1): (من الطویل)

کفی ذلّة أن یخضع العُرْب للعدی

وأن یستطیع الناهضون تصبّرا

وقد یصل الأمر بالشاعر إلی رفض کل أنواع الحزن من أجل مواجهة التحدیات، فالغد سیکون مشرقاً بالتحدی، لتکتسب النفوس القوة والمنعة، لذلک رفض عدد من الشعراء تصویر الإمام الحسین (علیه السلام) بموقف الاستعطاف والإشفاق، فهو بطل تحدّی فناضل، وقاتل فاستشهد.

إنَّ الحدث الحسینی کان غذاءً ودافعاً مهماً فی نظم المرثیَّة، فمن خلال ذلک الحدث یصب الشاعر همومه المکبوتة، بوساطة المعانی التی یختارها لقصیدته، محاولاً استدعاء التأریخ، وإحضاره من أجل تشخیصه، ونقله من الذاکرة إلی الممارسة، لتؤدی القصیدة دورها فی التوظیف السیاسی، یقول عباس الملا علی(2): (من الخفیف)

قطرة من دم الحسین تنادی

فی سماء الدنا بصوت جهارا

أمة العرب ها أنا فوقکم

حمراء قد زحت عن جبینی الستارا

کلّ صبح وکلّ عصر أریکمْ

کیف تبقی الدماء دوماً شعارا

فالبسوها طریة فهی أزهی

من دم الکرم أن تعودوا سکاری

وسلاف النجیع أشهی سُلافاً

ینبت العز أو یعید انتصارا

وقراع السیوف أرخم جرْساً

من قراع الدفوف لیلاً نهارا

خلق الشهم للمعالى خدينا

مثلما خادن الغوى العذارى

1- من وحى الحسين: 39.

2- من وحى الزمن: 197.

امسحوا الطرف وانظروا لى طويلاً

قطرة تملأ السماء احمرارا

كم أنادى وأرسل اللفظ نارا

يا بنى يعرب بداراً بدارا

فالشاعر تكلَّم بلسان حال قطرة من دم الحسين (عليه السلام) ، ليكون الكلام أكثر تأثيراً، وهذا التقمص يعبر عن إبداع تكمن خلفه عاطفة ثائرة رافضة لكل أنواع الظلم، والشاعر " ينقلها - أى العاطفة - من فرد واحد أحسَّ بها أولاً إلى آخرين كثيرين يجعلهم الفن يشاركونه عاطفته"(1).

وقريب من ذلك قول أحمد الوائلى فى إحدى مراثيه الحسينيّة، وقد انعكست الأحداث السياسية والاجتماعية على مضامين مرثيته، فراح من خلال المزاوجة بين الغرض الأساسى للمرثيَّة، وتلك الأحداث، يستمد المسوِّغات التى تدفع إلى استنهاض الشباب المسلم لرفض الواقع السياسى المتردى، يقول(2): (من الخفيف)

يا دماً شابت الليالى عليه

وهو للآن فى الرمال جديدُ

يحمل الطف والحسين حساماً

كلَّما مرَّ بالوجود يزيدُ

وإذا عرَّس الخنوع بجيلٍ

وانحنى منه للمذلَّة جيدُ

صاح بالرمل من صداه دوّى

فإذا الرمل فارسٌ صنديدُ

هكذا أنت كلما افتقر الجى

ل لعزم فمن دماك الرصيدُ

صرخة لم يضع صداها وإن

حاول تضييعها الضجيج الشديدُ

ولهيب ما أطفأته بحارٌ

لا ولا استام من لظاه الجليدُ

1- وظيفة الأدب: 27-28.

2- ديوان الشعر الواله فی النبی وآله: 99.

ونزوع حر وأن حاولت أنْ

تحتوى نزعه النفوس العبيدُ

إنَّ دنيا الخنوع للحر سم

وهى للخانعين عيشٌ رغيدُ

فقد حاول الشاعر من خلال مخاطبته الإمام الحسين (عليه السلام) أن يصوغ فكرته فى الأبيات المتقدمة، التى أكدت بقاء الذكرى الحسينيَّة خالدة فى ضمير الزمن على الرغم من تباعد الحقب بوصفها درساً متجدداً ومستمراً باستمرار الصراع بين الخير والشر، فالشاعر أراد إيصال هذه الفكرة وهو " لا يحاول أن ينفس عن عاطفته فحسب، بل يحاول أن يؤديها فى نوع من الأداء كفيل بأن ينفعل به متلقيه"(1).

وفضلاً عمّا تقدَّم، فقد يجد القارئ لمراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فى الحقبة موضوع الدراسة نقداً سياسياً موجهاً ضد السلطة، والمؤسسات السياسية، وهذا الاهتمام فى النقد السياسى يدل على وعى الشاعر العراقى، ومراقبته لما يجرى، حرصاً منه على مستقبل بلده، فكانت " السياسة فى كل مرحلة تمر بمنعطفات جديدة، وتسلك روافد مختلفة حتى صارت صورة الأوضاع السياسية هذه مادة ثرَّة تمدّ الشعراء بالتجارب الحيَّة، وتثير فيهم العواطف الحارَّة"(2)، وكان ذلك النقد - فى أغلب الأحوال - شكوى من الشاعر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ، يقول عبد القادر رشيد الناصرى(3): (من الكامل)

أمِن العدالة أن يذلّ لغاصبٍ

شعب عداد النجم والأجرامِ

1- وظيفة الأدب: 26.

2- الأدب العربى الحديث دراسة فى شعره ونثره: 81.

3- ديوان عبد القادر رشيد الناصرى: 1 / 2.

والعصر عصر النور فيه تحرَّرت

كلّ الشعوب وليس عصر ظلامِ

فمحاكم التفتيش دال زمانها

وتقوَّض البستيل بعد قيامِ

الا شعوب الشرق وهى عريقة

تنقاد كالأنعام للإعدامِ

لما تزل من وقع سوط عدوِّها

مرتاعة تبكى بكا الأيتامِ

والقيد حزَ بساقها فتخاذلت

من ثقله وهوت على الأقدامِ

.....

أنا إن بكيتک لست أبكى فانياً

تطوى مفاخره يد الأيامِ

لى من مصابک وهو نبع خالد

وحى يُحيَيِّ مرقمى بسلامِ

فالشاعر يشكو إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ما يراه من واقع متردٍّ، وحال سيئة، حتى وصل بالامة إلى أن تذلَّ بعد عزِّها، محاولاً خلق حالة من الرفض والتحدى فى نفوس الجماهير، لتبصيرهم بمفاسد السياسة.

ويقول طالب الحيدرى(1): (من الكامل)

أشكو أبا الشهداء جور مخاتل

فى الشعب مطبوع على الإجرامِ

الجاهليَّة قد أعيدت مرَّةً

أخرى فعاد الحكم للأصنامِ

الحاكمين بغير عدل فى الورى

وبغير قانون وغير نظامِ

وقد تعود ذاكرة الشاعر إلى زمن الحكومة الأمويَّة حينما يرى حكومته المعاصرة لا تلبى طموحات الشعب، يقول الشيخ مهدى مطر(2): (من الكامل)

شكت الإمارة حظها واستوحشت

أعوادها من عابثين تأمروا

1- من وحى الحسين: 27.

2- أدب الطف: 10 / 298.

وتنكَّرت للمسلمين خلافة

فيها يصول على الصلاح المنكرُ

فشكت إليک وما شكت إلاّ إلى

بطل يغار على الصلاح ويثأرُ

فقد أشار الشاعر إلى ما وصلت إليه الحكومة الإسلامية فى عهد يزيد من مجانبة لمبادئ الإسلام، الأمر الذى اقتضى أن يجهر الحسين بدعوته لتصحيح ما اعوجَّ من أمرها، ودلالة الأبيات واضحة فى بعدها السياسى الذى يتمثَّل فى نقد السلطة الحاكمة، وتنبيهها على أخطائها.

وحينما يرى الشاعر البلدان الأوربية، وما وصلت إليه من رقى وتقدم، ويقارن ذلک مع حال أمته، يعتصره الهم، فيهرع إلى الإمام الحسين (عليه السلام) شاكياً واقع الحال، من ذلک قول محمد جعفر النقدى(1): (من الكامل)

شعَّ التمدن فى البلاد ولم يزلْ

وطنى يسير على بعيد خيالهِ

الغرب أدرک فى سنا أسحارهِ

قصداً وضلَّ الشرق فى آصالهِ

.....

هذى شهيد الحق نفثة شاعرٍ

يرثى لحال بلاده ولحالهِ

فقد شخَّص الشاعر مشكلة تخلف بلده، بالتمسک بالأوهام والأباطيل، وترک الطريق العلمى الصحيح الذى انتهجته دول الغرب، فوصلت إلى ما وصلت إليه من رقى وتقدم، فيما ظلَّت أمم الشرق تتخبط بمسالک التخلف، مما جعلها فريسة سهلة للاحتلال، لذا فإنَّ الشاعر نفسه يقول فى بيت آخر من المرثيَّة(2):

والغرب جرَّد سيفه وبموطنى

غمد اليراعَ صيانةً لضلالهِ

1- يوم الحسين: 98.

2- م. ن: 99.

فقد رسم الشاعر هذه الصورة العدائية المعبرة عن علاقة الغرب بالعرب، التى ما كانت لتتحقق لولا ضـعف العرب، وتهاونهم فى الدفاع عن أرضهم.

وأخذت قضـيَّة فلسـطين حيزاً كبيراً من اهتمام شـعراء المراثى الحسـينيَّة التى خاضت فى القضايا السياسـية، ولاسيما أنَّ الشعراء العراقيين، وجدوا فى تلك القضـيَّة قضـيَّة للعرب والمسـلمين، فكان دافعهم لذكرها فى المراثى دافعاً قومياً ودينياً، إذ لم ير هؤلاء الشـعراء فاصـلاً بين قضايا العروبة وقضايا الإسـلام " ولم تكن الأفكار القومية التى عرضـها الشعراء منفصلة عن القيم والأفكار الدينيَّة الإسلاميَّة، إذ لم تكن ثمَّة حواجز تجعلهم يفصلون بين هذه الأفكار، فتاريخ العرب وماضيهم الحضارى هو ذاته تاريخ المسلمين وماضيهم"(1).

لذلك كانت فلسـطين بالنسبة للشاعر العراقى تمثل عاملاً مشتركاً بين العروبة والإسلام، فهى قضية ذات وجهين؛ عربى وإسلامى، ولعلنا لا نجد شاعراً عراقياً لم يتطرَّق إلى تلك القضيَّة، يقول السيد محمود الحبوبى(2): (من الطويل)

أعيذكم أن يهتف القدسُ صارخا

بكم فتلبيه هتافاتكم تترى

يؤمِّل منكم منقذين فما يرى

لإنقاذه إلاّ الخطابة والشعرا

وإذا كان السـيد الحبوبى يرى أن العرب لا يملكون حيال فلسـطين - وهى تنتهب - سوى الضـجة الفارغـة بالخطب والقصائـد الرنانـة، فإنَّ الشيخ عبد الغنى الخضرى يرى أنَّ ضياع فلسطين من أيدى العرب كان نتيجة إهمالهم القيم العربية

1- أثر التراث فى الشعر العراقى الحديث: 184.

2- مجلة البيان ع (57 - 58) لسنة 1948: 215.

والإسلامية، التى ضحّى من أجلها سيد الشهداء بكل ما يملك، يقول(1): (من الوافر)

فلو إنّا بإخلاص بذلنا

كبذل السبط أصحاباً وآلا

لعاد الكافر الباغى طريداً

ولم يسلب لنا حتى العقالا

ولم تذهب فلسطين جباراً

ولا ملك لغير العُرْب طالا

ويستنهض الشيخ محمد النقدى العرب، إذ يرى أن فلسطين ذهبت ضحيَّة العدو الذى رمى بحباله فى الأرض العربيَّة، يقول(2):

(من الكامل)

يا قوم قد جار الغريب بأرضكمْ

فحذار من أشراكه وحبالهِ

ما القدس تأسوه الجراح أليمة

إلاّ ضحيَّة رشقة لنبالهِ

فهؤلاء الشعراء كانوا أمثلة للأدب الجديد فى العراق، الذى حدد الدكتور يوسف عز الدين قضاياه بمناهضته الاستعمار، ومساندة العمل الاشتراكى، والدعوة إلى الوحدة العربية(3).

وقد وصل الأمر بالشعراء أحياناً أن يطلبوا الصفح من الله لقومهم العرب، لتهاونهم فى الدفاع عن مقدساتهم، ولاسيما القدس الشريف، يقول صالح الجعفرى(4): (من الكامل)

والمسجد الأقصى الشريف مصدَّع الـ_

_فقرات لا أسساً ولا أسوارا

1- ديوان الشيخ عبد الغنى الخضرى: 182.

2- يوم الحسين: 99.

3- ينظر: الأدب العربى الحديث بحوث ومقالات نقدية: 10.

4- ديوان الجعفرى: 151.

ما عاد يمنع نفسه منهم فهل

يحمى قريباً أو يكرم جارا

.....

يا رب صفحک قد تراخت ريحنا

حتى نسينا صرها إعصارا

لسنا بحيث أردتنا وتريدنا

فاثأر لنفسک إن أردت الثارا

الأكثرون حصى ولكن لم يعد

يكفى لأن تعتد منه جمارا

هـذه الشـكوى نقـد لاذع يشـير بوضوح إلى الإحساس بالمرارة التى تعتصـر قلوب الشـعراء العراقيين، وفى أذهانهم الموازنة بين وقفة الإمام الحسـين (عليه السـلام) فى كربلاء وحال الحكومات العربية آنذاک، التى وقفت متفرجة أمام مأساة فلسطين، والشاعر إذ يضمن مرثيته مثل هذه الأبيات فإنما يدل ذلک على أنَّ " شعر الحسين زاخراً بالثورة على الاستبداد"(1) بكل أشكاله.

ويقول السيد محمد جمال الهاشمى(2): (من الطويل)

على مهلكم يا تائهين فإنَّما

طريقكم وعر وصحراؤكم قفرُ

.....

افيقوا فإنَّ العلم أبدى نواحياً

من الحق أخفاها التعصّب والغدرُ

وخلّوا فلسطيناً وإسعافها فقد

أقامت لحل العقد ـعقادها- مصرُ

فقد وصف الشاعر قومه بأنَّهم ضـلّوا الطريق (يا تائهين) حينما لم يقفوا وقفة قوية يسترجعون بها ما سـلب من أراضيهم، والشاعر ليس بعيداً عن معاناة الشعب فى فلسطين، فالأبيات تشير إلى إحساسه بمأساة العربى الذى يعيش تحت وطأة

1- الأدب العربى الحديث بحوث ومقالات نقدية: 16.

2- مع النبى وآله: 191.

الاحتلال وعذاب القمع والسجون والمعتقلات، وكان موضوع الحرية من أهم المطالب التى ألحَّ عليها الشعراء العراقيون فى مراثيهم الحسينيَّة، والملاحظ أنَّ هؤلاء الشعراء طالما ربطوا الحريَّة بالتخلص من الاستعمار، لذلك وجدوا بأنَّ الحريَّة لا يمكن أن تتحقق إلاّ بالنضال المستمر، يقول عبد القادر رشيد الناصرى(1):

(من الكامل)

أأبا العقيدة والنضال الدامى

قدست ذكرک يا ابن خير إمامِ

وجعلت يومک رمز كل بطولةٍ

غرّاء تسطع فى فم الأيامِ

.....

حريَّة الأمم الضعيفة دوحةٌ

تسقى ولكن بالنجيع الدامى

فقد عقد الناصرى الصلة بين نضال الإمام الحسين (عليه السلام) ومسألة الحرية فى إشارة إلى توظيف ذلک فى المطالبة بحرية شعبه المستلبة، وكان دأب الشعراء العراقيين عامة فى النصف الأول من القرن العشرين، المطالبة بالحرية، لأن ذلک يعنى استقلال بلدهم بشكل حقيقى، فقد " كانت دعوة الشعراء إلى الحرية سبيلاً إلى التخلص من قبضة الاستعمار "(2)، فالحرية مطلب جماهيرى، يدرک الشاعر أهميته قبل غيره بوصفه فناناً ذا إحساس مرهف.

وقد وجد الشعراء بأنَّ خير درس فى التحرر الثورة الحسينيَّة، التى يمكن أن تكون نبراساً فى التحرر لكل الأمم، لذا فإنَّ محمد صالح بحر العلوم ينصح أبناء

1- ديوان عبد القادر رشيد الناصرى: 1 / 1.

2- فى الشعر العربى الحديث: 47.

جيله بأن يعتبروا بتلك الثورة، وهم ينشدون الحرية، فيقول(1): (من الطويل)

خذوا من ضحايا الطف درس تحررٍ

فتلك الضحايا للتحرر معهدُ

ولا تذكروها بالبكاء مجرَّداً

فلم يجدِها هذا البكاء المجرَّدُ

فقد عبَّر الشاعر عن مطمح جماهيرى، لكنه ما كان ليعبر عنه لو لم يكن يشعر بأهميته، وشدة ارتباطه بقضيَّة الإمام الحسين (عليه السلام)، وبذلك جسَّد الشاعر الدافعين المهمين فى كل عمل أدبى، وهما: " رغبة الفنان (الشاعر) فى أن ينفس عن عاطفته، ورغبته فى أن يضع هذا التنفيس فى صورة تثير فى كل من يتلقاها نظير عاطفته "(2)، وإذا كان الشاعر يستمد مقومات الحرية من وقفة ألإمام الحسين (عليه السلام) فى كربلاء، فإنَّ ذلك يشير بوضوح إلى حضور قيم التراث فى ضمير الفرد العربى، " وبهذا تتاح الفرصة لما هو حى من قيم الماضى أن يظل حياً ليستمر فى المستقبل "(3).

ووجد عدد من الشعراء العراقيين فى الحكم الملكى امتداداً للحكومة الإسلامية، مما يشير إلى حاجة هؤلاء الشعراء بالتشبث بآمال الحكومة المثالية التى رسموا صورة خيالية لها فى أذهانهم، يقول حسين على الأعظمى(4): (من الطويل)

وأصبح تاج الهاشميين زاهراً

ببغداد أو عمّان يكلؤه النصرُ

وإنك حى فى بنيك مخلَّدٌ

وباقٍ مع الأحياء ما بقى الدهرُ

1- ديوان بحر العلوم: 2 / 122.

2- وظيفة الأدب: 27.

3- الأدب وقيم الحياة المعاصرة: 195.

4- مجلة البيان ع (11 ـ 14) لسنة 1947: 14.

ويؤكد المعنى ذاته فى مرثية حسينيَّة أخرى، فيقول(1): (من الكامل)

واليوم نحيا فى سيادة دولةٍ

وبظلِّ مملكة نُعزّ ونكرمُ

أبناء هاشم شيَّدوا استقلالها

وبنوا سيادتها التى لا تهدمُ

والتاج يسطع فوق مفرقِ فيصلٍ

وله وصىٌّ هاشمىٌّ معلمُ

أحسين قمْ وانظرْ فذكرُك عاطرٌ

ويزيدُ فى الدنيا يُذمّ ويُشتمُ

فقد عبَّر الشاعر فى الأبيات المتقدمة عن قناعته السياسية، وولائه للعائلة المالكة فى العراق والأردن، لكنه وظَّف ذلك المديح لزرع الأمل فى نفوس الناس من خلال تأكيده الطابع الشرعى للحكم الملكى آنذاك، حينما أشار إلى الامتداد النَسَبى للعائلة المالكة الذى يرتبط بالإمام الحسين (عليه السلام)، ولاسيما فى قوله: (وإنك حى فى بنيك مخلَّد).

وهكذا فقد أثبت الشعراء العراقيون فى مراثيهم الحسينيَّة أنَّ الأدب ينبع من ذات الإنسان، ولكنه لا يستطيع أن ينفصم عن واقع المجتمع الذى يعيش فيه الأديب، فقد سجَّل الشاعر العراقى، وفى حضرة الإمام الحسين (عليه السلام) كل همومه ومتاعبه التى أثارتها عوامل السياسة، محرضاً، ومستنهضاً، وناصحاً، وشاكياً إلى سيد الشهداء، وبذلك " لم يترك هؤلاء الشعراء هذه الأحداث تمر دون أن يكون لهم فيها رأى أو اجتهاد أو تفسير"(2) فالشاعر العراقى كان يعى دور الكلمة فى تغيير الواقع السياسى، فضلاً عن وعيه بأنّ الأدب ليس ببعيد عن الأحداث السياسية، وهذا يعنى أنَّ الشاعر كان يمارس دوره فى نقد ذلك الواقع، حتى فى حالات حزنه.

1- مجلة البيان ع (11 - 14) لسنة 1947: 52.

2- الاتجاهات الوطنية فى الشعر العراقى الحديث: 8.

الباب الثانی: الدراسة الفنیَّة

اشارة

الفصل الأول: البناء الهيكلى

اشارة

توطئة

العنوان والتاريخ

مقدمات المراثى

التخلص

الخاتمة

مقدمات طفيَّة

مراثٍ من دون مقدمات

توطئة

البناء: مصدر للفعل (بنى)، وهو نقيض الهدم، والبناء: الشيء المبنى، وجمعه أبنية(1).

وعلى هـذا فإنَّ البناء هو الشـيء المنجز، والمتحقق فى الوجود، وهو بهـذا يرادف مفهوم البنيـة، التى تعنى: " تلك المنظومـة ذات العناصـر المتفاعلة، حيث كل عنصر يؤدى وظيفة داخل المنظومة، وتتحدد قيمته بهذه الوظيفة"(2).

وتعد القصيدة وحدة بنائيَّة، أو بنية تتضافر مجموعة من العناصر على إبراز الطابع الهيكلى لها، على وفق خطوات عملية كانت موضع اهتمام المحللين النفسيين، ونقّاد الأدب(3)، والهيكل المنجز من تلك العناصـر، والذى عرَّفته نازك الملائكة بأنَّه "الأسـلوب الذى يختاره الشاعر لعرض الموضوع"(4) يمثل الصورة الخارجيَّة، أو الشكليَّة للقصيدة، وهو - كما مرَّ - يتوفَّر على أجزاء مكونة له -

---

1- ينظر: لسان العرب: 1 / 365.

2- نوافذ الوجدان الثلاث، دراسة فى شعرية الخطاب الأدبى: 195.

3- ينظر: الأسـس النفسـية للإبـداع الفنى - فى الشـعر خاصّة -: 295، وبناء القصـيدة الفنى فى النقـد العربى القديم والمعاصـر: 5، وبناء القصيدة فى النقد العربى القديم فى ضوء النقد الحديث: 71، والبناء الفنى للقصيدة العربية: 49.

4- ينظر: قضايا الشعر المعاصر: 202.

كـأى بناء آخر – ومن البـديهى أنَّ إضاءة أى جزء من هـذه الأجزاء، سـتصب - حتماً - فى فهم مجموع الأجزاء الأخرى، وما يتضـمنه ذلك المجموع من قيم موضوعيـة وفنيـة، مما يؤدى إلى كشف العلاقـة البنيويـة بين تلك الأجزاء؛ هـذه العلاقة التى كانت مدار خلاف كبير بين النقّاد فى مدى تحقيقها للوحدة العضوية فى القصـيدة العربية(1)، قد تبدو واضـحة فى مراثى الإمام الحسـين (عليه السلام)، إذ تنتظم كل أجزاء المرثيـة فى خيط واحـد من الحزن الـذى يلف المرثيـة من البدايـة حتى نهايتها، وإن بدا الشاعر متغزلاً، أو ذاكراً لأحبته، وأيام شـبابه، الأمر الـذى يمكن القول معه، إنَّ الوحدة العضويَّة فى مراثى الإمام الحسـين (عليه السـلام) ربَّما كانت أكثر وضوحاً لارتكازها على أساس نفسى قد لا نجد ما يماثله فى القصائد الأخرى.

ومما يعزز ما تقدَّم قوله؛ شيوع المراثى الحسينيَّة الطويلة، وغياب المقطوعات فى النصف الأول من القرن العشرين، بوصف المرثية الطويلة تمثل وحدة موضوعية تستوعب أحزان الشاعر، وإن تباينت أسباب ذلك الحزن فى الظاهر.

ومن المؤكد أنَّ بناء المرثيَّة واختيار شـكل دون آخر لا بد أن يسـتند إلى موضوعية تتعلَّق بالموروث الأدبى بقدر اسـتناده إلى الأسس الذاتيّة المتمثلة بموهبة الشاعر، وقدرته على الإبداع، فإذا كان الشـعر" استعمالاً خاصّاً للغة "(2) يفصح عن ذات الشاعر، فإنَّ هذا لا بدَّ أن ينسجم مع الموروث الذى مثَّل جزءاً مهماً من ثقافة الشعراء العراقيين، مما أدّى " إلى بقاء بصمات التراث اللغوى واضحة "(3)، لذا فإنَّ

1- ينظر: وحدة القصيدة فى الشعر العربى حتى نهاية العصر العباسى: 59.

2- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: 125.

3- أثر التراث فى الشعر العراقى الحديث: 229.

مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) كانت صدى لهذين العاملين، مع لحاظ غلبة الطابع التراثى عند الشعراء المقلدين، وبروز الملامح التجديديَّة عند الشعراء الذين تأثروا بالثقافات الجديدة.

وقبل التطرق إلى وحدات البناء الهيكلى لمراثى الإمام الحسين (عليه السلام) لا بدَّ من معالجة مسألة عنونة الدواوين والقصائد وتأريخها، وهى من مستجدات هذه الحقبة، نظراً لأهميتها الفنية والعضويَّة.

العنوان والتأريخ

لم يكن معتاداً بين الشعراء - قبل القرن العشرين - أن يضعوا عناوين لدواوينهم، أو قصائدهم، جرياً على منهج القدماء، فقد كانت القصيدة حينما يراد الإشارة إليها، تذكر بالمناسبة التى ارتبطت بها، أو الموضوع الذى قيلت فيه، أو تسمى بحرف الروى الذى بنيت عليه، أو تعرف بنسبتها إلى مجموعة قصائد معروفة، كأن يقال معلقَّة زهير، نسبة إلى المعلقات،وقد لا يكون للشاعر سوى قصيدة واحدة، عندئذ لا يحتاج إلى قرينة أخرى لتعريفها، مثل أصحاب الواحدة، وربما كان للشاعر قصائد عدَّة، لكنه عرف بواحدة منها.

وفى العصر الحديث، ظهرت فكرة العناوين، وأصبح العنوان جزءاً مهماً فى دلالة القصيدة، و"أحد العناصر الفنية الإبداعيَّة... وتنحصر وظائفه فى عدَّة نقاط، هى: التعيين، والوصف، والإيحاء، والإغراء، فيشكل جزءاً مهماً من بنية القصيدة، ويسجل حضوراً نصيّاً فى أغلب قصائد الشعراء"(1).

1- كربلاء فى الشعر العراقى الحديث (رسالة ماجستير): 191.

ويبدو أنَّ أثر الثقافات الجديدة كان له دورٌ فى بروز أهميَّة العنوان عند الشعراء المجددين، بدليل أنَّ شعراء القصيدة التقليديَّة لا تجد صدى فى دواوينهم يعكس اهتمامهم بعنونة قصائدهم، فشعراء مثل كاظم آل نوح، وكاظم سبتى، وسيد رضا الهندى، ويعقوب الحاج جعفر، ومحمد حسن أبى المحاسن، وعبد الحسين الحويزى، ومهدى الطالقانى، لم يعنوْا بوضع العناوين لدواوينهم، أو لقصائدهم، على عكس الشعراء الذين تزوَّدوا من الثقافات الحديثة، مثل الجواهرى، وإبراهيم الوائلى، ومحمد صالح بحر العلوم، ومظهر إطيمش، ومصطفى جمال الدين، وحسين آل بحر العلوم، وطالب الحيدرى، وخضر عباس الصالحى، وصالح الجعفرى، وبدر شاكر السيّاب، فقلَّما نجد قصيدة عند هؤلاء لم ترتبط بعنوان معيَّن.

والعنوان عند هؤلاء مرتبط ارتباطاً إيحائيّاً بالموضوع، لذلك فإنَّ أغلب عناوين المراثى فى هذه الحقبة مستوحاة من واقعة الطف(1)، ومجسدة لما عاناه الحسين فى ذلك اليوم(2)، والإشادة بموقفه البطولى(3)، أو معبرة عن وجهة نظر

1- مثل: قصيدة فاجعة الطف لمحمد على اليعقوبى، ينظر: الذخائر: 36، وقصيدة يوم عاشوراء لعباس الملا على، ينظر: من وحى الزمن: 194، وقصيدة شهر الدموع لمحمد جمال الهاشمى، ينظر: مع النبى وآله: 1 / 186، وقصيدة مصرع الحق لحسين آل بحر العلوم، ينظر: زورق الخيال: 17.

2- مثل: قصيدة الذكرى الدامية لمحمد جمال الهاشمى، ينظر: مع النبى وآله: 1 / 186، والدمعة الخرساء للسياب، ينظر: أزهار ذابلة: 88، ويا ناعى الطف للجزائرى، ينظر: ديوان الجزائرى: 75، والذكريات الدامية لمظهر اطيمش، ينظر: أصداء الحياة: 1 / 73.

3- مثل: ذكرى استشهاد الحسين لمحمد صالح بحر العلوم، ديوانه: 2 / 121.

الشاعر فی مأساة الحسین (علیه السلام)(1).

وقـد حاول طالب الحیـدری أن یجعل عنوان إحدی مراثیه الحسـینیَّة مرتبطاً بالبیت الأول، وکانَّه جزءٌ منه، فعنوان المرثیَّة هو(أمیّة)، والبیت الأول منها(2): (من المنسرح)

أولها فاسق وآخرها

لا سقیت بالحیا مقابرُها

أما التحدیـد الزمنی لمراثی هـذه الحقبـة، فقـد تفاوت الشـعراء فی العنایـة به، فنجد من بین الشـعراء المقلدین من التزم بتاریخ ما نظمه من المراثی الحسینیَّة(3)، ومنهم من لم یلتفت إلی هـذه المسـألة(4)، لکننا وجـدنا حرصاً من الشـعراء المجـددین علی العنایة بتحدید زمن قصائدهم.

وقد أصـبح التاریخ یحمل أهمیَّة بالنسـبة إلی الشاعر، والقارئ الناقد، فهو دلیل، یمکن من خلاله معرفة التطور الإبداعی الذی واکب الشاعر فی مسیرته الأدبیَّة، ومعرفة العوامل التاریخیَّة التی أثَّرت علی إنتاجه، مع ما فیه من فائدة فی ربط القصیدة بمرحلتها التاریخیَّة.

1- مثل قصیدة آمنت بالحسین للجواهری، دیوان الجواهری: 3 / 291، والشعلة الخالدة لطالب الحیدری، ینظر: من وحی الحسین: 10، وقصیدة اشدو للحسین لمصطفی جمال الدین، ینظر: الدیوان 2 / 161.

2- من وحی الحسین (دیوان شعر): 29.

3- للشاعر کاظم آل نوح ما یقرب من خمسین مرثیَّة فی الإمام الحسین (علیه السلام) وأهل بیته، التزم الشاعر بکتابة تاریخ کل منها.

4- وهم عامـة الشـعراء المقلـدون مثل: کاظم سـبتی، ویعقوب الحاج جعفر الحلی، ومهـدی الطالقانی، ورضا الهنـدی، وعبـد الحسـین الحویزی.

مقدمات المراثی

تکتسب المقدمة فی المرثیة أهمیتها، بوصفها نابعة " من حالة الحزن التی یعیشها الشاعر "(1)، لذا فهی الخطوة ألأولی التی یحاول الشاعر من خلالها التنفیس عن آهاته، ولتعبر عن أولیات مشاعره، وفی رثاء الإمام الحسین (علیه السلام) تعد المقدمة مدخلاً طبیعیّاً للدخول إلی عوالم الذکری الحسینیَّة.

ویلاحظ أنَّ شعراء المراثی الحسینیَّة قد سلکوا فی بناء مقدماتهم اتجاهین فنیَّین، الأول: تقلیدی، یستوحی الموروث البنائی الشعری، والآخر: یستبطن شیئاً من التجدید، وبدرجات متفاوتة.

وتمثل المقدمة التقلیدیَّة استجابة طبیعیَّة لسیطرة الموروث الشعری علی ثقافة الشعراء العراقیین فی النصف الأول من القرن العشرین، وقد تکون نتاجاً لغیاب البدیل، وعدم توفر الجرأة للخروج علی المألوف الأدبی.

أما ما قیل فی تفسیر هذه المقدمات من أنها تعبِّر عن القلق الوجودی الذی یعانیه الشعراء، والذی یدفعهم إلی التشبث بالحیاة، التی تتمثَّل بالحب والغزل، والحنین إلی ذکریات الصبا(2)، قد لا تتفق هذه التفسیرات مع التوجهات العقائدیَّة لأغلب الشعراء العراقیین الذین رثوا الإمام الحسین (علیه السلام) فی الحقبة موضوع الدراسة، ولاسیما أنَّهم ینطلقون فی رثائهم له علی وفق رؤی إسلامیَّة، تتعارض أساساً مع کل أسباب القلق السابقة ونتائجه، لذلک إنَّ لهذه المقدمات

1- المراثی الشعریة فی عصر صدر الإسلام: 186.

2- ینظر: العمدة: 1 / 225، ومقدمة القصیدة العربیة فی الشعر الجاهلی: 217 - 221.

أسباباً فنيَّة يمكن أن تفسرها، وتتمثَّل فی عوامل التقليد، وسيطرة الثقافة التراثيَّة، ونظرة التبجيل إلى الماضی الأدبی.

وفی إحصاء أجراه الباحث لما يقرب من (250) مرثيَّة، وجد أنَّ أكثر المقدمات التقليديَّة نسبة مقدمة الحكمة، ويبدو أنَّ ميل الشعراء إلى الابتداء بمقدمة الحكمة كان نابعاً من انسجام هذا النوع من المقدمات مع رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) الذی جسَّد فی وقفته مع أصحابه فی كربلاء الحكمة البالغة، وهی أن يضحی بنفسه وأنصاره من أجل مبادئه السامية.

يقول محمد حسن أبو المحاسن فی مقدمة إحدى مراثيه(1): (من البسيط)

دع المنى فحديث النفس مختلقُ

واعزم فإنَّ العلى بالعزم تستبقُ

ولا يؤرّقْكَ إلاّ همُّ مكرمةٍ

إنَّ المكارم فيها يحمد الأرقُ

إنَّ ذم الهوى، والحث على طلب المكارم مدخل ملائم لما سوف يأتی بعد هذه الأبيات فی رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، الذی هجر الدنيا طلباً لنيل الشهادة، وقد تكون مثل هذه المقدمات إشارة إلى أنَّ الشاعر فی رثائه الإمام الحسين (عليه السلام) إنما يسلك طريق المكارم، وهذا قريب من قول عبد الحسين الأزرى فی إحدى مقدماته(2): (من الكامل)

عشْ فی زمانک ما استطعت نبيلا

واستبق ذكرک للرواة جميلا

ولعزک استرخص حياتک أنَّه

أغلى وإلاّ غادرتک ذليلا

شأن التی أخلفْتَ فيک ظنونَها

فجفتک واتخذتْ سواک خليلا

1- ديوان أبی المحاسن الكربلائی: 146.

2- ديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 339.

تعطی الحیاة قیادها لک کلما

صیَّرتها للمکرمات ذلولا

یتجسَّد المفهوم الأخلاقی فی مقدمة الشاعر منذ البیت الأول، لیصب فی معنی تربوی خلاصته أنَّ العیش بنبل ما هو إلاّ مقدمة لذکری جمیلة لا تزول، وکأنَّ الشاعر یستوحی معناه من خلود الذکری الحسینیَّة الذی ما کان لیتحقق لولا تضحیته وصبره، وهذا ما یؤکد الأبعاد التربویَّة لمراثی الإمام الحسین (علیه السلام) فی إبراز الأنموذج القدوة لکل من یطلب الحیاة المثالیَّة التی لا تنتهی بالموت. ویقول محمد مهدی الجواهری(1): (من الطویل)

هی النفس تأبی أن تُذلَّ وتقهرا

تری الموت من صبرٍ علی الضیم أیسرا

وتختار محموداً من الذکر خالداً

علی العیش مذموم المغبَّة منکرا

إنَّ سیطرة الوقفة المبدئیَّة للإمام الحسین (علیه السلام) علی مخیِّلة الشعراء، قد تفسِّر مثل هذه الصیغ التقریریَّة التی بدأ الجواهری مرثیَّته بها، بوصفها أسلوباً ناجحاً فی الوعظ، یستند إلی دروس واقعة الطف، یقول محسن أبو الحب(2):

(من البسیط)

یا صاح دع عنک ما تهواه من أملِ

واقصد إلی ما یحب اللهُ من عملِ

هذا المحرَّم قد لاحت لوائحهُ

فلا یکن لک غیر النوح من شغلِ

فالابتداء بمثل هذه المقدمات مما یناسب مجالس الوعظ والإرشاد الحسینیَّة، فهی دروس ونصائح اکتسبت قوَّة تأثیرها من الصبغة العقائدیَّة التی طالما حاول الشعراء أن تکون مستمدَّة من تعالیم الدین الإسلامی الحنیف.

1- دیوان الجوهری: 2 / 271.

2- دیوان أبی الحب: 141.

وتأتى المقدمة الطلليَّة بعد مقدمة الحكمة، وهى من أكثر المقدمات شيوعاً فى الشعر العربى التقليدى، بوصفها تمثيلاً للواقع الموضوعى لحياة البداوة العربيَّة القائمة على التنقل والترحال، حتى أصبحت تلك المقدمات تقليداً محبباً عند الشعراء العرب، وإن كان الشاعر من سكان الحاضرة(1)، لوجود رواسب البداوة، ولأنَّ الأطلال تمثل أهم مظاهرها(2).

ويمكن أن تفسر المقدمة الطلليَّة فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) بأنَّها مظهر من مظاهر الإشادة بالماضى، والتلذذ بذكره، بوصفه ردَّ فعلٍ لقسوة الواقع الذى لم يلبِّ طموحات الشعراء، وبهذا فإنَّ المقدمة الطلليَّة تمثل استجابة نفسيَّة لحاجة ملحَّة فى الإنسان فى الحنين إلى الماضى بوصفه الأنموذج المثالى الذى لا يتكرر، وهى نوع من حنينه إلى طفولة الحياة، ببساطتها، وعفويتها، وبعدها عن التعقيد، ولاسيما أنَّ الطلل فى المرثيَّة الحسينيَّة لم يعد ذلك الرسم الداثر، والخرائب التى عفا عليها الزمن، فلم يبقَ منها إلاّ الأثافى والنؤى، وكلها توحى بالموت والفناء، بل كان شيئاً آخر يفيض بالحياة والنور، ينمو ويتوهج مع مرور الزمن، يقول عبد الحميد السماوى فى مقدمة إحدى مراثيه الحسينيَّة(3): (من الكامل)

لمن النواهد لا برحن نواهدا

يفنى الزمان ولا تزال رواكدا

1- ينظر: العمدة: 1 / 226، ورثاء الإمام الحسين فى العصر العباسى (رسالة ماجستير): 33، ومقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى: 116.

2- ينظر: وحدة القصيدة فى الشعر العربى حتى نهاية العصر العباسى: 197.

3- ديوان السماوى: 362.

طفقتْ تُصعّد فى الفضاء كأنَّها

اتخذت بآفاق السماء قواعدا

نتئت على هام القرون فخلتها

فى مبسم الدهر الجديد نواجدا

ومشت تحيى الفرقدين فأطْلعَتْ

بالرغم من وضح النهار فراقدا

نطحت بصخرتها الوجودَ وأصحرتْ

لتظلَّ من بعد الحدوث أوابدا

ركدت كرابعة الكرات على الثرى

فهوت لها الست الجهات سواجدا

هـذه المعـالم التى يخاطبهـا الشـاعر، والتى صارعت الوجود على البقاء، معالم حيَّة، تفيض بالنور، فالشاعر حين يخاطبها، يخاطب عالماً مليئاً بالأرواح النورانيَّة التى من الممكن أن تسـتجيب له فى أيَّة لحظـة، هـذا التوظيف الجديد للطلل يفسـر العلاقة التى تربط الشاعر بتلك المعالم، مثلما يفسِّر العلاقـة بين المقدمـة والغرض، فلم تعـد علاقـة الشاعر بما يخاطبه علاقة الذكرى اليائسة التى ربطت الشاعر الجاهلى بطلله القـديم، وإنما صارت علاقة مسـتمرة بين روحين يمكن أن يتجاوبا، فيما أصـبحت الرابطة بين المقدمة وغرض المرثيَّة، رابطة انسـيابيَّة ممتدَّة غير متكلَّفة، بل اكثر انسيابية مما كانت عليه عند الشاعر الجاهلى.

يقول السيد رضا الموسوى الهندى(1): (من الكامل)

إنْ كان عندک عبرة تجريها

فانزل بأرض الطف کی نسقيها

فعسى نبلَّ بها مضاجع صفوةٍ

ما بلَّت الأكباد من جاريها

ولقد مررت على منازل عصمةٍ

ثقل النبوَّة كان القى فيها

فبكيت حتى خلتها ستجيبنى

ببكائها حزناً على أهليها

1- ديوان السيد رضا الموسوى الهندى: 47.

فالطلل هنا غير منفصل عن غرض القصيدة، وهذه من أهم سمات المقدمة الطلليَّة فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)، فالسيد رضا الهندى أضفى على مقدمته طابعها الطفّى الخاص بدلالة الألفاظ (أرض الطف، مضاجع صفوة، منازل عصمة، ثقل النبوَّة...) التى أصبحت البديل المثالى لبقايا الطلل الجاهلى، التى كان يخاطبها وهو يعلم أنها لا تجيبه، لكن منازل أهل البيت كادت تجيب السيد رضا الهندى، فكانت هذه المنازل مهوى لأفئدة الشعراء، لذلك كثيراً ما كان الطلل الجاهلى موضوع رفض عندهم، يقول باقر حبيب الخفاجى(1):

(من الطويل)

خليليَّ عوجا بى على وادى نينوى

ولا تذكرا لى عهد حزوى ولا اللوى

.....

قفا بى على وادى الطفوف سويعةً

لعلى أناجيه أيدرى لمن حوى

حوى سيداً شاد الهدى فى جهاده

غداة على متن الجواد قد استوى

فالغاية عند الشاعر فى هذه المقدمة تستند إلى رؤية عقائديَّة، تؤمن بخلود الشهداء، لذا أصبحت مناجاته لأرواح شهداء الطف، بعد أن كانت عند الجاهلى وقفة يأس لذكريات شاحبة.

وقد تكون الغاية من الوقوف على الطلل، مباشرة الغرض، حينئذ تمتزج المقدمة بالغرض، فتنعدم الفواصل بينهما على نحو جعل من ذلك سمة انفردت بها مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)، لتعبِّر عن وحدة موضوعيَّة تتمثَّل فى الحزن

1- خير الزاد ليوم المعاد: 26.

على الإمام وبكائه، ووحـدة فنيَّة تتمثَّل فى انتفاء الحاجة إلى التخلص من المقدمة إلى الغرض، يقول الشـيخ محمد بندر النبهانى(1): (من الوافر)

ألا عوجا على تلك الطلالِ

بها نبكى لأحمد خير آلِ

فهذى كربلاء بها حسين

أحاطت فيه أجناد الضلالِ

وتأتى بعـد ذلك المقدمـة الغزليَّة، التى لـم تكن فى غرض الرثاء أصـيلة، كأصالتها فى الأغراض الأخرى، إذ لـم يألف العرب أن تبدأ مراثيهـم بالغزل لانشغال الشاعر بالحسرة والمصيبة على رأى ابن رشيق، الذى نقل أنَّ دريد بن الصمَّة أول من فعل ذلك(2)، ثمَّ صار أمراً مقبولاً عند الشعراء فيما بعد.

ولعلَّ ما ذكر فى تفسـير هـذه المقـدمات أنها تمثل هروباً من الموت إلى الحياة المتمثلـة فى عاطفة الحب، أو أنها دليل على صدق تجارب الشعراء العاطفيَّة(3) غير كافٍ لتفسير وجودها فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) ما لـم يضف إلى ذلك عامل التقليد للموروث، إذ إنَّ تلك المقدمات تعد جزءاً من المتطلبات الفنيَّة التى يحاول الشعراء من خلالها إظهار مقدرتهم الأدبيَّة، بطريقة استعراضيَّة، ربما لا تعبر عن واقع حقيقى لانشغال الشعراء بما هو أهم من الغزل، وهم يرثون الإمام الحسين (عليه السلام).

ومهما يكن من أمر، فإنَّ أهم ما يميز الغزل فى مقدمة الرثاء الحسينى نقطتان:

1- أزهار الريف: 63.

2- ينظر: العمدة: 2 / 152.

3- ينظر: وحدة القصيدة العربية فى الشعر العربى حتى نهاية العصر العباسى: 182.

الأولى: إنَّه غزل عفيف، ليس فيه شيء من ذكريات اللهو والتصابى، أو وصفٌ للنساء، ويمكن تعليل ذلك بعدم مناسبة تلك الذكريات لرثاء الإمام الحسين (عليه السلام)(1).

يقول محمد حسن أبو المحاسن(2): (من الطويل)

أقلاّ علىَّ اللوم فيما جنى الحبُّ

فإنَّ عذاب المستهام به عذبُ

وصلت غرامى بالدموع وعاقدتْ

جفونى على هجر الكرى الأنجم الشهبُ

تقاسمن منى ناظراً ضمنتْ له

دواعى الهوى أن لا يجف له غربُ

فليت هواهم حمَّل القلب وسعهُ

فيقوى له أو ليت ما كان لى قلبُ

فابعد بطيب العيش عنى فليس لى

به طائلٌ إن لم يكن بيننا قربُ

فعلى الرغم من وجود ألفاظ (الحب، المستهام، الغرام، دواعى الهوى، القرب)، فإنَّها لم تدل على ترف الشاعر، وتصابيه، بل إنَّ تلك الألفاظ وجهت النص إلى دلالات الشكوى (وصلت غرامى بالدموع)، مما جعل المقدمة منسجمة مع الأجواء الحزينة للمرثيَّة.

أما النقطة الأخرى التى ميَّزت الغزل فى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) انَّ ذلك يقوم على أساس النفى، أى نفى الشاعر، ورفضه أن يعود إلى تلك الأيام(3)، يقول باقر حبيب الخفاجى(4):

1- ينظر: رثاء الإمام الحسين فى العصر العباسى (رسالة ماجستير): 33.

2- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 5.

3- ينظر: رثاء الإمام الحسين فى العصر العباسى (رسالة ماجستير): 33.

4- خير الزاد ليوم المعاد: 19.

(من السريع)

لست إلى نجد وللرقمتينْ

أحن أو أهوى إلى الأبرقينْ

منازل تأوى (بثينٌ) لها

أين أنا يا صاحبى وهى أينْ

دع عنک عهداً للتصابى مضى

إنى بشغلٍ شاغلٍ عن (بثينْ)

إنَّ رفض الشاعر ذكريات الصبا يعد دليلاً على الاستعداد النفسى وهو يهيئ نفسه للدخول إلى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) مما يجعل القارئ يتأمَّل ما يروم إليه الشاعر، ويضعه فى حال من الترقب لما سيأتى بعد المقدمة.

ولإضفاء طابع الحزن على المرثيَّة منذ البداية أكثر الشعراء من ألفاظ الفراق والشكوى والوجد والكمد والرقاد، ونار الصبابة، يقول محمد بندر النبهانى(1): (من الطويل)

دعانى الهوى أنى أهيم بكم حبّا

فكنت كما شاء الغرام بكم صبا

وحملتموا قلبى من الوجد فوق ما

ينوء به ثقلاً فأجهدتم القلبا

وأضرمتمو فى اللبِّ نار صبابةٍ

ببينكم حتى أذبتم بها اللبا

ويقول السيد جواد الهندى(2): (من المتقارب)

رحلتم وما بيننا موعدُ

واثركم قلبى المكمدُ

وبتُّ بداری غریب الدیارِ

فلا مؤنس لی ولا مسعدُ

وفارق طرفی طیب الرقادِ

وفی سهده یشهد المرقدُ

فهذه المقدمات، مقدمات حزن، وما یجمعها بغرض القصائد ذلک الهم

1- أزهار الریف: 58.

2- دیوان السید جواد الهندی (مخطوط): 1.

الذی یتعلّق بأسبابها المباشرة (الرحیل، البعاد، الفراق) وغیر المباشرة (الحزن علی الإمام الحسین)، مما یجعل من تلک المقدمات رکائز حزن تشد المرثیّة من أول أبیاتها إلی نهایتها(1).

تأتی بعد ذلک مقدمة وصف الظعن، وهذا النوع من المقدمات مرتبط بالمقدمات الغزلیّة، لاشتراکهما فی الموضوع نفسه، لکن کثرة وروده فی الشعر العربی، جعلت النقّاد یفصلون بینهما(2).

وصورة الظاعنین مما یبعث الأسی، فهو مشهد إیذان بالفراق، وانفصام لرابطة الإنسان بأرضه، وهذا کافٍ لإثارة مکامن الشعور بالقلق من الفراق الذی یهدد الإنسان فی کل لحظة، إنَّه صورة أخری للموت(3)، وفی مراثی الإمام الحسین (علیه السلام) ربما کانت هذه المقدمات تعبر عن شعور خفی بحضور صورة ظعن الإمام الحسین (علیه السلام) فی مخیلة الشاعر، وهو یقطع الفیافی والقفار محملاً بالبدور من آل هاشم، مؤذناً بفراق مؤلم، حیث انتهی بمصرعهم فی کربلاء، وقد جسَّدت تلک المقدمات ذلک من خلال إشارات لا واعیة من لدن الشاعر، حینما تکشفت فلتات لسانه، ان ظعنه المقصود، لم یکن سوی ظعن الحسین (علیه السلام)، یقول الشیخ کاظم آل نوح(4):

1- ینظر: دیوان الشیخ کاظم آل نوح: 1 / 151، 3 / 541، ودیوان حسین الکربلائی: 59، ودیوان أبی المحاسن الکربلائی: 39، ودیوان یعقوب الحاج جعفر الحلی: 77.

2- ینظر: مقدمة القصیدة فی الشعر الجاهلی: 137.

3- ینظر: الاتجاه النفسی فی نقد الشعر العربی: 243.

4- دیوان الشیخ کاظم آل نوح: 1 / 174.

(من الكامل)

بالعيس حادى العيس يطوى البيدا

ويجوب أغواراً بها ونجودا

تخذى إذا ما زجَّها بهوادج

قد ضمنت هيفا حساناً غيدا

اما تجلَّت فى الدجى أنوارها

أهوت لهن بنو الغرام سجودا

إنَّ الألفـاظ (أنوارها، سـجودا) تخفى خلفها دلالات أعمق من دلالتها الظاهرة، وتشـير إلى صورة لظاعنين لا يسـتبعد الظن أنها صورة أهل البيت الذين يمثلون امتداداً للنور الرسالى المحمَّدى.

وقد يكون الظعن المقصود فى المقدمة، ظعن الحسين (عليه السلام) حينئذ يتحوَّل وصف الظاعنين من ألفاظ الغزل إلى الإجلال والتعظيم والتقديس، مما يجعل المقدمة، مقدمة ظعنيَّة حسينيّة، قد لا يحتاج الشاعر معها إلى وسيلة للتخلص إلى غرضه(1)، يقول كاظم سبتى(2):

(من الوافر)

برغم المجدِ من مضر سراةُ

سرت تحدو بعيسهمُ الحداةُ

سرت تطوى الفلا بجبال حلمٍ

أسُيِّرتْ الجبالُ الراسياتُ؟

.....

يرقصها الجوى أنّى ترامت

تجيب البيد فيها الراقصات

تخب بها ركائبها خفافاً

فترجع وهى منك مُوَقَّرات

الدلالة العامة للمقدمة تشعر بالهيبة والوقار، لأنَّ الشاعر تحدَّث عن ظاعنين استحقوا تلك المعانى، فهم (جبال حلم)، وهم من علاة مضر، فلم تكن تلك

1- ينظر: م. ن: 2 / 453، وديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلى: 67.

2- منتقى الدرر فى النبى وآله الغرر: 1 / 20.

الظعائن تحمل ما كانت تحمله ظعائن الشاعر الجاهلى.

وأخيراً تأتى مقدمة بكاء الشباب، فقد ذكر المرزبانى أنَّ أول من سنَّ ذلک فى مقدمات القصائد عمرو بن قميئة(1)، ثمَّ صار ذلک تقليداً سار عليه الشعراء، ولاسيما المعمرون منهم(2)، بوصفه إحساساً طبيعياً عند الإنسان الذى تقدَّم به العمر، ولم يبق لديه سوى ذكريات طالما كانت مثاراً للأسى والتحسر.

لكن تلک المقدمات تميَّزت بطابعها الخاص فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد تميَّزت بالرؤية الحكيمة التى تنسجم ورثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم يعد الشاعر يبكى شبابه ويتحسَّر عليه فحسب، وإنما مثل له انقضاء الشباب فرصة للتأمّل لخلو نفسه من نزوات الشباب لتنشغل بما هو أسمى من ذلک، أى برثاء سيد شباب أهل الجنة، يقول محمد على اليعقوبى(3): (من المتقارب)

تناسى ببابل أوطارهُ

فتىً أوضح الشيب أعذارهُ

أمِنْ بعدما جاوز الأربعين

يطاوع باللهو أمّارهُ

إذا ما الشباب انطوى سفره

فخل الهوى واطوِ أسفارهُ

فما أنا من بعدها ذو هوىً

يقاسى من الحب أطوارهُ

يناجى نجوم الدجى ساهراً

وكان ينادم أقمارهُ

إذا ما صفى عيشه برهةً

أتاح له الدهر أكدارهُ

فدع ذكريات الصبا أننى

ذكرت الحسين وأنصارهُ

1- ينظر: معجم الشعراء: 4.

2- ينظر: مقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى: 149، ومقدمة القصيدة فى الشعر الأندلسى: 78.

3- الذخائر: 32.

فالشاعر يربأ بنفسه عن أن يتصابى بعد أن جاوز الأربعين، فلم يعد ذلک لائقاً بعد أن شـغل بذکری الحسـين (عليه السلام) وأصحابه، لذلک کثيراً ما قرنت تلک المقدمات بحزن الشاعر، فلم تعد الذکريات تؤنسه بالقدر الذی کانت تثير فی نفسه دواعی الإشفاق علی عمره الماضی، يقول السيد رضا الموسوی الهندی(1): (من الکامل)

أو بعد ما ابيضَّ القذال وشابا

أصبو لوصل الغيد أو أتصابی

هبنی صبوت فمن يعيد غوانيا

يحسبن بازی المشيب غرابا

قد کان يهيدهن ليل شبيبتی

فضللن حين رأين فيه شهابا

.....

ولقد وقفت فما وقفن مدامعی

فی دار زينب بل وقفن ربابا

فالمقدمة لم تعد وصفاً لمغامرات الصبا، ولا تذکراً لتجارب الشباب، إنما أصبحت حسرة وأسفاً وبکاءً علی عمر تولی.

ومهما يکن من أمر فإنَّ مقدمات بکاء الشـباب کانت قليلة العدد فی مراثی الإمام الحسـين (عليه السـلام)، ولعلَّ السبب فی ذلک يعود إلی دواع نفسـيّة تتمثّـل بـالغرائز المتأصـلة فی النفس الإنسانيَّة، والتی تـدفع الإنسان إلی الهرب من کل ما يثير فی داخله لحظات الموت، ودنو الأجل(2)، ولاسـيما أنَّ التقـدم فی العمر علامة دالة علی ذلک، فالتشـبث بالحياة طالما دفع ذو الشـيبة إلی إخفاء شـيبته، والظهور بمظهر الشباب، وإن کان الأمر خلاف ذلک.

1- ديوان السيد رضا الموسوی الهندی: 41.

2- ينظر: موسوعة علم النفس: 230.

التخلص

إنَّ توظيف المقدمات السابقة التى تطرَّق إليها البحث، بما يتلائم ورثاء الإمام الحسين (عليه السلام) قلَّل من أهميَّة التخلّص فى مراثى هذه الحقبة، ولاسيما التخلّص بالأداة، مما نتج عن ذلک أن لا يحتاج الشاعر إلى وسيلة للانتقال إلى غرضه فى أحوال كثيرة، لكنه فى الحالات القليلة قد يلجأ إلى التخلص الانسيابى، الذى قد لا يستشعره إلاّ المتلقى الفطن، يقول محمد حسن أبو المحاسن(1):

(من الطويل)

عدمناک من دهر خؤون لأهله

إذا ما انقضى خطبٌ له راعنا خطبُ

على أنَّ رزء الناس يخلق حقبةً

ورزء بنى طه تجدده الحقْبُ

فقد لا يشعر المتلقى بشىء من التكلّف فى انتقال الشاعر من المقدمة إلى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) لوجود البعد النفسى ذاته فى المقدمة والغرض الذى تجسَّد بسخط الشاعر على الزمان الذى لا يؤمن جانبه، وقد غدر بأهل البيت، مما يسمح بالقول إنَّ انتقال الشاعر كان منسجماً مع ما أطلق النقاد عليه تسمية حسن الخروج(2)، وحسن التخلص(3)، لكن الشعراء حين يضطرون إلى استعمال الصيغ التقليديَّة للتخلص (دع ذا، دع عنک، عد...)، فإنهم - فى حالات كثيرة - تعاملوا مع ذلک الموروث على وفق رؤية منطقية تسوغها مشروعيَّة

1- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 5.

2- ينظر: كتاب البديع: 60.

3- ينظر: معجم النقد العربى القديم: 1 / 274.

العقيدة الراسخة لديهم فى رفض موضوع المقدمة لأهميَّة ما يتضمنه الغرض من المرثية، يقول محمد على اليعقوبى(1): (من المتقارب)

فدع ذكريات الصبا إننى

ذكرت الحسين وأنصارهُ

فقد جاء انتقال الشاعر مسوغاً لوجاهة القضيَّة التى انتقل إليها، والتى تستند إلى العقيدة التى يتفق الشاعر والمتلقى على عدالتها، مما يعنى أنَّ التخلص فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) وظِّف هو الآخر على نحو يتلاءم ومتطلبات رثاء الإمام، فالشاعر فى تخلصه يقيم معادلة بين طرفين، ثمَّ يغلب الطرف الثانى الذى يتمثَّل فى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) فى الأحوال كلها.

وقد يكون الانتقال بطريقة حواريَّة، حينئذ لا بدَّ أن يعتمد على مبدأ الإقناع؛ إقناع الطرف الأول (الشاعر) للطرف الثانى (العاذل فى أغلب الأحوال)، يقول مجيد خميس(2): (من الطويل)

وعاذلة لما رأتنى مولَعاً

أحنّ إلى رَبعٍ خلا منه مربعُ

تقول: أرى للحزن قلبك مقْسَماً

وجسمك للأسقام أضحى يوزعُ

فقلت لها والهم يلبسنى الشجى

أقرّ وآل الله بالطف صرعوا

إنَّ المتلقى لا يشعر بانتقالة مفاجئة أو متكلَّفة فى تخلص الشاعر، بفضل انسيابية التخلص، والنفس الهادئ الذى جسَّدته المحاورة بينه وبين العاذلة، التى بدت مستفهمة عن سبب سقم الشاعر، وسرعان ما كان الجواب المقنع، إنَّه مصرع آل الله (الحسين وأصحابه).

1- الذخائر: 32.

2- أدب الطف: 10 / 185.

الخاتمة

تحتل الخاتمة فی الشعر الذی تشرَّف برثاء الإمام الحسین (علیه السلام) أهمیَّة کبیرة، لأنها أکثر أجزاء المرثیَّة تعبیراً عن فلسفة الشاعر ورؤیته الذاتیَّة، الکاشفة عن علاقته بأهل البیت، والحسین خاصَّة(1)، ویبدو ذلک واضحاً فی مراثی الإمام الحسین (علیه السلام) فی النصف الأول من القرن العشرین، فلطالما کانت تلک الخواتیم تعبر عن مطلب ما، کطلب الشفاعة(2)، أو التوسل(3)، أو الشکوی(4)، أو استنهاض الإمام المهدی(5) (علیه السلام)، الأمر الذی یسمح بالقول: إنَّ الخاتمة فی المرثیَّة الحسینیَّة تعبر بامتیاز عن صوت الشاعر(6)، فضلاً عن کونها تحمل أبعاداً عقائدیَّة تتمثَّل فی إیمان الشعراء بمنزلة الإمام الحسین (علیه السلام) وأهل بیته، ووجاهتهم عند الله بوصفهم وسائل ناجعة للشفاعة، والخلاص الدنیوی والأخروی، وهو الهدف الذی طالما ترجمه الشعراء فی الخاتمة، یقول السید مهدی الطالقانی مستنهضاً الإمام المهدی فی خاتمة إحدی مراثیه الحسینیَّة(7):

1- ینظر: مراثی الإمام الحسین فی العصر الأموی (رسالة ماجستیر): 32.

2- ینظر: منتقی الدرر فی النبی وآله الغرر: 1 / 17، 20، وديوان الحاج يعقوب الحاج جعفر الحلی: 34، 38، 41، 75، 77، 101، 144، 145، وديوان الشيخ هادی الكربلائی: 40، وديوان الربيعی: 1 / 131، 144، وديوان الشيخ كاظم آل نوح: 2 / 379، وديوان أبی الحب: 120.

3- ینظر: ديوان الحاج يعقوب الحاج جعفر الحلی: 59، وديوان الناصری: 2 / 144، وديوان الياسری: 18، وديوان الشيخ عبد الغنی الحر: 107.

4- ینظر: خير الزاد ليوم المعاد: 14، 26.

5- ینظر: القصائد البهيَّة فی النصائح المهدوية (مخطوط): 5، والذخائر: 36.

6- ینظر: شعر رثاء الإمام الحسين فی العراق (رسالة ماجستير): 30.

7- ديوان السيد مهدی الطالقانی: 81.

(من الكامل)

قمْ جرد السيف اليمان وصلْ به

فالسيف يخشى وقعُه إن جُرِّدا

يرضيک يا مولى البريَّة انَّنا

نقضى أسىً ولَهاً ليومک رصَّدا

فاعطف بطلعتک التى نطفى بها

غلل الصدى غوثاً فقد طال المدى

صلى الإله على رفيع مقامكم

ما ناح فى الأيک الحمام وغرّدا

فقد جمع الشاعر بين استنهاض الإمام المهدى، والصلاة على أهل البيت فى إشارة إلى تلازم هذين المطلبين، بوصفهما يؤديان إلى نتيجة واحدة تتمثَّل فى إحقاق الحق، وإفشاء السلام فى ظل دولة المهدى (عليه السلام).

ومما يجب الالتفات إليه - فضلاً عمّا تقدَّم - ظاهرة التفجع(1)، التى طالما كانت موضوعاً لخواتيم المراثى فى هذه الحقبة، وقد أخذت أكثر من اتجاه، أكثرها حضوراً التفجع على نساء الحسين (عليه السلام)، ولاسيما السيدة زينب(2)، ويمكن تفسير ذلک بأنه محاكاة لطبيعة الأحداث التى جرت فى كربلاء، وانتهت بسوق نساء الحسين (عليه السلام) سبايا فى مشهد مؤثر، كان بمنزلة المنبع الثر لصور الشعراء فى خواتيم مراثيهم، ونهاية خيط الحزن الواصل بين أجزاء المرثيَّة،

1- ينظر: ديوان الحويزى: 2 / 95، 97، 100، 103، 107، ومنتقى الدرر فى النبى وآله الغرر: 2 / 61، والديوان: 2 / 163، وديوان يعقوب الحاج جعفر الحلى: 67، ومن وحى الزمن: 194، وأزهار الريف: 56، والأنواء: 171، 173، والقصائد البهية فى النصائح المهدوية (مخطوط): 8.

2- ينظر: ديوان الربيعى: 1 / 114، 116، وديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 174، 2 / 282، 453، 3 / 591، 681، وديوان السيد رضا الموسوى الهندى: 41، وديوان أبى المحاسن الكربلائى: 18، 47.

يقول على البازى(1): (من البسيط)

والفاطميات فرَّت من مخيمها

لما أصات ابن سعد أحرقوا الخيما

فأبصرت جسمه فوق الثرى قطعاً

ورأسه فوق رأس السمهرى سما

.....

نادته بنت على يا ابن فاطمةٍ

يا ليت عينى أصيبت قبل ذا بعمى

ولا أراك على الرمضاء منعفراً

ومنک صدر الهدى بالخيل قد هشما

وليت عينيک ترنو حال نسوتکم

لما على خدرها جيش العدى هجما

وسيَّروها على الأقتاب حاسرة

بين العدى وأبوها حيدر شتما

ولم تجد كافلاً غير العليل لها

بعد الحماة ولا ملجأ ومعتصما

وقد أفرد عدد من الشعراء خواتيم مراثيهم للسلام على أهل البيت (عليهم السلام) والحسين خاصة فى إشارة إلى رغبتهم بأن يحل السلم والأمان بين الناس لكى تتحقق العدالة الإلهيَّة، فضلاً عن انَّ هؤلاء الشعراء قد تأدبوا بآداب القرآن والسنَّة التى تضع للسلام قيمة جوهريَّة فى تحقيق شرائع الله، يقول السيد جواد الهندى فى خاتمة إحدى مراثيه(2):

(من الطويل)

آبائی الأشراف هاکم قصیدةً

جواديَّة أبياتها درر غرُّ

.....

وإنی لأرجو أن تکونوا ذخیرتی

وملجئی إن قام القیامة والحشرُ

علیکم سلام الله ما دامت السما

وما أشرقت شمس وما طلع البدرُ

1- یوم الحسین: 80 - 81.

2- دیوان السید جواد الهندی (مخطوط): 6.

ومما هو قريب من هذا المعنى، قول عباس أبى الطوس(1):

(من الخفيف)

فعلى قبرك المَشيد سلامٌ

وسلامٌ عليك يا ابن الأسودِ

مقدمات طفيَّة

مقدمات طفيَّة(2)

افتتح عدد من الشعراء العراقيين مراثيهم الحسينيَّة بمقدمات خاصَّة، وجدوا فيها البديل عمّا كانت تتضمنه المقدمات التقليديَّة من غزل، ووصف للأطلال، وذكر النساء، وبكاء الشباب، مستعيضين عن ذلک بمضامين جديدة مستوحاة من واقعة الطف، مثل الدعوة إلى الأخذ بالثأر والتحريض، ومناجاة الإمام الحسين (عليه السلام)، فكانت تلک المقدمات تعبر عن رؤية الشاعر لقضيَّة الإمام الحسين (عليه السلام) تجاوز البكاء والحزن إلى موقف عقائدى راسخ.

ومن أهم أنواع المقدمات الطفيَّة، مقدمة الدعوة إلى الأخذ بالثأر، التى اتسمت بطابع حماسى تحريضى، وقد يكون ذلک من بقايا الصور الأولى لنشأة الرثاء الذى طالما ارتبط بالتحريض(3)، يقول محمد بندر النبهانى فى مقدمة إحدى مراثيه(4):

1- المجموعة الشعرية الكاملة (مخطوط): 318.

2- لقد استعمل الدكتور على كاظم المصلاوى مصطلح (الطفيات) أول مرة ليشير به إلى الشعر الذى يتعلق بمعركة الطف فآثرنا استعماله لوصف هذا النوع من المقدمات. ينظر: طفيات الشريف الرضى، بحث منشور فى مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية: 8 - 38.

3- ينظر: مقالات فى الشعر الجاهلى: 333.

4- أزهار الريف: 61.

(من الرمل)

أمِن الحاقد من هاشم كيدا

فشفى منها بقتل السبط حقدا

وغدا يرفل فى ثوب الهنا

مستطيلاً بعدما قد كان عبدا

.....

أنسيت الثار يا هاشم أم

قد تركت طلب الأوتار عمدا

فهلمّى بالعوالى شرَّعا

والضبى مشحوذة والخيل جردا

واطلبى ثأر الحسين مذ غدا

بين أجناد العدى فى الطف فردا

مثل هذه المقدمة لا ـ يمكن أن تفهم دوافعها من دون فهم المرجعيات الثقافية التى تحرك الشاعر، والتى لا يمكن تفسيرها بأنَّها مواقف عدائيَّة، بل يمكن أن تكون جزءاً من حاجات نفسيَّة لا واعية تتمثَّل فى القلق من وجود الشر، ممثلاً بمتاعب الشاعر الشخصيَّة، وسلبيات المرحلة التاريخيَّة، التى لا يمكن أن تصحح ما لم تتحقق العدالة بكل وجوهها، فضلاً عن المبادئ الإسلاميَّة التى ترفض الانتقام، وتدعو إلى الوحدة والسلام.

ولطالما ارتبطت تلك المقدمات باستنهاض الإمام المهدى(1) (عليه السلام) ليقتص من قتلة الحسين (عليه السلام)، وليحقق دولة العدالة والسلام، فى إشارة واضحة إلى إيمان الشاعر بالإمام المهدى الذى سيظهر يوماً ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً(2).

1- ينظر: ديوان الفرطوسى: 1 / 76، وديوان يعقوب الحاج جعفر الحلى: 19، 81، وديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 72.

2- قال النبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): " إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنَّ أهل بيتى سيلقون بعدى بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون، فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلون حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملأها قسطاً كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلک منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج ". سنن ابن ماجه: 698.

وفضلاً عن الأبعاد العقائديَّة، فإنَّ تلك المقدمات تتضمَّن أبعاداً نفسيَّة مهمَّة بما تؤديه من وظيفة تطهيريَّة، فهى متنفَّس صالح للشعراء للتعبير عن سخطهم على الواقع، وتطلعهم إلى عالم أكثر اطمئناناً.

يقول محمد على اليعقوبى مستنهضاً الإمام المهدى (عليه السلام) فى مقدمة إحدى مراثيه(1): (من الكامل)

عصفت بطود الصبر وهو ركينُ

محن يضجّ إليک منها الدينُ

بل يستغيث من الخطوب وما له

غوث سواک من الورى ومعينُ

يا ابن الذين بذكرهم قد أعلنتْ

سور الكتاب وصرَّح التبيينُ

كم أكبد حنَّت إليک على النوى

منا وكم شخصت إليک عيونُ

.....

تغضى جفونک والحسين بكربلا

أوصاله لشبا السيوف جفونُ

فالمقدمة تمثل مطلباً لنهاية الصراع بين الخير والشر حينما يأذن الله بخروج المخلِّص لينقذ الإنسانيَّة مما حاق بها من حيف على يد الأشرار والظالمين، وقد تكلَّم الشاعر بلهجة المتلهف لذلک اليوم (كم أكبد حنَّت عليک) فى إشارة إلى المنطلق العقائدى فى رثاء الإمام الحسين(2) (عليه السلام)، ولاسيما ان خروج

1- الذخائر: 36.

2- ينظر: منتقى الدرر فى النبى وآله الغرر: 1 / 15، وديوان يعقوب الحاج جعفرالحلى: 38، والقصائد البهية فى النصائح المهدوية (مخطوط): 3، 5، وديوان الربيعى: 1 / 111، 121، وديوان الشيخ كاظم آل نوح: 2 / 399، والشعر المقبول فى مدائح ومراثى آل الرسول: 32.

المهدى يمثّل حداً للظلم الذى بدأ بتقتيل أهل البيت (عليهم السلام) وتشريدهم.

وتأتى بعد مقدمة الدعوة إلى الأخذ بالثأر، مقدمة المناجاة، وهى تعبير عن موقف التأمل الفلسفى للشعراء، وهم بحضرة الإمام الحسين (عليه السلام) يتأملون سر خلوده على صفحات التاريخ، فهى مواقف إجلال وتعظيم وتقديس، ,انها أشبه بمواقف الاستغراق والتوحد عند الشاعر الصوفى حينما تمتلئ نفسه بحب الله، فتغدو قريبة منه كلَّ القرب(1).

وتمثل مقدمة المناجاة وجهاً ناصعاً للتجديد فى رثاء الإمام الحسين(2) (عليه السلام)، فهى وليدة مرحلتها، والمعبرة عن الفهم المعاصر لأبعاد معركة ألطف، واستيعاب حركة التطور فى الشعر العراقى فى النصف الأول من القرن العشرين، التى أثمرت عن أدب إنسانى معبر عن مرحلته، ومنه الشعر الحسينى، فكانت تلك المقدمات والمراثى الحسينيَّة عامَّة "صدى لعواطف ملتهبة أخمد الزمان لهيبها أن يظهر، وأطلق الأدب دخانها أن يثور، ففاح كما يفوح الندّ حين يحترق، وماء الورد حين يتصعَّد"(3).

1- ينظر: الشعر الصوفى: 199.

2- ينظر: مع النبى وآله: 1 / 190، 193، 195، وديوان بحر العلوم: 2 / 121، والديوان: 2 / 163، ومن وحى الحسين: 22، وديوان الجواهرى: 3 / 233، وأصداء الحياة: 86، وديوان الوائلى: 2 / 101 169، ويوم الحسين: 179، 184.

3- ليلة عاشوراء فى الحديث والأدب: 188.

يقول السيد محمد جمال الهاشمی(1) يناجی الإمام الحسين فی مقدمة إحدی قصائده الحسينيَّة: (من الطويل)

أعنّی بوحی منک إن خاننی الشعرُ

وهيهات أن يسمو إلی سرک الفكرُ

تحجبت حتی قيل إنک غامض

وأسفرت حتی انجاب عن لبَّه القشرُ

تطوف حواليک القرائح خشَّعاً

وتسعی لک الأقلام يكبو بها الذعرُ

أعنِّی عسی أن ألمس السرَّ فالحجی

تعصَّی عليه الرأی والتبس الأمرُ

يناجيک غيری بالدموع وإننی

أراک تناجينی متی ابتسم الثغرُ

عليک سلام الله أی روايةٍ

علی مسرح التاريخ يعرضها الدهرُ

فإذا كان الشعر نوعاً من الإلهام يوحی إلی الشاعر بوساطة روح أو ملک، كما ظنَّ القدماء(2)، فإنَّ السيد الهاشمی يرجو من الحسين أن يكون ملهمه، فصورة الإمام الحسين (عليه السلام) بين وضوح السيرة التاريخية وعظمتها، وهالة القداسة وجلالها تكاد أن تكون لغزاً من الجلال والعظمة عند الشاعر حتی التبس الأمر عليه، فوقف حائراً أمام ذلک النور القدسی، راجياً الدخول إلی تلک الدوحة النورانيَّة.

وتبدو نشوة التصوف أكثر وضوحاً عند شعراء آخرين، وقد تصل إلی حالة السكر الصوفی، كما نجده فی مقدمة إحدی مراثی السيد مصطفی جمال الدين(3): (من الكامل)

1- مع النبی وآله: 1 / 190.

2- ينظر: جمهرة أشعار العرب فی الجاهلية والإسلام: 47.

3- الديوان: 2 / 163.

لاقيت رزءک غير مكتئب

أشدو وأنت السرَّ فى طربى

وذهبت من ذكراک منتشياً

فى سكرة كادت تطوّح بى

مولاى: إنَّ الناس قد جهلوا

من قُدْس يومک غيْبه الذهبى

فالشاعر فى هذه المقدمة أدار دفَّة الرثاء من الحزن والبكاء إلى حالة من النشوة الروحيَّة الملائمة لجوهر القداسة الحسينى، وتكاد هذه الميزة تكون عامة فى المراثى الحسينيَّة التى ابتدأها الشعراء بالمناجاة، فغلبة الطابع التأملى الهادئ يطغى على المرثيَّة كلها من المقدمة إلى الخاتمة، ويرى الباحث أنَّ تفسير ذلک يعود إلى النظرة الفلسفيَّة عند هؤلاء الشعراء للقضيَّة الحسينيَّة، فلم يعد الإمام الحسين (عليه السلام) عندهم موضع حزن وتفجع، بل رمز يختزل كل المعانى السامية الذى قد يصعب الوصول إلى تحقيقها. ويقول محمد مهدى الجواهرى فى مقدمة عينيَّته الحسينيَّة(1): (من المتقارب)

فداءٌ لمثواک من مضجعِ

تنوَّر بالأبلج الأروعِ

يا عبقَ من نفحات الجنا

نِ روحاً ومن مسكها أضوع

ورعياً ليومک يوم الطفوف

وسقياً لأرضک من مصرعِ

وحزناً عليک بحبس النفوس

على نهجک النيِّر المهيعِ

لقد جمع الجواهرى بين جمال الصورة الفنيَّة، وعمق الفكرة الفلسفيَّة فى هذه المقدمة، ولاسيما فى قوله: (وحزناً عليک بحبس النفوس) التى اختزلت كل معانى التأثر، إذ جاء معبراً عن أسمى درجات الحزن، وأعمق دلالات العزاء الروحى، " ومن هنا كانت هذه القصيدة نقطة مضيئة فى شعر الرثاء الدينى الذى

1- ديوان الجواهرى: 3 / 233.

كان سائداً فی مطلع القرن العشرین، وقد کان الجواهری بحق رائداً من روّاد هذا اللون من الرثاء فی الشعر العراقی الحدیث "(1).

مراثٍ من دون مقدمات

مثّلت هذه المراثی بنسب مهمة فی دواوین الشعراء العراقیین فی النصف الأول من القرن العشرین، ففی دیوان الشیخ یعقوب الحاج جعفر الحلی وردت ثمانی مراثٍ من دون مقدمات من أصل عشرین مرثیّة تضمنها الدیوان(2)، ولم یبتدئ الشیخ محمد بندر النبهانی أیاً من مراثیه الحسینیّة بمقدمة سوی مرثیة واحدة(3)، وضمَّ دیوان السید مهدی الطالقانی أربع مراثٍ من دون مقدمات(4)، وتتفاوت هذه النسب فی دواوین الشعراء الآخرین(5).

ولیس بدعاً أن یباشر الشاعر رثاءه من دون مقدمة، ف " الآخذ فی الرثاء یجب أن یکون مشغولاً عن التشبیب بما هو فیه من الحسرة، والاهتمام بالمصیبة"(6)، وقد کان ذلک متبعاً منذ العصر الجاهلی(7)، لکن ألفة الذائقة العربیة للقصیدة ذات المقدمة کان دافعاً للنقاد للاهتمام بالقصائد التی خلت من

1- فن الرثاء فی شعر الجواهری (رسالة ماجستیر): 71.

2- ینظر: دیوان یعقوب الحاج جعفر الحلی: 34، 36، 80، 82، 101، 119، 128، 163.

3- ینظر: أزهار الریف: 56، 63، 65، 67، 70.

4- ینظر: دیوان السید مهدی الطالقانی: 77، 81، 92، 168.

5- ینظر: دیوان الشیخ عبد الغنی الخضری: 180، والأنواء: 176، ومعین الحاج معین: 163، ودیوان الجزائری: 75، ودیوان الربیعی: 1 / 114، 116، 140، ودیوان الشیخ کاظم آل نوح: 1 / 3، 18، 3 / 790.

6- العمدة: 2 / 152.

7- ینظر: الأصمعیات: 36.

المقدمات، فی محاولة لإیجاد تفسیر لها(1).

ویری الباحث أنَّ مراثی الإمام الحسین (علیه السلام) التی خلت من المقدمات تمثل استجابة طبیعیَّة لدواعی التأثر بمأساة کربلاء، وتعبیراً مباشراً عن عاطفة الحزن علی الإمام الحسین (علیه السلام)، وربما کان الشعراء یتحرَّجون من الابتداء بالغزل، أو ذکر النساء، أو وصف الظعائن والأطلال، وهم بحضرة سید الشهداء(2)، ولاسیما الشعراء الذین نشأوا فی بیئات دینیَّة محافظة، فضلاً عن ان تلک المقدمات تتعارض وتوجهات المنبر الحسینی الذی یعتمد تلک المراثی فی أحوال کثیرة.

وقد یشیر الشاعر نفسه إلی ما یوحی بالسبب لابتدائه رثاء الإمام من دون مقدمة، کما فی قول السید مهدی الطالقانی فی مطلع إحدی مراثیه(3): (من البسیط)

کل الخطوب وإن جلَّت تهون سوی

ما بالطفوف جری فی یوم عاشرها

ألوت رزایاه بالندب الغضنفر مَنْ

بکت له الملأ الأعلی بسائرها

فلا یری السید الطالقانی خطباً أعظم مما جری فی کربلاء، لذلک لا همَّ عنده یعدل هم ذلک الیوم، ومن الطبیعی أن ینصرف المعنی فی قول الشاعر (کل الخطوب) إلی کل ما یشغل الشعراء من هموم الفراق، وبعاد الأحبة، وهموم الحب، والشکوی من الشیب.

وقد یکون انصراف الشعراء عن المقدمات التقلیدیة عائداً إلی أسباب

1- ینظر: العمدة: 1 / 231، ومنهاج البلغاء: 351 ، ومقدمة القصیدة فی الشعر الجاهلی: 108، والبناء الفنی فی شعر الهذلیین: 58.

2- ینظر: رثاء الإمام الحسین فی العصر العباسی: 58.

3- دیوان السید مهدی الطالقانی: 81.

ترتبط بثقافة الشاعر الأدبية، وموقفه من التراث الشعرى، فلم تعد مسألة الالتزام بتلك المقدمات تهم الشعراء الذين مالوا إلى التجديد، فقد لا يجد القارئ مرثية واحدة ذات مقدمة تقليدية فى دواوين شعراء مثل طالب الحيدرى(1)، وعبد القادر رشيد الناصرى(2)، وأحمد الوائلى(3)، ومصطفى جمال الدين(4)، وعباس أبى الطوس(5)، وعباس الملا على(6)، وبدر شاكر السياب(7)، ومظهر إطيمش(8)، وصالح الجعفرى(9)، وإبراهيم الوائلى(10)، ومحمد صالح بحر العلوم(11)، وحسين آل بحر العلوم(12)، وعبد الصاحب شكر البدراوى(13)، ومحمد مهدى الجواهرى(14).

والملاحظ على المراثى التى تخلو من المقدمات أنها غالباً ما تبدأ بما يدل

1- ينظر: من وحى الحسين: 10، 16، 19، 22، 29، 34، 40، 43 وألوان شتى: 109، 115.

2- ينظر: ديوان عبد القادر رشيد الناصرى: 1 / 1، وديوان الناصرى: 2 / 144.

3- ينظر: ديوان الشعر الواله فى النبى وآله: 99.

4- ينظر: الديوان: 2 / 161.

5- ينظر: المجموعة الشعرية الكاملة (مخطوط): 317.

6- ينظر: من وحى الزمن: 194، 196.

7- ينظر: أزهار ذابلة وقصائد مجهولة: 88.

8- ينظر: أصداء الحياة: 65، 67، 73، 86، 94.

9- ينظر: ديوان الجعفرى: 147.

10- ينظر: ديوان الوائلى: 1 / 101، 153، 169، 178.

11- ينظر: ديوان بحر العلوم: 2 / 84، 121.

12- ينظر: ينظر: زورق الخيال: 17.

13- ينظر: نوح وتغريد: 91.

14- ينظر: ديوان الجواهرى: 2 / 269، 3 / 231.

على معانى الحزن والأسى والبكاء، من ذلک قول حسين آل بحر العلوم(1): (من الخفيف)

أقعد الدهرُ بالأسى وأقاما

مصرعٌ للحسين فيه تسامى

مصرعٌ طبَّق العوالم رزءً

وتحدى الأجيال والأعواما

مصرعٌ أثكل النبى شجاهُ

حيث لم يرعَ فى بنيه ذماما

وقد يبدأ الشاعر مرثيته بما يشبه الحكمة المأخوذة من موقف الحسين (عليه السلام)، يقول محمد صالح بحر العلوم(2): (من الكامل)

بدم الشهيد تُخَطُّ فاجعة الإبا

حقاً بدون دم أبى أن يكتبا

تاريخ إثبات الحقوق سطورهُ

حمرٌ تعلمنا النضال الأصوبا

وقد يبدأ الشاعر بما يصور وقع المأساة التى حلَّت بأهل البيت (عليهم السلام) فى كربلاء، كما فى قول إبراهيم الوائلى(3): (من الرمل)

رنَّةُ الدهرِ وصوت الحقبِ

هذه الذكرى التى لم تَغبِ

كم طوت جيلاً ولفَّت زمناً

واعتلت فوق متون الكتبِ

إنَّ هـذا النمط من المراثى يضع أمامنا المسوغات التى تـدفع الشـعراء إلى النظم فيه، هـذه المسوغات قـد تكون فنيـة تتمثل بتناول الغرض مباشرة، وانتهاج الشاعر البناء الفنى الذى يرتضيه لمرثيته، وقد تكون موضوعية تتعلق بانشغال الشعراء بما هو أهم من المقدمة ذاتها.

1- زورق الخيال: 17.

2- ديوان بحر العلوم: 2 / 84.

3- ديوان الوائلى: 1 / 101.

الفصل الثانی: اللغة الشعرية

اشارة

الألفاظ

الصياغة

الإيقاع

لغة الشعر

اشارة

تكتسب اللغـة سـمتها الشـعريَّة حينما تمتزج بالخيال، وعندئـذ تنتقل بوظيفتها من التقرير والإفهام إلى الإيحاء، ومن العمومية إلى الذاتيَّة. فلغة الشعر لغة خاصَّة، بمعنى أنَّها نتاج خيال مبدع، أى أنَّها لم تكن شاعريَّة قبل أن يلوِّنها الشاعر بخياله، ويكسوها بعواطفه، ليرتفع بها على أجنحة روحه من واقعها المعجمى إلى واقع آخر تكون فيه عصيَّة على الترجمة، والتفسير، والتجزئة(1).

وتقتضى ضرورات البحث أن تعالج اللغة الشعريَّة ضمن نقاط ثلاث هى:

1. الألفاظ.

2. الصياغة.

3. الإيقاع.

إنَّ هذه العناصر متصلة ملتحمة فيما بينها داخل النص، ولم يكن فصلها إلاّ لأغراض الدرس والتحليل.

1- ينظر: لغة الشعر العراقى المعاصر: 11، ولغة الشعر الحديث فى العراق: 9.

أولاً: الألفاظ

للفظـة فى المعجم العربى معنى محدد تشـير إليه، ويمكن أن يفهمه عامَّة الناس، وفى الوقت نفسه لا تخلو الكلمات من إمكانية التوسع فى المعانى عن طريق المجاز والتشبيه والاستعارة(1)، وكلها تعتمد على قوة الخيال الذى يتمتع به الشاعر، فدور الشاعر نقل الكلمات من حيز المباشرة والتقريرية إلى عالم التأويل، فالشاعر حينما يتعامل مع اللغة فإنه يتعامل مع "كائن حى يتجدد"(2).

وبمـا أنَّه يشـعر أكثر من غيره بـالقيم الإيحائيـة للألفـاظ، ويعرف مكـامن الجمال فيها، ومواضع التأثير فى الكلام، فإنه وفى أغلب الأحوال يسخر كل ما للألفاظ من إيحاءات، وإمكانات تعبيرية، يشحنها بدلالات غير دلالاتها المعجمية المألوفة.

والألفاظ إشارات تدل على الحالة النفسـية التى يمر بها الشاعر فى أثناء تجربته الشعرية، ونجد مصداق ذلک فى مراثى الإمام الحسين(عليه السـلام)، فإن الألفاظ تتنوع بتنوع الموضوع الذى يعالجه الشاعر، فإنه حينما يكون فى موضع الحزن على الإمام الحسـين عليه السلام وأهل بيته، فالغالب ما يختار من الألفاظ اللين الرقيق(3).

1- ينظر: علم الدلالة: 235.

2- لغة الشعر الحديث فى العراق: 161.

3- ينظر: مع النبى وآله: 1 / 186، وديوان الشعر الواله فى النبى وآله: 99، وسقط المتاع: 1 / 241، ومعين الحاج معين: 1 / 163.

يقول السيد مصطفى جمال الدين(1): (من الكامل)

مولاى إن الدمع يهزأ بى

لما ابتسمت ليومک الذهبى

وخَبتْ على وجهى بشاشته

لما رأيتک جدَّ مكتئبِ

تتصفح الأجساد طيبة

أعراقها وتجد فى الطلبِ

حتى مَ تبحث عن وليدک فى

رهط متى تنظره يضطربِ

لكن الحال يختلف حينما يكون الشاعر فى موضع ذم الأعـداء وهجائهم أو حينما يسـتنهض الإمام المهدى (عجل الله فرجه)، فإن الألفاظ حينئذ تكون جزلة قوية(2). يقول عبد المنعم الفرطوسى(3): (من الطويل)

بنى غالب ثوروا عجالا بنهضةٍ

تطير بقلب الدهر من لجب ذعرا

بحيث ترى الدنيا بآل محمد

وقد ملئت عدلا كما ملئت جَوْرا

ونبصر آل اللهِ بالنصرِ ترتدى

وآل بنى سفيان صرعى على الغبرا

وفى الحالين، فإن الشاعر ينهل من موارد ثقافته الأدبيـة فتتأتى الألفاظ بنوعيها معبرة عن مزاجه الشخصـى، ونوع الثقافة التى تأثر بها، فاختيار الشاعرلألفاظه "يعتمد على سـعة ثقافته اللغوية المتعلقة بمظاهر اللغة المختلفة كالاشـتقاق والترادف والتضاد والتكرار والتكثيف والاختزال والتضمين"(4).

1- الديوان: 2 / 165.

2- ديوان حسين الكربلائى: 62، وديوان الربيعى: 1 / 91، ومنتقى الدرر فى النبى وآله الغرر: 1 / 17، والقصائد البهيَّة فى النصائح المهدوية (مخطوط): 3، وزورق الخيال: 17، وديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 3، 24، 72، 2 / 443، 3 / 582، 589، 650.

3- ديوان الفرطوسى: 1 / 78.

4- عناصر الإبداع الفنى فى شعر أحمد مطر: 119.

أما غموض الألفاظ ووضوحها، فنجد أن الشعراء العراقيين فى الحقبة موضوع الدراسة من أعجبته الألفاظ القاموسية والصعبة - ولاسيما فى مقدمات المراثى، يقول ميرعلى أبو طبيخ فى مقدمة إحدى مراثيه الحسينية واصفا ناقته(1): (من مجزوء الكامل)

تطوى الذميل على الرسيم

وتفل ناصية الأديمِ

إن أرقلت بمناسم

زفت بقادمة الظليمِ

تدع البروق وراءها

وتجر أرسنة النسيمِ(2)

فهذا الميل إلى الغريب لا يمكن أن يفسر إلا بثقافة الشاعر التقليدية ورغبته فى إظهار مقدرته الأدبية، وتمكنه من اللغة، لكن هذه الظاهرة قد لا نجد لها اثراً واضحاً عند الشعراء الذين مالوا إلى التجديد، أو تأثروا به(3)، ولا عند الشعراء الخطباء(4)، ومن الشعراء من حاول تضمين مراثيه ألفاظاً تدل على معرفته بحقل معرفى معين - كالفلسفة - مثلا، يقول الشيخ محمد جواد الجزائرى(5): (من الكامل)

1- الأنواء: 178.

2- الذميل والرسيم والأرقال ضروب من سير الإبل، والظليم: ذكر النعام، والرسن: الحبل، والمنسم: خف البعير، ينظر: الصحاح: 4 / 1392، 1569، 1401، 1604، 1711 و 5 / 1650.

3- مثل محمد صالح بحر العلوم، ينظر: ديوان بحر العلوم: 2 / 84، وطالب الحيدرى، ينظر: ديوانه: من وحى الحسين: 10، 16، 19، 22.

4- مثل قاسم حسن محيى الدين، ينظر: ديوانه الشعر المقبول فى مدائح ومراثى آل الرسول: 2 / 39 - 44.

5- ديوان الجزائرى: 74، والبيتان الثالث والرابع غير موجودين فى الديوان، بل فى منشور: رسالة الحسين: 9، وفيه عجز البيت الأول: (فى نوعها مثل ولا ند).

لكنْ رزايا الطفِّ ليس لها

فى مثلها نوعٌ ولا ندُّ

طوت الحقوب حدودها ولها

فى كل أونة لنا حدُّ

هل إنها (نوع) وكان له

فى قلب كل موحد فردُ

أو إنها (فرد) وكان له

بعد ليوم الحشر ممتدُّ

إن الألفاظ (نوع، حد، فرد) مما يتداوله الفلاسفة، لكن الشاعر حاول توظفيها فى مرثيته لتكسبها بعدا تأمليا عميقا فى إشارة إلى تفرد مآساة الحسين عليه السلام بمعان قد لا تستوعبها تلك الألفاظ بمعانيها المباشرة.

وفى الأحوال كلها فإن الشاعر العراقى فى رثائه سيد الشهداء قد تفنن فى استعمال الألفاظ اللائقة لمقام الرثاء الحسينى.

ومهما يكن من أمر فإن ألفاظاً، مثل (البكاء، الدموع، الحزن، الفراق، السهاد، الموت، المصيبة، البأس، المنون، الدهر، الجزع، القتيل، الثكالى، الردى، الحمام، الأسر، يذوب)(1) كانت شائعة جدا فى مراثى الإمام الحسين عليه السلام وهو أمر طبيعى، فكيف يقوم الرثاء بدون تلك الألفاظ؟ قال القرطاجنى: " وأما الرثاء فيجب أن يكون شاجى الأقاويل، مبكى المعانى، مثيرا للتباريح، وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة "(2).

ومن البديهى أن يكون المعجم الشعرى فى مراثى الإمام الحسين (عليه

1- ينظر: ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 3، 18، 24، 2 / 281، 3 / 748، وديوان يعقوب الحاج جعفر الحلى: 36، 67، وديوان الفرطوسى: 1 / 76، وأزهار الريف: 56، وخير الزاد ليوم المعاد: 21، والشعر المقبول فى مدائح ومراثى آل الرسول: 2 / 25، 41.

2- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 351.

السلام) يستمد دلالاته من واقعة الطف، من خلال استيحاء رموزها المتمثلة بأسماء الأعلام والأمكنة والأزمنة والأسلحة، التى شكلت معجمًا خاصًّا لتلك الواقعة، إلا أنَّ هؤلاء الشعراء لم يستعملوا تلك الألفاظ بصيغها التقريرية، وإن كان صدى الحقائق التاريخية المباشرة حاضراً فى أذهانهم بدرجات متفاوتة.

ومن الطبيعى أن يكون اسم الإمام الحسين (عليه السلام) فى مركز الصدارة من بين أسماء الأعلام التى وردت فى مراثى الإمام، بوصفه المقصود بالرثاء، والملاحظ أنَّ الشعراء العراقيين حينما وظفوا الصفات اللائقة بالإمام، مثل: (الشهيد، والبطل، والهمام، وابن فاطمة، وابن بنت الرسول، وأبى الأحرار، وسيد الشهداء)(1) فقد أرادوا منها أقصى ما تتحمله من دلالات، فإذا كانت البطولة على درجات، فإنَّ الإمام بوقفته تلك قد بلغ أقصى درجاتها، وإذا كان الشهداء ليسوا بمنزلة واحدة، فإنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان سيد الشهداء جميعاً، وكان الشعراء - وما زالوا - يستمدون تلك المعانى مما روى من أحاديث نبوية فى فضله (عليه السلام)(2)، فكان مجرد ذكر الاسم الشريف مدعاة للتضحية بكل معانيها، والشهادة بأقصى درجاتها، فهو القدوة لكل الأحرار، كما يقول عبد الحسين الأزرى(3): (من الكامل)

1- ينظر: ديوان الوائلى: 1 / 178، وديوان السماوى: 361، 367، وديوان أبى الحب: 141، والأنواء: 174، وخير الزاد ليوم المعاد: 21 ومن وحى الحسين: 13، 17، 22، وديوان الشعر الواله فى النبى وآله: 100.

2- قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): " حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط " المعجم الكبير: 3 / 33.

3- ديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 339.

ما كان للأحرار إلا قدوةً

بطلٌ توسَّدَ فى الطفوفِ قتيلا

بعثتهُ أسفارُ الحقائقِ آيةً

لا تقبلُ التفسيرَ والتأويلا

ما زالَ يقرأُها الزمان معظماً

من شأنها ويعيدها ترتيلا

دوّى صداها فى المسامع زاجراً

مَنْ عُلَّ ضيماَ واستكان خمولا

وعلى الرغم من أنَّ الشاعر أضمر اسم الإمام، لكنه أسس جملة من الحقائق استمدها من الإمكانات الدلالية التى يزخر بها ذلك الاسم، ليكون المعادل الموضوعى لكل الصفات التى يفترض أن تتوفر فى الأحرار والمضحين من أجل مبادئهم.

وقد اقترنت لفظة (الشهادة) باسم الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفها إحدى الألفاظ المفعمة بالدلالات الموحية، وبديلاً عن لفظة (الموت)، التى لم تطلق على الإمام فيما نظم من مراثٍ، فكان الموت فى واقعة الطف يعنى الشهادة بكل معانيها، وقد حقق الشعراء بذلك أكثر من قيمة فنية وتاريخية، تتفق كلها والمبادئ الإسلامية، فالشهداء أحياء عند ربهم(1)، وهم فى أعلى الدرجات فى روضات الجنان، فضلاً عن الابتعاد عن الصفة التقريرية للفظة (الموت)، ثمَّ إنَّ لفظة (الشهادة)(2) تشير بوضوح - عند الشعراء - إلى عدالة القضية التى استشهد من أجلها سيد الشهداء، يقول مظهر اطيمش(3): (من الوافر)

1- قال تعالى: ((ولا تحسَبَنَّ الذينَ قتلوا فى سبيلِ اللهِ أمواتاً، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون)) آل عمران: 169.

2- ينظر: ديوان الوائلى: 1 / 178، ومع النبى وآله: 190، وديوان بحر العلوم: 2 / 184، 121، ويوم الحسين: 97.

3- أصداء الحياة: 1 / 94 - 95.

أبا الشهداء يا سبط النبيِّ

ويا أرج الفضائل من عليِّ

ويا نفح البتول ويا شذاها

وإشعاع المفاخر من لؤيِّ

.....

تطلَّع للوجود عليک تسمعْ

نواحاً فی البکور وفی العشیِّ

فالصفات التی أطلقها الشاعر علی الإمام الحسین (علیه السلام) لم تکن للمدیح بقدر کونها إثباتاً لمشروعیة المبادئ الحسینیة المستندة إلی نبی الإسلام والإمام علی، وسیدة نساء العالمین (علیهم السلام).

ومن أسماء الأعلام التی لازمت اسم الإمام الحسین (علیه السلام) اسم السیدة زینب بنت علی (علیها السلام)(1) لما یوحی ذلک الاسم من قیمة فنیة کبری تتمثل فی إضفاء الطابع التراجیدی الحزین المعبر عن حیرة تلک السیدة وهی تنوء بأعباء تلک المصیبة، یقول قاسم حسن محیی الدین(2): (من السریع)

لهفی علی زینبَ بین العدا

بارزة لیس لها من خمارْ

تدعو بآل المصطفی والحشا

تجری بعینیها دموعاً غزارْ

أین بنو فهرٍ وغُلبُ الوری

من غالبٍ أم أین عنی نزارْ

إنَّ هذه الصورة الحزینة لزینب تتضمن فی الوقت نفسه وجهاً یتمثل فی دور هذه السیدة الکریمة فی تأجیج النفوس للثورة علی الظلم، فضلاً عن موقفها

1- ینظر: دیوان السید رضا الموسوی الهندی: 48، وسحر البیان وسمر الجنان: 178، وأزهار ذابلة وقصائد مجهولة: 89، ودیوان الشیخ

هادی الخفاجی الکربلائی: 41، وديوان حسين الكربلائی: 64.

2- الشعر المقبول فی مدائح ومراثی آل الرسول: 2 / 33 - 34.

الريادى فى قيادة عائلتها، ذلک الموقف الذى يمكن أن يكون درساً صالحاً للمرأة العراقية فى حقبة كانت تناضل من أجل إثبات وجودها فى مجتمع طالما تجاهلها.

أما أسـماء الأمكنة، فقد تمحورت حول اسم كربلاء، مثل (الطف، والغاضـرية، ونينوى، والكوفة، والعراق)(1) لارتباطها المباشر بالحدث، فضـلاً عن ان تلک المواضع تحولت إلى رموز مجسـدة للصـراع بين الخير والشـر، على الرغم من دلالتها الجغرافيـة المباشـرة، فضـلاً عن ارتباطها المباشـر بموقف الحسـين (عليه السلام)، مما جعل الشعراء يتشبثون بتلک البقاع بوصفها شواهد لتاريخ من الألم والحزن والثورة، ثمَّ إنَّ قرب الشـعراء العراقيين من تلک الأماكن ساعـد فى أن تكون ملاذاً لتجاربهم الشـعورية الحزينة فى ظل إحساس بأنَّ الحسـين (عليه السلام) قريب منهم، يشعرون بوجوده، فكانت حقاً (كرب وبلاء) كما جاء فى أصل تسميتها(2)، يقول رشيد ياسين(3): (من الخفيف)

إيهِ يا كربلاء عودى بها تى_

_كَ المآسى من نائبات العصورِ

وصفى موكبَ الحسين وقد قا

مَ يلبى ضراعةَ المستجيرِ

إنَّ دلالـة اسم كربلاء تخطَّت المعنى المجسَّد إلى معنى حى حـاول الشـاعر من خلالـه ان ينطقهـا بما شـهدت من مآسٍ، فكانت رمزاً لا تنضب دلالاته.

أما أسماء الزمان، فإنَّ تعامل شعراء المراثى مع مفاهيم الزمن استند إلى

1- ينظر: ديوان الشـيخ كاظم آل نوح: 2 / 285، 417، 453، ومجلة البيان، ع (57، 58) لسنة 1948: 212، وديوان الربيعى: 1 / 140، وخير الزاد ليوم المعاد: 26، وأدب الطف: 8 / 237.

2- ينظر: كتاب معجم البلدان: 7 / 229، والأدب العربى فى كربلاء: 9.

3- يوم الحسين: 179.

التفسير الدينى الذى يؤمن بأنَّ الزمن الدنيوى ما هو إلا مقدمة لزمن آخر لا ينقضى، إنَّه الزمن السرمدى الخالى من الشوائب التى يحفل بها زمن الحياة الـدنيا، فكان للشـعراء إزاء ذينک المفهومين للزمن موقفان متضادان؛ موقف الذم والتذمر لزمن غادر لم يرعَ لأهل البيت حرمة، وموقف التفاؤل من زمن أخروى يعيش فيه الشهداء سعداء، لا تعكر صفو سعادتهم شائبة.

ومثَّلت الموقف الأول ألفاظ مثل (يوم، شهر، دهر، زمن)(1)، أما الموقف الآخر فقد مثلته ألفاظ (الآخرة، الحياة الأخرى).

إنَّ هـذا الفهم للزمن لدى الشـعراء قد اسـتوعب اتجاهى الرثاء: الحزين المتفجع، والرافض المتحدى، يقول محمد بندر النبهانى(2): (من الخفيف)

قمْ فهذا محرم قد غشانا

فلتحرِّمْ فى عشره الأفراحا

ويقول كاظم آل نوح(3): (من الكامل)

تباً لهذا الدهر شيمته الهوى

وبكل منقصة هو المفتونُ

دهر به آل الدعى أمية

ولهم عداء ظاهر ودفينُ

فالزمن عند شعراء المراثى - زمن الدنيا - أصبح مصدر قلق؛ لأنه " قوة قاهرة تهيمن على الحياة"(4)، قد تقلبت صروفه ضد آل البيت، لذلک كثيراً ما

1- ينظر: ديوان السيد مهدى الطالقانى: 77، 81، وديوان الربيعى: 1 / 114، وخير الزاد ليوم المعاد: 16، 17، 25، 33، وديوان الياسرى: 19.

2- أزهار الريف: 56.

3- ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 3 / 748.

4- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: 13.

وصف بالغادر، والخؤون، والمخادع الذى لا يؤمن جانبه.

وكانت ألفاظ السلاح كالسيف، والرمح، والسهم(1)، قد حظيت باهتمام شعراء مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)، بوصف تلك الألفاظ تحمل فى طياتها مفهومين متقابلين، فحين يذكر الحسين وأصحابه فسلاحهم سلاح الحق، لكن حينما يذكر أعداؤهم فالسلاح حينئذ سلاح بغى وضلال. وتبعاً لذلك اختلفت أوصاف الأسلحة لدى كل طرف، مما استدعى تبيان وظيفة كل منهما، فالشاعر حينما يصف سيف الحسين (عليه السلام) أو سيوف أصحابه - مثلاً - يسبغ عليه الصفات المستحسنة عند العرب مثل: (المهند، والصارم، والبتار)(2)، والتى تشرع من أجل مقارعة الظلم، لكنه حينما يذكر سيوف الأعداء فإنه يصفها بأوصاف لا تتفق ومبادئ الإسلام مثل: (سيوف البغى، وسيوف الشرك، وسيوف الباطل)(3)، يقول محمد حسن سميسم(4):

(من البسيط)

واهتزَّت الأرضُ لمَّا هزَّ صارمه

والهُضْبُ من وحشٍ تنصك بالهُضُبِ

فقد عقد الشاعر الصلة بين اللفظة (صارم) وصرامة الحق الذى يقاتل دونه الإمام الحسين، وهناك نجد أن دلالة اللفظة اتسعت لجوانب إيجابيَّة، لكنَّ الشاعر محمد حسن أبى المحاسن يرى أنَّ وظيفة الأسلحة عند جيش العدو كانت على

1- ينظر: ديوان الحويزى: 1 / 14، 44، 2 / 86، 88، 92، 98.

2- ينظر: القصائد البهية فى النصائح المهدوية (مخطوط): 2، 3، 41.

3- ينظر: ديوان حسين الكربلائى: 62، والشعر المقبول فى مدائح ومراثى آل الرسول: 2/41.

4- سحر البيان وسمر الجنان: 176.

الضد من ذلک تماماً، حينما فتکت بأهل البيت، يقول(1): (من الطويل)

وفوق القنا تزهو الرؤوس کأنَّها

أزاهيرُ لکن الرماحَ القواطفُ

فوظيفة الرماح قطف رؤ أهل البيت، ثم رفعها عليها، وشتان ما بين الوظيفتين.

الصياغة

صاغ الشيء صياغة إذا سبکه، وهذا شيء حسن الصيغة أی حسن العمل(2)، والصياغة فی الشعر ترادف السبک، لأنَّ السبک أن ترتبط کلمات البيت بعضها ببعض(3). وآيته سلامة السياق اللفظی، وخفته، وعذوبته فی السمع(4)، وفی الصياغة تظهر مقدرة الشاعر الأدبية، فلا قيمة للمادة اللغوية قبل أن يرکبها بطريقة " تعبر عن دلالات أشد توهجاً، لا يستطيع جزؤها المفرد التعبير عنها "(5).

وفی العمل الشعری يعمد الشاعر إلی عدد من الطرق والفنون والأساليب لصوغ أفکاره، وهذه الأساليب تتنوع " بتنوع أحاسيس الشاعر والهدف الذی يرمی إليه من إيثار هذا الأسلوب علی غيره"(6). ولا ضابط لحصرها وعدها لکثرتها ولذا فقد اقتصر الباحث علی ما شاع استعماله من تلک الأساليب وشکل ظاهرة

1- ديوان أبی المحاسن الکربلائی: 142.

2- ينظر: لسان العرب: 4 / 2527.

3- ينظر: البديع فی نقد الشعر: 163.

4- ينظر: المعجم المفصل فی اللغة والأدب: 2 / 708.

5- لغة الشعر الحديث فی العراق: 181.

6- لغة شعر ديوان الهذليين (رسالة ماجستير): 83.

واضحة فی مراثی هذه الحقبة بحیث لا یمکن التغاضی عنه , ومهما یکن من امر فان هذه الاسالیب اما ان تکون اسالیب ترکیبیة (کالاستفهام والامر والنداء والتقدیم والتاخیر والحذف) او بیانیه (تصویریة) کالتشبیه والاستعارة والمجاز , او اسالیب بدیعیة یدخل عدد منها فی الوظیفة الایقاعیة کالاقتباس والتضمین والتکرار والجناس والترصیع والتصریع والتدویر وقد رتبت بحسب اهمیتها فی مراثی هذه الحقبة.

هذا التباین فی أسالیب الصیاغة کان سمة واضحة فی مراثی الإمام الحسین (علیه السلام)، ویمکن تفسیر ذلک فی تباین أمزجة الشعراء، وطرق تعاملهم مع اللغة، وتباین درجة وعیهم، ومصادر ثقافتهم، فضلاً عن الهدف الذی ینشده کل شاعر منهم، لکن مع وجود ذلک التباین لوحظ أنَّ أسلوب الاستفهام کان حاضراً بشکل واضح أکثر من الأسالیب الترکیبیة الأخری.

وإذا کان الاستفهام فی حقیقته السؤال عن شیء مجهول(1)، فإنَّ شعراء المراثی طالما أخرجوه عن معناه الأصلی إلی معانٍ تستفاد من السیاق، فکان یعبر عن تجاربهم الشعوریة، ویدل علی معانی الذهول والتفجع.

ومما یؤید ذلک أنَّ أکثر الأدوات المستعملة فی مراثی الإمام: الهمزة التی تخرج إلی معنی التعظیم والتفجع(2)، فکان الأسلوب المصاغ منها یشیر بوضوح إلی حزن الشاعر، ولاسیما وأنها قد تتکرر فی القصیدة فی أکثر من مرة(3).

1- ینظر: معجم المصطلحات البلاغیة وتطورها: 1 / 181.

2- ینظر: م. ن: 1 / 189.

3- ینظر: دیوان بحر العلوم: 2 / 121، وأدب الطف: 10 / 46.

ومما يشابه تكرار الهمزة؛ استعمال الشاعر أكثر من أداة استفهام فى المرثية الواحدة، يقول محمد صالح بحر العلوم(1): (من الطويل)

متى عرف التاريخ حقاً بلا دمٍ

يُصانُ؟ ومجداً بالدموع يشيَّدُ

وأين الذى يصغى لدعوى بلايدٍ

تطالب فيها، أو نضالٍ يؤيدُ

وهل أنَّ سداً عائقاً لمسيرةٍ

يزولُ بلا ضربٍ عليهِ يُسددُ

وكيف يفوز الحقُّ فى سحق باطلٍ

إذا لم يكن للحق حزبٌ مجندُ

إنَّ هذا التنوع فى أسلوب الاستفهام يشير إلى تقرير ما يستفهم عنه، أكثر من إشارته إلى الاستخبار، وقد نبَّه ابن وهب على ذلك الأمر حينما قال: " من الاستفهام ما يكون سؤالاً عما لا تعلمه لتعلمه، فيخص باسم الاستفهام، ومنه ما يكون سؤالاً عما تعلمه ليقر لك به فيسمى تقريراً "(2).

ويأتى أسلوب الأمر بعد أسلوب الاستفهام بوفرة ملحوظة، وغاية الأمر " طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"(3)، وبما أنَّ هذا المعنى لا يليق فى موضع مخاطبة الإمام الحسين (عليه السلام)، لذا فإنَّ الشعراء لجأوا إلى إخراج الأمر إلى معنى الدعاء(4) فى هذا الموضع، ولاسيما فى خواتيم المراثى التى غالباً ما تخصص لطلب الشفاعة من الحسين، يقول عبد القادر رشيد الناصرى(5): (من الخفيف)

1- ديوان بحر العلوم: 2 / 122.

2- البرهان فى وجوه البيان: 113.

3- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 1 / 133.

4- ينظر: بلاغة التركيب: 210.

5- ديوان الناصرى: 2 / 146.

يا ابن رب البيان كن لى شفيعاً

يوم لا شافع سواكم ومطلبْ

واذكرَنّى لدى إلهک إن جئـ

ـت ومن حوله التسابيح تسكبْ

واستعمل الشعراء صيغة الأمر لمناجاة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد تكرر ليدل على نوع من التوحد بين الشاعر والإمام، بطريقة تشبه طرق المتصوفة، من ذلک قول محمد جمال الهاشمى(1):

(من الطويل)

أعنّى بوحيٍ منک إن خاننى الشعرُ

وهيهات أن يسمو إلى سرّک الفكرُ

.....

أعنّى عسى أن ألمس السرَّ، فالحجى

تعصى عليهِ الرأى والتبس الأمرُ

ثمَّ يكرر الشاعر الفعل (أعدها)، فيقول(2):

أعدها على الجيل الجديد رسالةً

تشع على الإيمان آياتها الغرُّ

أعدها على دنيا الزوابع نسمة

ترقرق فيها الحُبُّ وانتشر العطرُ

أعدها أعدها نغمةً سرمديَّةً

تجمَّد منها البحر وانفلق الصخرُ

أعدها دماء يسكر المجد لونها

أعدها إباء باسمه يهتف الفخرُ

إنَّ تكرار فعل الأمر (أعدها) على لسان الشاعر مخاطباً الإمام الحسين، دلَّ على أنَّ الأمر هنا ليس حقيقياً، وذلک لتفاوت منزلتی المخاطِب والمخاطَب، مما جعل النفس الصوفی يظهر فی هذه الأبيات فی ثنايا الجرأة فی مخاطبة الإمام الحسين (عليه السلام) التی تشبه ما اعتاد عليه المتصوفة فی أثناء مناجاتهم لله، فی

1- مع النبی وآله: 190.

2- مع النبی وآله: 190.

ساعات الوجد والاتصال بالخالق عز وجل(1).

وقد يستعمل الأمر على حقيقته، ولاسيما فى مواضع مخاطبة الصحب، وإبداء الرأى، والنصيحة، والموعظة فى مقدمات المراثى(2).

وقد يكرر الشاعر أكثر من فعل أمر فى مواضع المحاججة ومحاولة إفحام الخصم، ويقول السياب(3) موجهاً خطابه إلى يزيد بن معاوية: (من الكامل):

ارمِ السماء بنظرة استهزاء

واجعل شرابک من دم الأشلاءِ

واسحق بظلک کل عرضٍ ناصع

وابح لنعلک أعظم الضعفاءِ

واملأ سراجک ان تقضى زيته

مما تدر نواضب الأنداءِ

واخلع عليه کما تشاء ذبالةً

هدب الرضيع وحلمة العذراءِ

واسدر بغيک يا يزيد فقد ثوى

عنک الحسين ممزق الأشلاءِ

قم واسمع اسمک وهو يغدو سبَّةً

وانظر لمجدک وهو محض هباءِ

أفادت صيغ الأمر - فى الأبيات السابقة - معنى الإهانة، وهو أحد المعانى التى يخرج إليها الأمر(4)، والمعنى الظاهر من الأبيات هو العتاب واللوم والتوبيخ، وهذا يشبه قوله تعالى: ((کونوا حِجَارَةً أو حَدِيْدَاً)) [الإسراء: 50] .

ويأتى النداء بعد أسلوب الأمر، والغالب أنَّه استعمل فى معانى التوجع والتحسر، وأكثر أدواته استعمالاً فى مراثى هذه الحقبة الهمزة، وغالباً ما تتكرر فى

1- ينظر: الشعر الصوفى: 178.

2- ينظر: أزهار الريف: 56، وديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 399.

3- أزهار ذابلة وقصائد مجهولة: 88.

4- ينظر: جواهر البلاغة: 66.

أكثر من بيت(1) فى المرثية الواحدة، فى إشارة إلى إحساس الشاعر بقربه من المنادى، وإلى البحث عن الأمان النفسى الذى ينشده الشاعر فى حضرة الإمام الحسين (عليه السلام).

وتأتى بعد الهمزة الأداة (يا) التى غالباً ما تستعمل لنداء البعيد(2)، لكنها قد تستعمل لنداء القريب فى " إشارة إلى علو مرتبته، فيجعل بعد المنزلة، كأنه بعد فى المكان... وأنت معه على أنَّ المنادى عظيم القدر، رفيع الشأن"(3)، كقول محمد مهدى الجواهرى(4): (من المتقارب)

فيا بن البتول وحسبى بها

ضماناً على كل ما أدعى

ويا ابن التى لم يضع مثلها

كمثلك حملاً ولم ترضعِ

ويا ابن البطين بلا بطنة

ويا ابن الفتى الحاسر الأنزع

ويا غصن هاشم لم ينفتحْ

بأزهر منك ولم يفرع

ويا واصلاً من نشيد الخلود

ختام القصيدة بالمطلع

يسير الورى بركاب الزما

نِ من مستقيم ومن أظلعِ

وأنت تُسيِّرُ ركب الخلو

دِ ما تستجد له يتبعِ

ومما يدخل فى الصياغة أسلوب التقديم والتأخير، وهو من الظواهر التركيبية التى يلجأ إليها الشعراء لتأكيد أهمية المقدم، أو تعظيمه، أو تنبيه السامع

1- ينظر: أزهار الريف: 67 ـ 68.

2- ينظر: أصداء الحياة: 94.

3- جواهر البلاغة: 88.

4- ديوان الجواهرى: 3 / 234 ـ 235.

إلى علو منزلته، كما فى قول محسن أبى الحب(1): (من البسيط)

لكربلا تربةٌ طابتْ وقد طهرتْ

فيها الشفاءُ منَ الأسقامِ والعللِ

فقد قدَّم الشاعر شبه الجملة (لكربلاء) لسمو وشرف موضعها، ولاسيما وهى تحتضن بين جنباتها جسد أبى الأحرار، وكان ذلک التقديم منسجمًا مع ما قدَّمه الشاعر فى بداية الشطر الثانى، كأنَّما جعله علَّة لما قدمه أولاً، مما انعكس على سبک البيت، وتلاحم أجزائه.

وقد تقدم الصفة على صاحبها، لتحقيق معنى الذم، كقول عبد الحسين الحويزى(2): (من الوافر)

عوتْ مثلَ الذئابِ عتاةُ حربٍ

وقد زأرت لبيت الوحى أُسْدُ

فقد قدَّم الشاعر الحال (مثل الذئاب) للإشارة إلى صفة الغدر فى نفوس أعداء الإمام، وقد أكَّد الشاعر هذا المعنى فى المقابلات بين (عوت وزأرت)، و(الذئاب والأسد)، و (عتاة وبيت الوحى) ولاسيما وأنَّ الشاعر غلَّب الطرف الثانى على الأول، واستعمل الاستعارة مع أهل البيت، والتشبيه مع الأعداء، والاستعارة أرفع من التشبيه، والتقديم والتأخير يستتبع الحالة النفسية للشاعر، حينما يكون بين حال الرغبة فى تقديم ما ينسجم مع ما يريده، ويريح ضميره، وحال النفور مما لا يرغب فى تأكيده، فيضع كل واحد فى موضعه تبعاً لحاله، وحال المتلقى.

ومن الأساليب التركيبية التى كثر استعمالها فى مراثى الإمام الحسين

1- ديوان أبى الحب: 143.

2- ديوان الحويزى: 2 / 85.

الحـذف، وهو بـاب من أبواب الإيجـاز، يعمـد إليه المتكلم للمحافظـة على نشـاط المتلقى، وإبعاد الملل عنه(1)، وقـد عـدَّه ابن جنى من شجاعة العربية(2) لأهميته فى تحسـين الكلام، وهو على أنواع كثيرة(3)، يشترك فيها كلها وجود القرينـة التى تعين المحذوف(4)، لفسح المجال أمام المتلقى لتخيله واحتماله(5).

قال الجواهرى(6): (من المتقارب):

فداءُ لمثواك من مضجعِ

تنوَّر بالأبلج الأروعِ

فقـد يحتمـل المتلقى أكثر من معنى لمـا حـذفه الشـاعر فى بدايـة البيت مما يضـعه فى حال من الانشـغال والتفكر المسـتعذب، وهـذه الإمكانات الاحتمالية للمحذوف زادت البيت جمالاً وغزارة فى المعنى، ولاسيما وأنَّ المتلقى على علم بشرف المفدَّى.

ومن الحذف ما جاء فى قول محمد حسن أبى المحاسن(7):

(من الطويل)

صريعاً يفدّى بالنفوس وسيفهُ

كَسيرٌ تفدّيهِ السيوفُ الرهائفُ

فقد حذف الشاعر الفعل والفاعل، وأبقى على الصفة فى إشارة إلى حسن

1- ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 127.

2- ينظر: الخصائص: 2 / 362.

3- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 1 / 351.

4- ينظر: م. ن: 1 / 351 ـ 360.

5- ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 131.

6- ديوان الجواهرى: 3 / 233.

7- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 141.

العاقبة التى صار إليها الإمام الحسين (عليه السلام)، ولاسيما وأن الشاعر عضَّد الحال بالصورة المعبرة (يفدّى بالنفوس) فى إشارة إلى منزلة الإمام فى قلوب المسلمين، وكأنَّ الشاعر حينما حذف الفعل والفاعل قد دلَّ على تلهفه لإظهار جزعه على مصاب الإمام.

ومما يدخل فى الصياغة، أساليب بناء الصورة الفنية باستعمال الفنون البيانية كالتشبيه والاستعارة والمجاز او بعدم استعمال تلك الفنون كما هو الحال فى الصورة التقريرية، ولأهمية اساليب التصوير، فقد أفرد موضوعها مستقلاً فى الصفحات القادمة.

أساليب التصوير الفنى

التصوير الحسى

يعد التصوير الحسى من أبسط فنون التصوير، وأقربها إلى بيئة الشاعر، ولاسيما وأنه يعتمد اعتماداً أساسياً على التشبيه الذى يقوم بدوره على الموازنة بين أمرين(1)، يحاول الشاعر استمدادهما من واقعه بوساطة حواسه، مما يضفى على الصيغ الشعرية شكلاً من الصنعة الفنية، يقول عبد القاهر الجرجانى: " إنَّ لتصور الشبه من الشىء فى غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك له من غير محلته واجتلابه إليه من النيق (المكان) البعيد باباً آخر من الظرف واللطف، ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل "(2).

1- ينظر: نقد الشعر: 124، وكتاب الصناعتين: 261.

2- أسرار البلاغة: 108 - 109.

ولعلَّ من أهم فنون التصوير الحسى فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) تلك الصور التى اعتمدت على حاسة البصر، يقول محمد حسن أبو المحاسن(1): (من البسيط)

دريئةٌ لسهام القوم مهجتُه

كأنَّه غرضٌ يرمى ويرتشقُ

فقد جعل الشاعر المفردة (غرض = المشبه به) نكرة فى إشارة إلى استخفاف القوم بحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجمع بذلك الحزن بالغضب، مما جعل الطابع الانفعالى فى الصورة واضحاً، من خلال تأمل المتلقى لتلك السهام، وهى تنطلق نحو جسد الإمام (عليه السلام).

وقد حاول الشعراء توظيف خيالهم فى صياغة صور بصرية جديدة، معبرة عمّا فى أذهانهم من معانٍ وانفعالات، ومنسجمة مع تجدد الذكرى الحسينية، قال الشاعر إبراهيم الوائلى(2): (من الكامل)

يا يومَ وقعةِ كربلاء كفى أسىً

الاّ يطاقُ تصبّر وتجلدُ

ودم الحسين الطهر كل عشية

شفق بآفاق السماء مجسَّدُ

من خلال الاعتماد على التشبيه المؤكد - وهو ما حذفت منه أداة التشبيه(3) - (دم الحسين شفقٌ) حاول الشاعر رسم صورة بصرية موحية برفض الخنوع والاستسلام من خلال تشبيه دماء الحسين بالشفق فى إشارة إلى خلود مبادئ الثورة الحسينية، المعبرة عن قيم البطولة والتحدى، وقد يستوحى الشاعر صورته

1- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 148.

2- ديوان الوائلى: 1 / 154.

3- ينظر: جواهر البلاغة: 234.

من الموروث الشعرى، لكنه يضع لمساته المعاصرة عليه لتعبر عن المعنى الذى يبتغيه، كقول عبد الحسين الحويزى(1): (من الكامل)

وبسدفةِ النقع المثار تخاله

بدراً تحفُّ به نجومُ سماءِ

قد ذكَّر الأعداء بدرُ جبينهِ

بدراً فهاجتْ فى لظى البغضاءِ

فالتشبيه بالبدر والشمس مألوف فى الشعر العربى القديم، ومما هو قريب من صورة الحويزى بيت النابغة المشهور فى مدح النعمان(2): (من الطويل)

فإنَّك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

لقد اكتسبت صورة الحويزى أهميتها، حينما وظف الشاعر الجناس التام فى البيت الثانى فى اللفظة (بدر) وما أفادته من معنيين مختلفين منحا الصورة بعداً جمالياً من خلال دلالة الأول على نورانيَّة الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه امتداداً طبيعياً لفيوضات النور المحمدى، ودلالة الثانى على الامتداد الأخلاقى لطرفى معركة ألطف إلى ما يماثلهما فى معركة بدر.

وقد ارتفع شعراء المراثى الحسينية بالتصوير الحسى إلى درجات من التأثير ربما لا نجد ما يماثلها فى الصور التقليدية، كقول محمد حسن أبى المحاسن(3): (من الطويل)

وحفّت به سمرُ القنا فكأنَّهُ

لدى الحرب عينٌ والرماحُ لها هدبُ

إنَّ جدَّة الصورة وطرافتها تكمن فى دقَّة تعبيرها للموقف المؤثر الذى صار

1- ديوان الحويزى: 1 / 14.

2- ينظر: ديوان النابغة الذبيانى: 78.

3- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 6.

إليه الحسين بعد مقتل أصحابه، فجاءت لفظة (عين) معبرة عن منزلة الإمام الحسين (عليه السلام) من جهة، وعلى قسوة أعدائه من جهة أخرى، مما جعل الصورة لوحة فنية تعلق فى ذهن المتلقى.

وقد اعتمد الشعراء فى صورهم الحسية - البصرية - على قرائن لفظية مثل (بدا، رأى، لمع، طار، مرَّ، أسرع)(1).

ومن أنواع التصوير الحسى فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) الصور السمعية، لما لحاسة السمع من "قوة فى التقاط الأصوات المتمثلة بالألفاظ عند نطقها لتكوين الصورة السمعية، فضلاً عن الحركة التى توحى بها الصورة، ونحس بها منتشرة فى مفاصل الشعر... "(2).

لذلك فقد تكون الصورة السمعية أكثر تأثيراً من غيرها فى المتلقى لما توحى به من أفعال وحركات.

يقول إبراهيم حموزى(3): (من الخفيف)

فأتاهُ من العدى سهمُ حتفٍ

ليته شقَّ مهجتى وجنانى

وانتحى قلبهُ فرنَّ صداهُ

فى حشى الدينِ صرَّة الآذانِ

الصورة فى قول الشاعر (رنَّ صداه) اكتسبت فاعليتها التأثيرية مما يحدثه رنين الأجسام من صرير فى الآذان، ولاسيما وأنَّ الشاعر عقد الصلة بين الصدى

1- ينظر: ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 3 / 534، وديوان السيد رضا الموسوى الهندى: 42، وديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 340، أدب الطف: 10 / 57.

2- الصورة السمعية فى الشعر العربى الجاهلى: 154.

3- أدب الطف: 10 / 29.

المتمثل فى الطبيعة، ومجاله هنا المتمثل فى (حشى الدين) فى إشارة إلى عظم وقع المصاب، وشدة هوله.

وأكثر الشعراء من الصور السمعية فى معرض وصف شجاعة الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه فى إشارة إلى شدَّة بأسهم وصلابة موقفهم، وهم يذودون عن ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من ذلک ما جاء فى مرثية السيد رضا الموسوى الهندى(1): (من الكامل)

يتمايلون كأنَّما غنَّى لهم

وقع الظبى وسقاهم أكوابا

برقت سيوفهم فأمطرت الطلى

بدمائها والنقع ثار سحابا

وكأنَّهم مستقبلون كواعباً

مستقبلين أسنَّة وكعابا

إنَّ الصورة السمعية فى قول الشاعر (غنى لهم وقع الظبى) وضعت الأساس لسلسلة من المعانى التى وظفت لوصف شجاعة أصحاب الحسين (عليه السلام) بلغت أشد دلالاتها حينما صوَّرت أولئک الأبطال وهم مستأنسون لصليل السيوف وكأنَّه غناءٌ، والمنايا كأنَّها كواعب حسان.

ومن التصوير الحسى، الصور التى تعتمد على حاسة اللمس، لكنه كان أقل حضوراً فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)، ومنه ما جاء فى مرثية عبد القادر رشيد الناصرى(2): (من الخفيف)

ولدته الزهراء كالكوكب الف_

_ذّ بهى الشعاع أزهر أشهبْ

بين كفيه رايةٌ لنبىٍّ

لمَّ من قومه الشتاتَ وقرَّبْ

1- ديوان السيد رضا الموسوى الهندى: 42.

2- ديوان الناصرى: 2 / 144.

جمعت الصورة (لم من قومه الشتات وقرَّبْ) أهم المقومات الرسالية التى توفرت فى الإمام الحسين (عليه السلام)، والتى من أهمها أنَّ ثورته كانت محاولة لتصحيح الانحراف الذى أصاب الواقع الإسلامى جرّاء السياسات الخاطئة لبنى أمية.

التصوير الذهنى المجرَّد

وفى هذا الأسلوب، يوظف الشاعر طاقاته الخيالية، وبمساعدة الفنون البيانية - الاستعارة(1) والمجاز(2) والكناية(3) - لخلق عوالم جديدة من الفن والجمال على هيأة صور معبرة " يكون موضوعها الخارجى معدوماً، أو فى حكم المعدوم، فالخيال يلغى وجود ما حصله الإدراك، ويعيد خلق صورته الجديدة بديلاً من وجوده المادى.. "(4).

وكانت واقعة الطف، وما حفلت به من معانٍ وقيم سامية مصدراً مهماً للشعراء العراقيين فى النصف الأول من القرن العشرين لينهلوا من ذلك المعين الفياض أجمل الصور التى جسدت وقفة الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه، يقول عبد الحسين الأزرى(5): (من الكامل)

1- الاستعارة: تشبيه حذف منه المشبه (تصريحية) أو المشبه به (مكنية) وأداة التشبيه. ينظر: مفتاح العلوم: 369 - 373.

2- المجاز كلمة استعملت فى غير معناها الحقيقى مع وجود قرينة مانعة، وهو عقلى حينما يسند الفعل أو ما فى معناه إلى غير صاحبه، ومرسل حينما تستعمل اللفظة فى غير معناها الحقيقى. ينظر: فنون التصوير البيانى: 47.

3- عرفت الكناية بأنها التعريض بالشىء دون التصريح به، ينظر: كتاب الصناعتين: 407.

4- الصورة فى الشعر العربى: 27 - 28.

5- ديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 339.

ما كان للأحرار إلا قدوةً

بطلٌ توسَّد فى الطفوف قتيلا

بعثتهُ أسفارُ الحقائقِ آيةً

لا تقبل التفسيرَ والتأويلا

ما زال يقرأُها الزمان معظماً

من شأنها ويعيدها ترتيلا

إنَّ الصور الجزئيـة (بعثته أسـفار الحقائق آيـة)، و (ما زال يقرؤها الزمان معظماً) كونت صورة ذهنيـة مكتملـة ومجسـدة لحقيقة الشخصـية الحسـينية، فجاءت متوهجـة بالجمال ناقلـة للحقائق من طبيعتها المألوفـة إلى عالم من السـمو الروحى، تجلى فى ترتيل الزمان معظماً لآية الخلود المحمدى التى تمثلت بالإمام الحسين (عليه السلام). والملاحظ أنَّ الصور الذهنية فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) كثيراً ما وظفت لوصف شـخصه الكريم لما حازه من الفضل والسـبق ما أعجز الشـعراء عن الوقوف على أسـرار تلك الشخصـية، يقول عبـد الحميد السماوى(1): (من الكامل)

وقفت بموكبک الحياة وسجلت

لک فى جبين الدهر رمزاً خالدا

وتنهدت لک عن غرام صامت

لما رأتک إلى المنيَّة ناهدا

ضلت مقاييس العقول ولم تزل

ما بين أمواج الحقيقة صامدا

بَسَمتْ لمطلعها فكنت لها فماً

وهوت لمصرعها فكنت لها فدا

لقد أجاد الشاعر فى رسم صورتين تعاضدتا فى الارتقاء لمحاكاة العظمة الحسـينية، فالولوج إلى عالم الروح المنحنية إجلالاً لسيد الشهداء وهى تصارع لأجله قطبى الوجود: الحياة والموت لم يتضـح إلا بعـد أن رسم الشاعر لوحته الثانية حينما وقف بريشـته على ضـفاف الحقيقة لرسم أمواجها، وهى تلقف العقول التى

1- ديوان السماوى: 368 .

ضلَّت ببحر الحقيقة الحسينية، فكان أن أبرز الخيال "حقائق الوجود بدرجة من الوضوح والجدَّة والصفاء أكبر مما توجد عليه فى الطبيعة، أو أكبر مما يستطيع الناس العاديون أن يروها.."(1).

وغالباً ما حاول الشعراء إكساب صورهم الذهنية معانىَ إسلامية لإضفاء شىء من الجلال والقداسة عليها، من ذلک ما جاء فى مرثية السيد رضا الموسوى الهندى(2): (من الكامل)

صلَّت على جسم الحسين سيوفهم

فغدا لساجدة الظبى محرابا

فى الصورة (صلَّت... سيوفهم) إشارة دقيقة لمعنى يحتمل دلالتين، الأولى: رؤية الشاعر لتلک السيوف وكانَّها تصلى على جسد الإمام لعدم تصديقه بأنها كانت تطعن جسده الشريف، والثانية: تشير إلى قسوة القوم، حينما كانت السيوف قد عرفت منزلة الإمام فيما أنكرتها قلوبهم.

وقد وجد الشعراء فى الاستعارة وسيلة لوصف الإمام الحسين بما هو معبر عن عظمته، من ذلک قول السيد مصطفى جمال الدين(3):

(من الكامل)

مولاى إنَّ الناس قد جهلوا

من قُدْس يومک غيبه الذهبى

وتطلعوا... فرأوک منفرداً

تدعو... فلم تُسمع ولم تُجَبِ

رسم الشاعر صورة ذهنيَّة من الاستعارة التصريحية (رأوک منفرداً) لتشير إلى

1- وظيفة الأدب: 63.

2- ديوان السيد رضا الموسوى الهندى: 42.

3- الديوان: 2 / 163.

سمو الإمام الحسين (عليه السلام)، فهم لم يروه حقيقة لكن مبادئهُ ظلت ماثلة فى أذهانهم حتى تصوروا إن الإمام حياً بالمعنى الحرفى وكأنَّه فردٌ بين الوجود يدعو لكنه لم يجب، فضلاً عن الجانب التربوى والأخلاقى المتمثل بضرورة الاقتداء بالإمام الحسين (عليه السلام) ومبادئ ثورته.

الأسلوب التقريرى فى بناء الصورة

فى معركة ألطف تفاصيل كثيرة ومتنوعة، وهى فى الوقت نفسه كافية لإثارة عواطف الشعراء فى رسم صور فنية منها، حتى وإن تم تناولها من دون إعمال الخيال، لما تتضمنه تلك التفاصيل من مواقف وجودية عميقة يمكن أن تحاكى عواطف المتلقين، وتستثيرها بمجرد وصفها، فهى صور فنية بقدر ما هى حقائق تأريخية، وواقعيتها لا تتعارض مع كونها فنية، فضلاً عن أنَّ الشاعر لا بدَّ أن يضيف عليها شيئاً من عاطفته، بما يختاره لها من قوالب فنية، وألفاظ مناسبة.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ الشاعر فى هذا الأسلوب من التصوير يعتمد على الوصف المباشر، مستعيضاً عن الخيال بتنويع الأساليب والميل نحو الخطابية.

والملاحظ أنَّ الشعراء العراقيين فى الحقبة موضوع الدراسة مالوا إلى هذا الأسلوب التصويرى فى أحوال التفجع، والحزن الشديد، ويبدو أنَّ تفسير ذلك يكمن فيما تتضمنه المواقف العاطفية الحادة من مواقف مؤثرة فى المتلقين بصورتها المباشرة(1).

1- ينظر: ديوان الحويزى: 1 / 15، 2 / 87، ومنتقى الدرر فى النبى وآله الغرر: 1 / 19، وديوان حسين الكربلائى: 64، والقصائد البهية فى النصائح المهدوية (مخطوط): 4 - 5.

يقول يعقوب الحاج جعفر الحلى(1): (من الطويل)

وعاد وحيداً بعدهم سبطُ أحمدٍ

تحيطُ به الأعداءُ من كل جانبِ

فطوراً يرى فى التربِ صرعى رجاله

وطوراً نساء ولهاً فى المضاربِ

واقسم لولا الحلم منه على العدى

لأوردهم طراً أمرَّ المشاربِ

فصورة الإمام الحسين (عليه السلام) فى الأبيات صورة وصفية لم تعتمد على الخيال، لكنها اكتسبت فنيتها وتأثيرها الجمالى من خلال تركيز الشاعر على النبرة الخطابية الحزينة، والصور الجزئية المؤثرة (عاد وحيداً، تحيط به الأعداء، صرعى رجاله، نساء... فى المضارب)، ولاسيما وأنَّ تلك الصور الجزئية دلَّت على وقائع تاريخية ماثلة فى أذهان المتلقين.

ومن المواقف التى كثر تصويرها فى هذا الأسلوب حال نساء الحسين(عليه السلام)، لما فى ذلک من أثر فعال فى النفوس، ولاسيما ما توحيه صورة المرأة الثكلى من عواطف مؤثرة، ومثيرة للحمية عند العربى.

يقول الشيخ هادى الخفاجى الكربلائى(2): (من الكامل)

وعليه درن صوارخاً ونوادباً

ولنعيها قد ذاب صمُّ الجُلْمدِ

وأشدها حرقاً عقيلة حيدرٍ

تدعو أخاها السبط من قلب صدى

مَنْ بعد فقدک يا حمانا ملجأ

للحائرات ولليتامى الفُقَّدِ

مَنْ ذا ترى يحمى حماها إن غدت

من ضرب أعداها تدافع باليدِ

فقد اعتمد الشاعر فی رسم هذه اللوحة لنساء الحسین علی ما توحیه الألفاظ

1- دیوان الشیخ یعقوب الحاج جعفر الحلی: 36 - 37.

2- دیوان الشیخ هادی الخفاجی الکربلائی: 40 - 41.

من معانٍ حزينـة (صوارخ، نوادب، حرقاً، تـدعو، قلب صـدى) وعلى تنويع الخطاب، فكان التفجع فى أسـلوب الاسـتفهام قـد أضاف بعداً مأساوياً، ولاسيما وأنه ورد على لسان السيدة زينب (عليها السلام).

اما الأساليب البديعيـة فمن اهمها الاقتباس والتضـمين، فإنَّ اقتباس الشـعراء من القرآن الكريم، كثيراً ما أكسب نصوصـهم مواقف وجوديَّة عميقـة، تتمثل فى الترغيب والترهيب، والوعـد والوعيد، وهو أمر طبيعى، إذ إنَّ لأساليب القرآن " مكانة مهمة فى شـعر الشـطرين، سواء عن طريق الاقتباس أو التضمين، أو إيراد الفكرة القرآنية "(1)، يقول محمد حسن أبو المحاسن(2): (من البسيط)

رجالُ صدقٍ قضوا فى الله نَحبهُمُ

دون الحسين وفيما عاهدوا صدقوا

فقد ضمَّن الشاعر قوله الآية الكريمة:

((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)) [الأحزاب: 23].

فى إشارة إلى مبدأ الصدق الذى كان شعار الصادقين من حملة العقائد الصحيحة، الذين نصروا الإمام فى كربلاء، وقد عقد الشاعر صلة بين قوليه (دون الحسين)، و(قضوا فى الله نحبهم) لتأكيد أنَّ الإيمان بقضية الحسين (عليه السلام) بمنزلة المعادل الموضوعى للإيمان بالله.

وقد يوظف الشاعر الفكرة القرآنية ليجعل من قوله أكثر جدَّة وأصالة، كما

1- أثر التراث فى الشعر العراقى الحديث: 83.

2- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 147.

فى قول مصطفى جواد(1): (من الطويل)

فمذ قتلوه قطّعوا حبلَ قوةٍ

مِنَ الدينِ فهو اليومُ شُبه الرمائمِ

إنَّ فكرة (حبل الدين أو حبل الله) وردت فى القرآن كناية عن قدرة الله وقوته، كما فى قوله تعالى:

((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا))[آل عمران: 103].

ووظف الشاعر هذه الفكرة للإشارة إلى منزلة الإمام (عليه السلام)، فى التفاتة فنية فى قوله (قطعوا) التى ربما توحى إلى احتزاز الرأس الشريف للإمام، فكان ذلك مما أتاحه جمال النص القرآنى الذى " يعتلى وحده فيغنى، وينظر فى تساوقه مع الأغراض الدينية فيرتفع فى التقدير "(2).

وقد أكثر الشعراء العراقيون من تضمين مراثيهم الحسينية لخطب وكلمات الإمام الحسين التى قالها فى المعركة، بشكل ربما يمكن ملاحظته بسهولة فى تلك المراثى(3)، ويمكن أن تفسر هذه الظاهرة بأنها نوع من المحاججة المستندة إلى الأدلة التى ساقها الإمام فى خطبه، أو الإفادة من المعانى المبدئية العالية التى وردت فيها، أو لاغتراف ما فى تلك الخطب من قيم جمالية لا تضاهى، من ذلك قول محسن أبى الحب(4): (من البسيط)

1- مجلة الغرى ع6 لسنة 1945: 80، ومجلة البيان (ع 11 - 14) لسنة 1947:50.

2- التصوير الفنى فى القرآن: 21.

3- ينظر: ديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 340.

4- ديوان محسن أبى الحب: 142.

تجمعتْ آلُ حربٍ کی تقاتلهُ

أو أن یطیعَ لحکم الفاجرِ الرذلِ

فقال والله لا أعطیکمُ بیدی

حتی أموت وثوبی بالفخار ملی

فقد ضـمَّن قوله من الخطبة المشـهورة للإمام الحسـین (علیه السـلام)، وهو یتحدی أعداءه، ویرفض الانصـیاع لحکم یزید قائلاً: " والله لا أعطیهم بیـدی إعطـاء الـذلیل، ولا أقر إقرار العبیـد"(1)، وهـذا المعنی الثـوری یمکـن أن یکـون درسـاً لکـل عربی، ولکـل إنسـان یرفض الاستغلال، وینشد الحریة.

وقـد اتکأ عـدد من الشـعراء العراقیین فی هذه الحقبة علی الموروث الشـعری یسـتوحون منه الصور والتعابیر التی تخدم نصوصـهم فی رثاء الإمام الحسـین (علیه السـلام)، ویمکن أن یفهم ذلک الأمر بأن التجربة الشعریة العامة غیر منقطعة بین أجیال الشعراء، فضلاً عن أنَّ الشعر العراقی فی هذه الحقبة تراوحت لغته بین الارتکاز علی الماضی، والتأثر بالحاضر، حاله حال الشعر العربی الحدیث عموماً(2)، قال محسن أبو الحب(3): (من البسیط)

لقد بکته السما والأرض وانبجستْ

بالدمع أعینها کالعارضِ الهطلِ

فالتعبیر (العارض الهطل) کنایة عن الکرم فی قول أبی تمام(4): (من البسیط)

إن حنَّ نجد وأهلوه إلیک فقد

مررت فیه مرور العارض الهطلِ

1- تاریخ الطبری: 3 / 465، والکامل فی التاریخ: 4 / 62 - 63، وفیه (عطاء الذلیل).

2- ینظر: التجدید فی لغة الشعراء الإحیائیین: 49.

3- دیوان أبی الحب: 141.

4- دیوان أبی تمام: 160، وشرح الصولی لدیوان أبی تمام: 2 / 238، وفیه: (وإن حنَّ) وهو خطأ، إذ لا یستقیم الوزن مع وجود الواو.

لكن جهـة اسـتعمال ذلک التعبير قـد اختلفت عنـد كل من الشاعرين، فإذا كان أبو تمام أراد به وصف كرم الممدوح، فإنَّ أبا الحب أراد منه وصف شدَّة الحزن على الإمام فى سياق الرثاء.

ومن التضمين قول عبد الحميد السماوى(1): (من الطويل)

سلى إن جهلت الحادثات فإنَّ من

ترامت به دنيا الحوادث يسئلُ

وهذا قريب من قول السموأل(2): (من الطويل)

سلى إن جهلت الناس عنى وعنهم

فليس سواء عالم وجهولُ

وهذا يدل على أنَّ الشـعراء العراقيين كانوا يحاكون النماذج المشهورة مما حفظ من موروث الشعر العربى، وهذا الانتقاء من الموروث يشير إلى أنَّ هؤلاء الشـعراء كانوا يعمدون إلى ذلک الأمر لاقتناص أجمل الصور وأرقى التعابير المناسـبة لمقام رثاء سيد الشهداء (عليه السلام)، وسيكون الحديث عن التكرار والجناس والترصيع فى فقرة الإيقاع، بوصفها عناصر إيقاعية.

الإيقاع

الإيقـاع من الفعـل: وقع ، بمعنى: سـقط، والموقع: موضع السـقوط، والإيقـاع: من إيقـاع اللحن والغناء، وهو أن يوقِّع الألحان ويبينها(3)، والإيقاع ظاهرة عامة فى الكون، وهو مادة الفنون جميعاً، ومنها الشعر.

1- ديوان السماوى: 377.

2- ديوانا عروة بن الورد والسموأل: 92، وديوان الحماسة: 44، وفيه: (وليس سواء).

3- ينظر: لسان العرب: 6 / 4894.

وتظهر أهمية الإيقاع فى الشعر من خلال التناغم الذى يبدو واضحاً فى الأصوات، والكلمات، فى حالات من الطول والقصر، والشدة والرخاء، والتقارب والتباعد(1)، فيخلق فى النفس شعوراً بالارتياح.

والإيقاع إما بسيط (دقات الساعة)، وإما مركب لا يمكن قياسه بسهولة، كالإيقاع فى الشعر الذى يضفى عليه هذا التعقيد والتركيب طابع الجمال والروعة، ويبعده عن الرتابة الموجودة فى الإيقاع البسيط(2).

وللإيقاع فى الشعر عناصر يتكون منها، ويعرف من خلالها، أهمها: الوزن والقافية والتكرار، وعناصر أخرى سيرد ذكرها بحسب أهميتها فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)(3).

الوزن

الوزن من وزن الشيء؛ وزناً وزنة، والوزن: ثقل الشيء بشيء مثله، وآلة الوزن: الميزان، أصله: موزان(4).

والوزن ركن مهم من أركان الشعر، بل هو " أعظم أركان حد الشعر

1- ينظر: جماليات المعنى الشعرى: 33.

2- ينظر: نوافذ الوجدان الثلاث: 90، والتشكيلان الإيقاعى والمكانى فى القصيدة العربية الحديثة: 10 ـ 11.

3- قد يقسم الإيقاع على خارجى يتمثل فى الوزن والقافية، وداخلى يتمثل فى العناصر الإيقاعية الأخرى، لكن هذا التقسيم لم يستقر بعد، وهو موضع خلاف. ينظر: فضاء البيت الشعرى: 157.

4- ينظر: الصحاح: 5 / 1773، ولسان العرب: 6 / 4828 (مادة وزن).

وأولاها به خصوصية "(1)، ولطالما قرن الإيقاع الشعرى بالوزن، " فإنَّ كل وزن فى حقيقته إيقاع، فى حين ليس كل إيقاع وزناً "(2).

ويرتبط الوزن بالمزاج الشخصى للشاعر، فالوزن إيقاع يلوَّن بتجربة الشاعر الشعورية، ويخضع لانفعالاته(3)، لكن مع هذا فإنَّ الذائقة العربية قد ألفت أوزاناً مخصوصة دون سواها، فقد قيل إنَّ ما يقرب من ثلث الشعر العربى جاء على وزن الطويل(4). ويبدو أنَّ السر فى ذلک أنَّ الأوزان الشعرية العربية لا تتمتع بالقدرة نفسها على استيعاب مشاعر الإنسان العربى، بل إنَّ من تلک الأوزان ما يصعب إخضاعه للتجربة الشعورية، كالمقتضب، والمضارع مثلاً، وقد بدا ذلک واضحاً فى الإحصاء الذى أجراه الباحث لما يقرب من (250) مرثية حسينية نظمت فى هذه الحقبة، وأظهرت أنَّ ما يقرب من 95% من تلک المراثى نظمت على سبعة أوزان هى: (الكامل، والطويل، والبسيط، والخفيف، والرمل، والوافر، والمتقارب)، مما يؤكد ما لاحظه عدد من الباحثين من سيطرة الأوزان الطويلة على الشعر العربى عامة(5)، ومنه الرثاء(6)، " لأنَّ الشاعر فى حالة اليأس والجزع يتخيّر عادة وزناً

1- العمدة: 1 / 134.

2- الظواهر الفنية فى قصيدة الحرب: 71.

3- ينظر: التشكيلان الإيقاعى والمكانى فى القصيدة العربية الحديثة: 19.

4- موسيقى الشعر: 59.

5- ينظر: الرثاء فى الشعر الجاهلى وصدر الإسلام: 242.

6- ينظر: الرثاء فى الجاهلية والإسلام: 256، وشعر رثاء الإمام الحسين فى العراق (رسالة ماجستير): 105، والمراثى الشعرية فى عصر صدر الإسلام: 229، ومراثى الإمام الحسين فى العصر الأموى (رسالة ماجستير): 93.

طويلاً كثير المقاطع، يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه "(1).

فالكامل الـذى تميَّز بكثرة حركاته، وتكرار وحـدته الوزنية (متفاعلن) ست مرات، كان وعاءً صالحاً لمشاعر الحزن والرفض فى مراثى الإمام الحسين، من ذلک قول الشيخ كاظم آل نوح(2): (من الكامل)

خطب دهى فتزلزلت غبراؤها

وبكت شجىً بدم له خضراؤها

وتصدعت شم الجبال لوقعهِ

حزناً وأعوَل للدنا أرجاؤها

فاللغـة الحماسـية التى طبعت المرثيـة بطابعها، ربما كانت تخفى وراءها مشاعر الرفض، وإن لم يفصح الشاعر بذلک. لكنَّ هذه الحماسـة والقوة ليس مما يلازم بحر الكامل دائماً، من ذلک قول عبد الحسين الحويزى يصف السيدة زينب(3) (عليها السلام):(من الكامل)

فتراجعت والدمع فوق خدودها

ينهلّ مثل العارض الهطّالِ

فتبـدو الرقة واضـحة فى التعبير (والدمع فوق خدودها)، الأمر الذى يمكن القول معه أنَّ بحر الكامل قد اسـتوعب المشاعر المتباينة، وهو ما جعله يحتل المرتبة الأولى فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام).

أمـا بحر الطويـل، فـإنَّ كثرة حروفه، ومقـاطعه الناتجـة عن تكرار (فعولن مفاعيلن) أربع مرات، جعلته صالحاً لمختلف الأغراض الشـعرية، ومنها الرثاء(4). ومما يلاحظ

1- موسيقى الشعر: 177.

2- ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 24.

3- ديوان الحويزى: 2 / 99.

4- ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: 1 / 406.

على المراثى التى نظمت على هذا البحر طول القصائد، والميل إلى السرد التاريخى لواقعة ألطف، ويبدو أنَّ طول الأشطر فى هذا البحر كان سبباً وراء هذه الظاهرة، ولن يعوزنا المثل للتدليل على ذلك، فمن ذلك مرثية الجواهرى الرائية(1): (من الطويل)

هى النفس تأبى أن تذل وتقهرا

ترى الموت من صبر على الضيم أيسرا

إذ بلغت حوالى سبعين بيتاً، حاول الشاعر فيها سرد الوقائع والأحداث التاريخية التى أدَّت إلى وصول يزيد إلى الحكم، وما رافقه من أحداث بنفَسٍ كان مختلفاً عما لوحظ فى مرثيته العينية(2)، التى تميزت ببروز صوت الشاعر فيها، وكثرة تأملاته الذاتية، ويبدو أنَّ بحر الطويل أقدر البحور على استيعاب المحاججات التاريخية، لذلك نجد أنَّ قصائد الشيعة المكتمات(3)، وطوليات عبيد الله بن الحر الجعفى قد نظمت على هذا البحر(4).

أما بحر البسيط، فقد شابه الطويل بجزالته وكثرة مقاطعه، بيد أنَّه تميَّز عنه بوضوح موسيقاه المتأتية من الدندنة التى تخلقها الوحدة الوزنية (مستفعلن فاعلن)(5)، من ذلك قول أبى المحاسن(6):

1- ديوان الجواهرى: 2 / 271.

2- م. ن: 3 / 233.

3- شعر المكتمات: الشعر الـذى قيل فى رثاء الحسين ومنع من التداول بسبب ظروف الاضطهاد فى العصر الأموى. ينظر تراجيديا كربلاء: 55.

4- ينظر: المرشد إلى فهم أشعر العرب: 1 / 452.

5- ينظر: م. ن: 1 / 452.

6- ديوان أبى المحاسن الكربلائى: 149.

(من البسيط)

تبدو له طلعة غرَّاء مشرقةٌ

على السنان وشيب بالدما شرقُ

فما رأى ناظرٌ من قبل طلعته

بدراً له من أنابيب القنا أفقُ

فانسيابية التعبير، ووضوح الجرس فى (غراء مشرقة)، و (من قبل طلعته) (مستفعلن فعلن) جعل المعنى يتدفق بوضوح فى أذن المتلقى.

أما بحرا الخفيف والرمل، فقد تميَّزا بوضوح النغم، وخفَّة الموسيقى، وانسيابية الأنغام، مما جعل المراثى التى نظمت عليهما تمتاز بالحزن الذى يخلو من الصخب والحماسة، من ذلک قول السيد محمد جمال الهاشمى(1): (من الخفيف)

أبَنى أيها العيون فما أش_

_رف من ادمع على السبط تسجمْ

واذكرى يومه العظيم وهل تل_

_قين يوماً من وقعة الطف اعظمْ؟

واسألى كربلا: لماذا قضى ظم_

_آن والعلقمى بالماء مفعمْ؟

ولماذا رضَّت أضالعه الخى_

_ل ولمْ صدره الزكى تهشمْ؟

إنَّ المرونة التى اتسمت بها الوحدتان (فاعلاتن، ومستفعلن) أكسبت الأبيات موسيقى متدفقة بهدوء واضح، فجاءت منسجمة الأطراف، متشحة بالحزن والتفجع.

أما بحور (الوافر والمتقارب والسريع والرجز والمديد والمنسرح، والبحور المجزوءة) فلم يكن لها نصيب واضح فى مراثى الإمام، بل إنَّ من البحور ما لم يعثر الباحث على شىء نظم فيها، كالهزج والمجتث، والمقتضب، والمضارع.

1- مع النبى وآله: 188.

ويمكن تفسير قلة النظم، أو انعدامه فى تلك الأوزان بأكثر من سبب، لكن السبب الأقوى يكمن فى عدم رسوخ تلك الأوزان فى ذائقة الشعراء العراقيين، فضلاً عن أنَّ هؤلاء الشعراء كثيراً ما كانوا يحاكون مراثىَ لشعراء سبقوهم، منظومة على الأوزان المعروفة، ثمَّ إنَّ تلك المراثى كثيراً ما تنظم للإلقاء والإنشاد مما يتطلب من الشاعر أن ينظم على الأوزان المألوفة من لدن المتلقى.

القافية

عرفت القافية بأنها حرف الروى الذى يلزمه الشاعر فى أواخر الأبيات(1)، وسيعتمد الباحث هذا التعريف لدلالته على الإيقاع، فضلاً عن أنه معتمد فى تسمية القصائد، وترتيب الدواوين(2).

وعند استقراء قوافى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فى الحقبة موضوع الدراسة، وجد الباحث ميل الشعراء واضحاً إلى الأصوات الجهورية (الراء والميم واللام والباء والدال)، إذ شكَّلت النسبة الأكبر من حروف الروى، نظراً لأهميَّة هذه الأصوات فى التمييز بين الصمت والجهر، والهمس والإسرار(3)، فضلاً عمّا تتميَّز به هذه الأصوات من قوَّة تجعل الوقوف عليها واضحاً، مما يكسب الإيقاع رنيناً خاصاً، ولاسيما إذا كانت القافية مقيَّدة، كقول عباس الملا على(4):

1- ينظر: تلقيب القوافى وتلقيب حركاتها: 263.

2- ذكر ابن قتيبة تعريفاً آخر للقافية نقله عن الخليل، وينص على أنَّ القافية تبدأ من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذى قبل الساكن. ينظر: العمدة: 1 / 151.

3- ينظر: الأصوات اللغوية: 21.

4- من وحى الزمن: 194.

(من الرمل)

رجَّت الأرض وكادت تنفطرْ

إذ عمود الدين أمسى منكسرْ

سقط اليوم حسين مثخناً

وهوى للأرض طوداً مشمخرْ

إنَّ وضوح القافية فى القصيدة، وقوتها يمكن أن يؤسس إمكانية إنشادها، بطريقة تبرز دور القافية فى إغناء الإيقاع بالانفعال العاطفى الواضح.

وشيوع هذه الأحرف ليست فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فحسب، بل فى الشعر العربى عموماً، إذ إنَّ تلك الأحرف كانت من أكثر حروف العربية شيوعاً فى الشعر العربى، بسبب كثرة ورودها فى أواخر الكلمات العربية.

فالراء الذى احتل المرتبة الأولى - بوصفه روياً فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام)(1) صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة من أهم ما يميزه تكرار طرف اللسان للحنک عند النطق به، وهو إما مرقق أو مفخم(2)، وهذه الصفات ربما جعلته ملائماً لمشاعر الحزن، وكأنَّ تكرار الصوت يشير إلى تكرار لحظات الحزن عند الشاعر، حينما تغيب عنه لحظات السرور.

يقول صالح الجعفرى(3): (من الكامل)

1- ينظر - مثلاً - ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 2 / 281، 284، 343، وديوان الربيعى: 1 / 85، 128، وديوان الحويزى: 94، 107، وديوان السيد مهدى الطالقانى: 162، والأنواء: 176، وديوان الحاج عبد الحسين الأزرى: 190، ومع النبى وآله: 1 / 180، 190، 195 والذخائر: 32، ومعين الحاج معين: 1 / 179، وديوان السماوى: 382، ومن وحى الحسين: 19، 34.

2- ينظر: الأصوات اللغوية: 67.

3- ديوان الجعفرى: 148.

ودما كأن الله لم يأخذ به

عهدا يطاح مع الصلاة جبارا

تتمرغُ العسلانُ فيه تشفياً

فيزيدهن تحرقاً واوارا

شربته ظامئة إليه وقبل ذا

أكلت كبود الطيبين مرارا

ضاقت به الأرضون فاتسعت له

كبد السماء تضمه استئثارا

ما أشرق القمران إلا خلته

قد صيغ حول النيرين إطارا

وكأنما قطع السحائب لُوِّنت

لتظل نصبَ عيوننا تذكارا(1)

فقد كانت صفة تكرار حرف الراء منسجمة مع تكرار المعانى والتى أفادت كلها معنى الأسى والحرقة، مما جعل من إيقاع الأبيات أكثر دلالة على حالة الحزن التى يعيشها الشاعر.

أما صوت الميم، فإن صفته الجهورية، والغنَّة التى ترافق النطق به(2)، جعلت منه ملائماً لغرض الرثاء، إذ إنه عامل فى تكوين إيقاع واضح ومحسوس، ولاسيما إذا صحب بمعانى التفجع والحزن الشديد، لذلك ورد حرفاً للروى بالنسبة نفسها التى كانت لصوت الراء(3)، من ذلك قول السيد راضى الطباطبائى(4):

1- دم جبار: هدر لا تؤخذ فيه دية، الأوار: الاضطرام، القمران: الشمس والقمر. ينظر: الصحاح: 2 / 528، 507.

2- ينظر: أصوات اللغة العربية: 147.

3- ينظر - مثلاً - ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 3 / 589، 681، وديوان الربيعى: 1 /111 ، 120، 131، 140، وديوان السيد مهدى الطالقانى: 91، وديوان أبى المحاسن الكربلائى: 188 ، 191، والأنواء: 169 ، 178 ، وديوان الناصرى: 1 / 1، وديوان الشيخ هادى الخفاجى الكربلائى: 46، وسقط المتاع: 1 / 241.: 190.

4- مجلة البيان ع57 و58، السنة 1948: 234.

(من الطويل)

أحن لهم حتى أوسد فى الثرى

حنينا وأهوى الموتَ فيهم ولوذما

قد اعتورتهم لهف نفسى كوارثٌ

وكارثة المظلوم كانت هى العظمى

أيضحک ثغرى والحسين بكربلا

وحيد يقاسى الجور والغم والهما

إن الصفة الجهورية لصوت الميم، جعلت منه فى هذه الأبيات نقطة تمثل الذروة التى ينتهى بها كل بيت، عندما تتفجر المشاعر، جاعلة من حرف الإطلاق متنفسا لتسريب الاكتئاب لذلک فإن الشاعر قد حاول أن " يستعين بهذا الحرف للانتشار على أكبر مساحة سطحية فى القصيدة"(1).

أما صوت اللام فإنه فضلا عن صفته الجهرية يعد من الأصوات (المائعة) عند المحدثين، أى التى لا تحدث حفيفاً عند النطق بها(2)، والملاحظ أن المراثى التى كان رويها لاما اتسمت بطابع الحزن الهادئ الذى يتميز ببروز صوت الشاعر، ليبث أشجانه على سيد الشهداء (عليه السلام)(3)، من ذلک قول يعقوب الحاج جعفر الحلى(4)،(من الطويل)

أرى كل رزءٍ يجملُ الصبرُ عندهُ

وما الصبرُ فى رزءِ الحسينِ جميلُ

وهيهات أنساه مذ أزدلف العدا

إلى حربه يقفو الرعيلَ رعيلُ

1- نقد الشعر فى المنظور النفسى: 80.

2- ينظر: أصوات اللغة العربية: 143.

3- ينظر - مثلاً - أزهار الريف: 63، وديوان الشيخ عبد الغنى الخضرى: 180، وديوان أبى الحب: 141، وديوان الجزائرى: 75، والقصائد البهيَّة (مخطوط): 26، والشعر المقبول فى مدائح ومراثى آل الرسول: 2 / 30، ومنتقى الدرر فى النبى وآله الغرر: 1 / 61.

4- ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلى: 142.

أما صوتى الباء(1) والدال(2) فإنهما من حروف القلقلة (قطب جد) التى يصعب الوقوف عليها من دون إحداث صوت واضح لشدة الضغط الـذى تولـده هذه الأصوات فى أثناء النطق بها(3)، ممـا جعـل هـذين الصوتين يتميزان بالنبر القوى المؤثر فى المراثى المنتسـبة لها، يقول محمد بندر النبهانى(4): (من الطويل)

ولما قضى للدين ما كان واجبا

وحَسَّنَ للإسلام فى سيفه العقبى

أتاهُ من الأقدارِ سهمٌ محددٌ

فكان من التقدير أن يخلب القلبا

ومن روى الدال قول السيد مهدى الطالقانى(5): (من الكامل)

هلَّ المحرم يا لشجوٍ جُددا

وجوىً باحناءِ الضلوعِ توقدا

قد هلَّ فانهلَّ الدموعُ سوافحا

والهم اتهم فى القلوب وانجدا

لله شهرٌ ليس يجلى كربه

عنا مدى عمر الليالى سرمدا

فقد عبر الشاعران عن أقصـى مكنونات الحزن، ولاسـيما حين جعلا القوافى مطلقة، لتكون ألف الإطلاق جسـر مرور بعد الوقفة القوية التى يحدثها صوتى الباء والدال، مما منح الشاعرين الاستمرارية فى بث حزنهما على سيد الشهداء، الإمام الحسين (عليه السلام).

وقد تكون القافية مقيدة (ساكنة)، لكنها كانت قليلة الشيوع فى مراثى

1- ينظر: ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 1 / 27، 79، وديوان الحويزى: 111، وأصداء الحياة: 1 / 86، 94.

2- ينظر: ديوان الوائلى: 1 / 153، وديوان بحر العلوم: 2 / 121.

3- ينظر: أصوات اللغة العربية: 145.

4- أزهار الريف: 59.

5- ديوان السيد مهدى الطالقانى: 77.

الحقبة موضوع الدراسة " لأنها توحى بالجفاف والصمت والسكون على كل شيء"(1) وقلة شيوعها فى مراثى الإمام الحسين عليه السلام يبدو أمرا طبيعيًا، ولاسيما أن حوالى 90% من الشعر العربى محرّك الروى(2). ومع ذلك يمكن تفسير لجوء القلة من الشعراء العراقيين إلى تقييد قوافى مراثيهم لانسجامها مع الإنشاد على المنابر لأن " هذه القافية أطوع وأيسر فى تلحين أبياتها"(3)، أو قد تكون وسيلة للهروب من متطلبات النحو والإعراب، يقول قاسم حسن محى الدين(4):

(من السريع)

لهفى لسبط الوحى مستنجدا

بين الأعادى ماله من قرارْ

يدعو وفى أحشائه غلة

لم تطف والدمع كصوبِ القطارْ

تبدو الأبيات وكأن الشاعر أعدها للإنشاد، ولاسيما حينما اختار لها بحر السريع والقافية المقيدة.

وقد يسلك الشاعر مسلكا صعبا فى اختياره لقافية مرثيته كأن يختار حرفا من الأحرف النادرة الشيوع فى قوافى الشعر العربى(5) كالذال والخاء والشين والصاد(6)، من ذلك قول الشيخ كاظم آل نوح(7): (من الطويل)

1- الرثاء فى الشعر الجاهلى وصدر الإسلام: 248.

2- ينظر: موسيقى الشعر: 257.

3- م. ن: 260.

4- الشعر المقبول فى مدائح ومراثى آل الرسول: 2 / 33.

5- ينظر: موسيقى الشعر: 248.

6- ينظر: خير الزاد ليوم المعاد: 33 (قافية الخاء)، وديوان يعقوب الحاج جعفر الحلى: 101 (قافية الذال) و 116 (قافية الشين)، والذخائر: 39 (قافية الصاد).

7- ديوان الشيخ كاظم آل نوح: 2 / 368.

ولا عجبٌ منهُ يكافح مفردا

فللهاشميين الكفاح غرائزُ

ولما دعاه الله لبّى فجاءه

سنان سنان وهو فى الصدر واخزُ

فخر صريعا للثرى وهو عاطشٌ

وراح خليا مهرهُ وهو حافزُ

فقـد يكون لجوء الشاعر إلى هذه القافية محاولة منه لإثبات قدرته الشـعرية، وتمكنه من ركوب الصـعب من القوافى، أو رغبته فى طرق ما لـم يطرقه الشعراء.

التكرار

التكرار عنصـر مهم من عناصر الإيقاع، بل لعله أهمها من خلال ما يتركه فى النفس من توقع لنوع من التتابع دون أنواع أخرى(1)، فضلاً عن أنَّه يعد من أقوى طرق الإقناع من خلال اعتماده على التأكيد والتقرير(2)، ويشترط فى التكرار أن لا يتسبب فى قطع تسلسل الأفكار داخل القصيدة(3).

وللتكرار أنوع كثيرة، ولكن لا بدَّ أن يشكل الشيء المكرر ظاهرة فى القصيدة، لكى يكون أثره واضحاً فى إبراز الإيقاع.

وقـد يكون التكرار واضـحاً كتكرار جملـة أو تركيب أو لفظـة، وقـد يكون أقـل وضوحاً كتكرار الأصوات داخل القصـيدة، ومن الظواهر التى لوحظت فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) تأكيد الشعراء على تكرار ألفاظ معينة مثل

1- ينظر: موسيقى الشعر العربى: 139.

2- ينظر: التكرار اللفظى أنواعه ودلالاته قديماً وحديثا، صميم كريم الياس، (رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد، 1988): 15.

3- ينظر: قضايا الشعر المعاصر: 234.

(لهفى)(1) لـدلالتها على الحزن والتفجـع، و(يوم)(2) لـدلالتها على يـوم الطف، أو تكرار أسـلوب معيَّن، ولاسـيما أسـلوب الاسـتفهام، والتعجب، لدلالة الأول على رفض الشاعر واستنكاره لما جرى فى كربلاء، ودلالة الآخر على الذهول والحيرة لفداحة يوم الطف.

وبرزت الوظيفـة التأكيديـة لأسـلوب التكرار فى ألفاظ أخرى، كتكرار عبـد العظيم الربيعى للفظـة (قالوا) أربع مرات، قال الربيعى(3): (من الوافر)

وقالوا لم يغسَّل شبلُ طه

ألم يكُ غسلهُ فيضَ الوريدِ

وقالوا لم يقلَّب والعوادى

تقلبه على وجهِ الصعيدِ

وقالوا لم يكفَّن والسوافى

عليه نسجن ضافية البرود

وقالوا لم يشيَّع فوق نعشٍ

كتشييع الجنائز للحود

فقلت: إذن لمن فى الرمح رأس

يطاف به البلاد إلى يزيدِ

من خلال الإيقاع الـذى ولـده تكرار اللفظة (قالوا) بدا الانسـجام واضـحاً بين إيقاع الأبيات والمعانى التى أفادها كالتأكيد والتنبيه والتعظيم والتهويل والتعجب، مما جعل المتلقى يترقب فعل القول منذ البيت الأول.

وقد يكون التأكيد بتكرار أداة، كتكرار (إنَّ) فى مرثية مظهر إطيمش النونية(4).

1- ديوان السيد رضا الهندى: 43.

2- أدب الطف: 8 / 237.

3- ديوان الربيعى: 1 / 149 - 150.

4- أصداء الحياة: 74.

أما تكرار الأصوات، فربما كان أكثر دلالة على الحالة النفسية للشاعر، فقد يدل تكرار الشاعر لصوت ما على ما يضمره فى نفسه من مشاعر، تتعلق بواقعة كربلاء، يقول السيد رضا الموسوى الهندى(1):

(من الكامل)

لهفى لجسمک فى الصعيد مجرَّداً

عُريان تكسوه الدماءُ ثيابا

ترب الجبينُ وعين كل موحد

ودَّت لجسمک لو تكون ترابا

لهفى لرأسک فوق مسلوب القنا

يكسوه من أنواره جلبابا

يتلو الكتاب على السنان وإنما

رفعوا به فوق السنان كتابا

لينح كتاب الله مما نابه

ولينثنِ الإسلام يقرع نابا

وليبک دين محمد من أمةٍ

عزلوا الرؤوس وأمَّروا الأذنابا

تكرر صوت السين، وهو صوت مهموس، مما خلق إيقاعاً حزيناً منسجماً مع المعانى والصور الجميلة فى الأبيات.

ولا يمكن للأصوات أن تفرز إيقاعاً شعرياً مقبولاً إلا بتوفر شروط عدم تلاقى الأصوات التى يتطلب قربها من بعض جهداً عضلياً فى اللفظة الواحدة، فإنه مما يخدش حلاوة الموسيقى الشعرية أن تتلاقى حروف الحلق (ع، خ، غ، ح، والهمزة)، أو حروف الصفير (ز، س، ذ، ث، ش)، أو حروف الإطباق (ص، ض، ط، ظ)، أو حروف أقصى لحنک (ق، ک، ج)، أو حروف قريبة المخرج (اللام والنون والراء والميم والواو والياء)(2)، لكن ذلک كان نادر الحدوث فى مراثى

1- ديوان السيد رضا الموسوى الهندى: 43.

2- ينظر: موسيقى الشعر: 30.

الحقبة موضوع الدراسة التى تميزت بالثراء الشعرى وتعرضها للنقد من لدن جمهور المتلقين لشيوع الوعى النقدى، فضلا عن مراعاة الشعراء لمتطلبات الإنشاد المنبرى.

عناصر إيقاعية أخرى

من العناصـر الإيقاعية التى وردت فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) الترصيع، وهو: " أن يكون حشو البيت مسجوعاً"(1)، وقد كثر فى مراثى السيد مهدى الطالقانى(2)، ومحمد حسين سميسم(3)، وباقر حبيب الخفاجى(4)، من ذلك قول الأخير:

(من البسيط)

جمّ المفاخرِ مصباح الدياجر من

أزكى العناصرِ شهماً سيداً سندا

من ذا يماثلهُ جداً ووالدةً

ووالداً وأخاً أو عزةً وهدى

خيرُ البريةِ محمودُ السجيَّةِ ذو

النفس الزكيَّةِ من ذريَّةِ السعدا

سرُّ الوجودِ وموفٍ بالعهودِ ومَنْ

بالفضلِ والنبلِ والأكرومةِ انفردا

ويستمر الشاعر فى ترصيع أبياته إلى أربعة أبيات أخرى، مما يجعل القول أنَّ الترصيع قد يفقد شيئاً من جماله الإيقاعى إن أفرط الشاعر به.

ومنها التصريع، وهو اتفاق عروض البيت مع ضربه فى الوزن، والروى،

1- كتاب الصناعتين: 416.

2- ديوان السيد مهدى الطالقانى: 77، 78، 79، 86.

3- سحر البيان وسمر الجنان: 177.

4- خير الزاد ليوم المعاد: 16 - 17.

والإعراب(1)، وأغلب القصائد العربية القديمة ذات مطالع مصرعة، كذلك مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) التقليدية جرياً على نهج القدماء(2)، ولأنَّ للتصريع "طلاوة وموقعاً من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها"(3).

ومنها الجناس، وهو مجانسة كلمة لأخرى أى مشابهتها لها فى تأليف حروفها، وتباعدها عنها فى المعنى، ومنه قول عبد الحسين الحويزى(4):

(من الطويل)

رميتُ بقوس الحزم عن قوس حاجب

وعن غرضى صرف القضا غير حاجبِ

الجناس هنا يسمى تاماً، فاللفظتان متفقتان فى الحروف، لكن الشاعر أراد من الأولى اسماً لعلم معروف، أما الأخرى فأراد بها الشاعر الستار أو المانع، وتجانس اللفظتين ساعد على بروز الإيقاع ووضوحه(5).

ومن العناصر الإيقاعية التى رصدت فى مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) التدوير، وهو أن يشترك شطرا البيت بكلمة واحدة(6)، وقد كثر هذا الأسلوب فى مراثى الشعراء الذين تأثروا بالتجديد.

1- ينظر: العمدة: 1 / 173.

2- ينظر: ديوان الجواهرى: 2 / 271، وديوان أبى المحاسن الكربلائى: 5، وديوان الشيخ عبد الغنى الخضرى: 178، وديوان الشيخ كاظم آل نوح: 2 / 367، 3 / 539،533، وديوان حسين الكربلائى: 59، وديوان الحويزى: 2 / 94، 103.

3- منهاج البلغاء: 283.

4- ديوان الحويزى: 2 / 111.

5- للمزيد ينظر: ديوان الحويزى: 2 / 94، 100.

6- ينظر: العمدة: 1 / 177.

يقول طالب الحيدرى(1): (من الخفيف)

كذب الظنُّ، ليس يومک مأ

ساةً وإن كان علقماً فى المذاقِ

.....

هتفت باسمک القرون تغنى

نا غناءَ المتيَّمِ المشتاقِ

فالتدوير على الضد من التشطير، فالشاعر يعمد إلى إلغاء الفواصل بين الصدر والعجز، وربما يكون ذلک راجعاً إلى تدفق المعانى وتلازمها وعدم الانفصال فيما بينها، مما يؤدى إلى بروز عنصر الإيقاع، والملاحظ أنَّ التدوير يكثر فى أوزان معينة كالخفيف والمتقارب والمتدارک.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ ما تقدَّم من عناصر تصب كلها فى إظهار التنويع وإيضاح الجدَّة(2)، وهنا تكمن أهميَّة الإيقاع، فمن خلاله يكتسب الشعر فعالية تأثيره فى النفوس لتصبح القصيدة وحدة موسيقية تتكامل فيها الأنغام محدثة إيقاعاً عاماً ينعكس أثره فى نفس المتلقى.

1- من وحى الحسين: 12.

2- ينظر: مشكلة الفن: 37.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين...

أما بعد:

فمن خلال مسيرة البحث، أمكننا أن نصل إلى جملة من النتائج، وهى على النحو الآتى:

- لقد ابتدأت رحلة الرثاء الحسينى بعد مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) فى كربلاء مباشرة، وقد تمثَّلت بالمقطوعات التى كانت تعبر عن الحزن لما حلَّ بأهل البيت (عليهم السلام)، والرفض لما اقترفته السلطة الحاكمة بحقهم، ثم تطور الرثاء إلى قصائد عامَّة فى أهل البيت، ولاسيما عند الكميت، ثمَّ صارت المرثية الحسينيَّة قصيدة قائمة بذاتها، تزخر بالمفاهيم العقائدية، وقد وصلت إلى أعلى مستوياتها البنائية عند الشريف الرضى.

- وفى النصف الأول من القرن العشرين كانت المراثى الحسينيّة على

اتجـاهين: تقليـدى حاول الشـعراء من خلاله اقتفاء أثر السـلف من الشـعراء فى الموضوع والبناء، وتجديـدى برز فيه تأثر الشـعراء بالثقافات الجديدة.

– وكانت المحاور الأساسيَّة فى هذه المراثى تدور حول شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه، والسيدة زينب، وأعداء الحسين.

– من أهم ما ميَّز هـذه المراثى فى الحقبـة موضوع الدراسـة أنها كانت أدباً ملتزماً وظف لغايات أخلاقية، واجتماعية، وسياسـية، فضـلاً عمّا كانت تؤديه من وظيفة نفسية.

– تمثَّلت الوظيفة النفسيَّة بما كانت تحققه تلك المراثى من شعور بالأمان النفسى من خلال تأكيد الشعراء طلب الشفاعة للفوز بمرضاة الله عن طريق موالاة أهل البيت، وتمثَّلت أيضاً بالتوسل بهم بوصـفهم ملاذاً يلجأ إليه الشـعراء للنجاح فى الـدنيا، كما تمثّلت الوظيفـة النفسـية باستنهاض الإمام المهدى (عليه السلام) بوصف ذلک مثّل حلاً لمعاناة الشعراء ومتاعبهم النفسية.

– أما الوظيفـة الاجتماعيـة والأخلاقيـة فقـد تمثَّلت فى تأكيد الشـعراء على حقيقة الصـراع بين قيم الخير وقيم الشـر، فى إشارة إلى ضـرورة محاربة الشـر الذى تمثَّل بالمفاسد الأخلاقيَّة والاجتماعية، وقد أكَّد الشـعراء على أهم القيم الأخلاقية التى تسهم فى بناء المجتمع الأمثل كالشجاعة والصبر والعدالة، مستوحين أهميتها من مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) فى كربلاء.

– أما الوظيفة السياسـية، فقد تفاعل الشـعراء مع ما كان يجرى من أحداث سياسية فى العراق وخارجه، لذلک لم يغادروا حدثاً سياسياً كبيراً كان أم صغيراً إلاّ

كان له صدى فى هذه المراثى.

– على صعيد بناء القصيدة، آثر الباحث استعمال تسمية (البناء الهيكلى) بديلاً عن البناء الفنى لدلالة الأول الدقيقة على دراسة وتحليل أجزاء القصيدة (مقدمة - تخلص - غرض - خاتمة).

– وقد لوحظ تأكيد الشعراء - ولاسيما المجددون منهم - على عنونة دواوينهم، ومراثيهم، وتأريخها، وهو ما لم يكن متبعاً عند الشعراء المقلدين.

– وكانت مقدمات المراثى موزعة بين مقدمات تقليدية وأخرى طفيَّة مستوحاة من واقعة كربلاء، ومن أهم المقدمات التقليدية: مقدمة الحكمة التى كانت تعبر عن الانسجام بينها وبين موضوع الرثاء وغاياته الأخلاقية والاجتماعية، وأما مقدمات الطلل فقد حاول الشعراء من خلالها أن يكون الطلل خاصاً لا يشبه طلل الشاعر الجاهلى، فلطالما استوحى الشعراء أطلالهم من واقعة كربلاء، وكانت المقدمات الغزلية عفيفة، خلت من معانى اللهو والتصابى، بل انها كانت تقوم على نفى تلك الذكريات فى أحوال كثيرة، أما مقدمات وصف الظعن فكثيراً ما قرنت بوصف ظعن الإمام الحسين (عليه السلام) فى طريقه إلى كربلاء، وكانت مقدمة الشباب تتميز بالرؤية الحكيمة التى تنسجم ورثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، وهى تمثل فرصة للشعراء للتأمل الحكيم، والتبصر لعاقبة الإنسان.

– وبما أن تلك المقدمات وظفت لتكون منسجمة ورثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم يكن التخلص منها إلى الغرض صعباً متكلفاً، فقد تميَّز بالانسيابية والسهولة، وعلى الرغم من ذلك وجدت أنواع من التخلصات بالأدوات

أو بغيرها فى مراثى هذه الحقبة.

- وكانت خواتيم المراثى تتوزع بين طلب الشفاعة، أو التوسل بالأئمة، أو استنهاض الإمام المهدى (عليه السلام)، أو السلام على الحسين (عليه السلام).

- أما المقدمات الطفيَّة فقد عبرت عن وعى الشعراء وإيمانهم بالمضامين التى تضمنتها الثورة الحسينيَّة، ولم تستوعبها المقدمات والقصائد التقليديَّة، لذلك كان من أهم أنواع تلك المقدمات، مقدمة المناجاة التى عبَّرت عن رؤية عقائديَّة تجاوزت مفاهيم البكاء والحزن المجرَّدين.

- وعلى صعيد اللغة الشعريَّة، فقد بحثت على أساس تناول عناصرها (الألفاظ - الصياغة - الإيقاع) على الرغم من إيمان الباحث أنَّ تلك العناصر غير منفصلة عن بعضها.

- ومن الطبيعى أن تكون ألفاظ المراثى دالة على مفاهيم الحزن، ومستوحاة من واقع معركة الطف، وقد توزعت على أسماء الأعلام الذى كان اسم الإمام الحسين أبرزها، وألفاظ الزمان، والمكان، والأسلحة.

- أما الصياغة، فقد شملت التراكيب والأساليب، فالأسلوب استعمال للتركيب بطريقة معيَّنة، وقد اجتهد الباحث أن تقسم تلك الأساليب على أساليب تركيبية تضمنت: الاستفهام، والأمر، والنداء، والتقديم والتأخير، والحذف، وأساليب التصوير الفنى: الحسى، والذهنى، والتقريرى، وأساليب بديعية تضمنت الاقتباس والتضمين.

- وعلى صعيد الإيقاع؛ وجد الباحث ميلاً من الشعراء إلى استعمال الأوزان

المشهورة (الكامل والطويل والبسيط والخفيف والرمل والوافر والمتقارب)، كذلک استعمال الحروف الجهورية حروفاً للروى (الراء والميم واللام والباء والدال)، وقد استعمل الشعراء التكرار والتجنيس والتصريع والترصيع والتدوير والتشطير لتنويع الإيقاع، وإبراز تأثيره.

- وأخيراً يمكن أن توصف مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فى الحقبة موضوع الدراسة بأنها كانت معبرة عن مرحلتها، دالة على ثقافة عصرها، حاول الشعراء من خلالها التوفيق بين الذاتى والموضوعى، وبين الفن والمضمون، وبين قيم الماضى وثقافة الحاضر، فكانوا فى ذلک معبرين عن قيم مرحلتهم الفنية ومجسدين لصورة الحياة الادبية فى العراق فى النصف الاول من القرن العشرين، لذلک يرى الباحث أن توجه الجهود إلى مزيد من الدراسات لوضع اليد على ما تزخر به تلک المراثى من قيم موضوعية وفنية.

والله ولى التوفيق.

الملحق

تراجم شعراء مراثى الإمام الحسين عليه السلام العراقيين للحقبة 1900-1950 الذين وردت أسماؤهم فى أثناء البحث

إبراهيم حموزى: إبراهيم عبد الرسول، ولد فى النجف 1898 ونشأ فيها تتلمـذ على يد أبيه، كان فقيها، عالما على قدرة من الذكاء، توفى فى نواحى الناصرية 1950 حينما كان يقوم بواجب الإرشاد والتبليغ(1).

إبراهيم الـوائلى: هو إبراهيم بن الشـيخ محمـد الشـهير بحرج الوائلى ولـد فى البصـرة 1914 ونشـأ فى النجف وتتلمـذ على علمائهـا، نال الماجستير من القاهرة، كان أستاذا مشاركا فى جامعة بغداد، توفى 1988(2).

أبو طبيـخ: هو السـيد مير على بن عباس، ولد فى النجف 1887م ودرس على علمائها، أديب محقق، أصـيب بالروماتيزم فاتخذ بيئة مجلساً أدبياً، توفى فى النجف 1942م(3).

1- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 140، وأدب الطف: 10 / 28، وشعراء الغرى: 1 / 148.

2- ينظر: أعلام العراق الحديث: 1 / 51، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشـرين: 1 / 10، ومعجم شعراء الحسين: 2 / 230، وشعراء الغرى: 1 / 148، ومعجم رجال الفكر والأدب فى النجف خلال ألف عام: 457، ومعجم الشعراء العراقيين: 26.

3- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 24، وأدب الطف: 9 / 236، ومعجم الشعراء العراقيين: 424.

أبو المحاسن: هو الشيخ محمد بن حسن بن حمادی بن محسن الجناجی المالکی ولد فی کربلاء 1873، ودرس فیها، شاعر، سیاسی، وزیر للمعارف 1923 فی وزارة جعفر العسکری، تعرض للاعتقال أکثر من مرة توفی 1926(1).

أحمد بن درویش: هو الشیخ أحمد بن درویش علی بن حسین بن علی بن محمد، ولد بکربلاء سنة 1845م، کاتب وشاعر، له مؤلفات ما زال أکثرها مخطوطاً، توفی سنة 1911م(2).

أحمد الوائلی: أحمد حسون سعید حمود الوائلی، ولد فی النجف 1928 نال الدکتوراه من القاهرة، شاعر، خطیب مفوه، کاتب توفی 2003(3).

باقر حبیب الخفاجی: ولد فی الحلة 1893، ودرس فی النجف، شارک مشارکة فعالة فی ثورة العشرین، شاعر بالفصیح والعامی، له ثمانیة دواوین مطبوعة، 1961(4).

جعفر النقدی: ولد فی العمارة 1885 ودرس فی النجف فأکمل السطوح

1- ینظر: موسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 1 / 186، وأدب الطف: 9 / 104، ومعجم الشعراء العراقیین: 322، والطلیعة من شعراء الشیعة: 2 / 191.

2- ینظر: أدب الطف: 8 / 236، وشعراء من کربلاء: 1 / 198، والحسین فی الشعر الکربلائی: 127، ومعجم رجال الفکر والأدب فی کربلاء: 20 .

3- ینظر: أعلام العراق الحدیث: 1 / 76، ومعجم رجال الفکر والأدب فی النجف: 457، وشعراء الغری: 1 / 293.

4- ینظر: أدب الطف: 10 / 159، وتکملة شعراء الحلة: 1 / 103، والحسین فی الشعر الحلی: 353.

والمقدمات، شاعر وكاتب، أشهر كتبه (زينب الكبرى ـ 1948) توفى 1951(1).

السـيد جواد الهندى: هو السـيد جواد بن السيد محمد على الحائرى، ولد فى كربلاء فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى، من أشهر خطباء عصره، ديوانه لا زال مخطوطا، توفى 1914م(2).

حسن سبتى: ابن الشاعر كاظم سبتى، ولد فى النجف 1882 ونشأ فيها كان شاعرا، خطيبا، ديوانه (الكلم الطيب) مطبوع، توفى 1935(3).

حسن الياسـرى: هو السيد حسن ياسر رحيم الياسرى، ولد فى قلعة صالح 1901 ودرس العلوم الدينية فى الكاظمية، ثم انتقل إلى النجف، فعمل وكيلا شرعيا فى مناطق عدة من البلد(4).

حسـين آل بحر العلوم: هو السـيد حسـين محمد تقى من آل بحر العلوم، ولد فى النجف 1928، ودرس فى مدارسـها، له مؤلفات مطبوعة، منها ديوان شعره توفى 2001(5).

حسين بستانة: هو حسين على حسين الكروى القيسى، ولد فى بغداد 1907

1- ينظر: أدب الطف: 10 / 7، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 2 / 45، والطليعة من شعراء الشيعة: 1 / 181، وشعراء الغرى: 2 / 72.

2- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى كربلاء: 44، والحسين فى الشعر الكربلائى: 46.

3- ينظر: موسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 3 / 53، ومعجم رجال الفكر وألأدب فى النجف: 224، وأدب الطف: 10 / 101.

4- ينظر: موسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 3 / 57، ومعجم الشعراء العراقيين: 114.

5- ينظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلى حتى سنة 2002: 2 / 124.

ودرس فی المدارس الدینیة والرسمیة، عین مدرسا، انتدب إلی مصر، شغل وظائف تربویة، له مؤلفات، وشعر منثور فی مجلات متفرقة توفی 968(1).

حسین شهیب: ولد فی الحلة 1904م، أفاد من أخیه الشاعر محمد مهدی البصیر یعد من ألمع خطباء الحلة، توفی بالسکتة القلبیة 1950م، ودفن فی النجف(2).

حسین علی الأعظمی: ولد فی الأعظمیة 1907، درس فی المدارس الدینیة والرسمیة تخرج من کلیة الحقوق 1936 فعمل محامیا ومدرسا فی کلیة الحقوق، یعد مثقفا جمع بین التاریخ والحدیث والفقه والقانون، له مؤلفات مطبوعة توفی 1955(3).

حسین الکربلائی: هو الشیخ حسین بن علی الکربلائی، ولد فی کربلاء 1866 کتب الشعر بالفصحی والعامیة، وله دیوان شعر مطبوع، توفی 1963(4).

حمزة قطفان: ولد فی قضاء الحی 1889م، هاجر إلی النجف، ودرس فی معاهدها، له قصائد منشورة فی المجلات والصحف العراقیة توفی 1923م(5).

1- ینظر: أدب وأدباء الخالص فی القرن العشرین: 1 / 27، وأعلام العراق الحدیث: 1 / 276.

2- ینظر: أدب الطف: 10 / 14، والبابلیات: 3 / 180 القسم الثانی.

3- ینظر: أعلام العراق الحدیث: 1 / 283، و موسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 3 / 61، وأدب الطف: 10 / 103.

4- ینظر: معجم رجال الفکر والأدب فی کربلاء: 61.

5- ینظر: أدب الطف: 9 / 79، ومن شعرائنا المنسیین: 99.

خضـر عباس الصالحی: ولـد فی بغداد 1925 من عائلـة نجفیـة، تخرج من دار المعلمین الریفیـة 1942، عین معلمـا فی بلـد، له مؤلفات وديوان شعر مطبوع توفی 1983(1).

السـید راضـی الطباطبـائی: ولـد فی الکوت 1910، ترک الابتدائیـة لیلتحـق بالمـدارس التقلیدیـة، نظـم الشـعر مبکرا، کتب فی الصـحف والمجلات العراقیة، توفی 1979(2).

رشید مجید: ولد فی الناصریة 1922 ترک الدراسة وانصرف إلی الأدب عمل موظفا، له عدة دواوین مطبوعة(3).

رشـید یاسـین: ولد فی بغداد 1929 حصـل علی البکـالوریوس فی المسـرح، والماجستیر فی الفلسـفة من بلغاریا، عمل فی الصـحافة، له: (أوراق مهملة ـ 1972) شعر(4).

السـید رضا الهندی: هو السـید رضا بن السـید محمد بن السید هاشم، ولد فی النجف 1873 ونشأ فیها ودرس علی یـد علمائها، حتی نال درجة الاجتهاد، له مؤلفات دینیة وأدبیة، فضلا عن دیوان شعر مطبوع، توفی 1943(5).

1- ینظر: موسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 1 / 66، ومعجم الشعراء العراقیین: 137.

2- ینظر: معجم الشعراء العراقیین: 143.

3- ینظر: موسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 1 / 76، ویوم الحسین: 84.

4- ینظر: موسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 1 / 76، ویوم الحسین: 178.

5- ینظر: معجم رجـال الفکر والأدب فی النجف: 469، وأدب الطـف: 9 / 241، وموسوعـة أعلام العراق فی القرن العشـرین: 1 / 77، وشعراء الغری: 4 / 81، والکوکب الدری: 251.

السياب: بدر شاكر عبد الجبار مرزوق السياب، ولد فی أبی الخصيب 1926 عانی اليُتم صغيرا، تخرج من دار المعلمين العالية - قسم اللغة الإنكليزية - 1948، انتمی إلی الحزب الشيوعی ثم قاطعه، توفی فی الكويت 1964، ودفن فی البصرة(1).

صالح الجعفری: هو صالح بن عبد الكريم بن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء، ولد فی النجف 1908، ونشأ فيها، وتخرج من مدارسها الدينية، عين مدرسا دون أن تكون لديه شهادة رسمية، كف بصره 1956، وتوفی 1979(2).

طالب الحيدری: طالب هاشم عبد الحسين الحيدری، ولد فی الكاظمية 1982، ودرس فی مدارسها، ومدارس النجف، ثقف نفسه ثقافة شاملة، عمل فی التجارة له مجموعة دواوين طبع قسم منها(3).

عباس أبو الطوس: عباس مهدی حمادی حسين ولد فی كربلاء 1929، ونشأ فيها، عرف بحسه الوطنی ودفاعه عن حقوق الشعب، له قصائد منشورة فی صحف ومجلات عراقية وعربية، ديوانه لا زال مخطوطاً، توفی 1958 (4).

1- ينظر: أعلام العراق الحديث: 1 / 160، وأدب الطف: 10 / 172، ومعجم الشعراء العراقيين: 57، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرين: 1 / 27.

2- ينظر: موسوعة أعلام العراق فی القرن العشرين: 1 / 99، ومعجم الشعراء العراقيين: 168.

3- ينظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلی حتی سنة 2002: 3 / 4.

4- ينظر: أدب الطف: 10 / 133، ومعجم رجال الفكر والأدب فی كربلاء: 109، والحسين فی الشعر الكربلائی: 132.

عباس رشيد الخزاعى: ولد فى الحلة 1928، ودرس فى مدارسها لكنه ترک المدرسة بعد المتوسطة لمرض أصابه، أحرقت والدته شعره سهوا فلم يبق منه إلا أربع قصائد، توفى ليلة عيد الأضحى سنة 1964 (1).

عباس شبر: ولـد فى النجف 1905، ودرس فى مدارسـها الدينية شاعر متكلم، فقيه عمل قاضـيا شرعيا، مارس الكتابة فى الصحف النجفية توفى 1971(2).

عباس الملا على: ولد فى أرياف الناصرية 1916، درس شيئا من علوم العربية والفلسفة، كان يعمل عند التجار فى الناصرية ثم فى الشورجة ببغداد، ثم عين بوظيفة (منصت لغوى) فى إذاعة بغداد، توفى فى بداية ثمانينات القرن المنصرم(3).

الشـيخ عبد الحسين الأزرى: ولد 1880، وهو ليس من بيت الأزرى، إنما كانت إحـدى جداته من بيت الأزرى، فحمل لقبها، نظم الشـعر مبكراً، أسس جريدة الصباح 1911 له مؤلفات فى الأدب والتاريخ، وديوان شعر مطبوع، كان يتقن الفرنسية، توفى 1954(4).

عبد الحسين الحلى: ولد فى الحلة 1883م، ودرس فى النجف حتى أصبح

1- ينظر: الحسين فى الشعر الحلى: 370.

2- ينظر: موسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 3 / 137، ويوم الحسين: 4، ومعجم الشعراء العراقيين: 186.

3- ينظر: معجم الشعراء العراقيين: 192.

4- ينظر: أدب الطـف: 10 / 78، ومعجم الشـعراء العراقيين: 210، وموسوعـة أعلام العراق فى القرن العشـرين: 1 / 122، ومن شعرائنا المنسيين: 145.

شخصية علمية معروفة فى العراق وخارجه، له بحوث ودراسات منشورة، توفى 1954م(1).

عبد الحسين الحويزى: هو الشيخ عبد الحسين عمران حسين يوسف الإبراهيمى ولد فى النجف 1867 من أسرة كانت تسكن قضاء عفك فى الديوانية لقب بالحويزى لعمل أحد أجداده فى بيع الرز (الحويزى)، درس فى النجف، تميز بحسه الوطنى، توفى 1957(2).

عبد الحسين صادق: هو الشيخ عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ صادق، ولد فى النجف 1865م، ونشأ فيها، وهو من أسرة عاملية، له دواوين مطبوعة منها (سقط المتاع) توفى 1942م(3).

عبد الحميد السماوى: هو الشيخ عبد الحميد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد آل عبد الرسول، ولد فى السماوة 1897، هاجر إلى النجف شابا، فدرس على يد علمائها، توفى فى النجف 1964 ودفن فيها(4).

عبد العظيم الربيعى: هو الشيخ عبد العظيم بن حسين بن على الربيعى، ولد

1- ينظر: أدب الطف: 10 / 95، وتكملة شعراء الحلة: 2 / 269.

2- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 142، ومعجم الشعراء العراقيين: 215، وشعراء الغرى: 5 / 231، وأدب الطف: 10 / 124، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 2 / 128، والطليعة من شعراء الشيعة: 1 / 485.

3- ينظر: أدب الطف: 9 / 227، وشعراء الغرى: 5 / 210، والكوكب الدرى: 379.

4- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 232، ومعجم الشعراء العراقيين: 223، وأدب الطف: 10 / 176، وشعراء الغرى: 3 / 291.

1920 له ديوان شعر مطبوع(1).

عبد الغنى الحر: هو الشيخ عبد الغنى عبد الحر بن أحمد بن على العاملى الأصل، نزيل النجف والمدفون فيها، كان عابدا، متصوفا، يمتلك حافظة نادرة مارس التبليغ فى جنوب العراق، توفى 1939م (2).

عبد الغنى الخضرى: ولد فى النجف 1905، ودرس فى معاهدها، لازم محمد حسين كاشف آل الغطاء، عرف بشعره الارتجالى، له مؤلفات مطبوعة منها ديوان شعر، توفى 1976 (3).

عبد المهدى مطر: هو الشيخ عبد المهدى بن عبد الحسين بن مطر الخفاجى، ولد فى النجف 1900، ودرس فى معاهدها حتى برع فى النحو وصار حجة فيه له مؤلفات مطبوعة، لكن ديوانه لا زال مخطوطا، توفى سنة 1975(4).

على البازى: هو الشيخ على حسين جاسم، ولد فى النجف 1882، ودرس على يد علمائها، شاعر فصيح وعامى، كان أحد قادة معركة الشعيبة ضد الإنكليز، له شعر متفرق فى مجلات عراقية وعربية، توفى 1967 (5).

1- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 195.

2- ينظر: أدب الطف: 9 / 184، وديوان الشيخ عبد الغنى الحر: 38.

3- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 156، ومعجم الشعراء العراقيين: 238، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 130.

4- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 416، وأدب الطف: 10 / 290، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 3 / 166، وشعراء الغرى: 6 / 97، والكوكب الدرى: 417.

5- ينظر: يوم الحسين: 16، وأدب الطف: 10 / 215، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 3 / 176، وشعراء الغرى: 6 / 363.

غزوة القزوينى: بنت السيد راضى بن السيد جواد من عائلة القزوينى العلوية المعروفة بالفضل والعلم، ولدت فى الحلة 1869، ونشأت فى كنف أخوالها، وتفقهت بعلوم العربية والدين، توفيت 1950(1).

قاسم حسن محيى الدين: هو الشيخ قاسم حسن موسى شريف محمد يوسف محمد جعفر على حسين محيى الدين، ولد فى النجف 1899 من أسرة علمية، درس الفقه والأصول والمنطق والمعانى، فكان شاعراً فقيهاً، توفى 1956(2).

الفرطوسى: هو الشيخ عبد المنعم بن حسين بن حسن الفرطوسى، المولود فى أرياف المجر الكبير فى العمارة 1916، نشأ فى النجف ودرس على يد علمائها، حتى عرف باجتهاده فى علوم البلاغة، توفى 1986(3).

كاظم آل نوح: هو الشيخ كاظم سلمان داود نوح الكعبى، ولد فى الكاظمية 1885، درس دراسة دينية، كان خطيبا وباحثا، توفى 1959(4).

كاظم سبتى: هو الشيخ كاظم حسن على سبتى الحميرى، ولد فى النجف 1842، ودرس على يد علمائها، هاجر إلى بغداد، ثم عاد إلى النجف توفى 1924(5).

1- ينظر: أدب الطف: 9 / 9، والحسين فى الشعر الحلى: 257.

2- ينظر: أدب الطف: 10 / 113، ومعجم الشعراء العراقيين: 283، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 162، وشعراء الغرى: 7 / 85.

3- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 331، ومعجم الشعراء العراقيين: 259، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 137 وشعراء الغرى: 6 / 3.

4- ينظر: أدب الطف: 10 / 140، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 2 / 188.

5- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 224، وأدب الطف: 9 / 73، ومعجم الشعراء العراقيين: 288، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 2 / 189، والطليعة من شعراء الشيعة: 2 / 130.

مجيد خميِّس: مجيد حمادى خميس، ولد فى الحلة 1887، درس العربية والفقه وأصوله فى الحلة والنجف، توفى 1963 (1).

محسن أبو الحب: هو الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن المعروف بأبى الحب الكبير الحويزى ولد فى كربلاء يوم وفاة جـده محسن أبى الحب الكبير 1887 م، ودرس على يـد والـده وعلماء كربلاء، فكان شاعرا خطيبا معروفا فى العراق وخارجه، تميز شـعره بالحس الوطنى، توفى 1949(2).

محمد بندر النبهانى الحميرى: ولد فى عفك 1907 ونشأ فيها أديب وشاعر نشط، توفى 1975(3).

محمد جمال الهاشمى: ولد 1913، درس العلوم الدينية، حتى نال درجة الاجتهاد فى الفقه، بلغت مؤلفاته أكثر من ثمانين مؤلفا طبع عدد منها، توفى 1977(4).

محمد جواد الغبان: ولد فى النجف 1930 ودرس فيها وتخرج من كلية

1- ينظر: أدب الطف: 10 / 185، والحسين فى الشعر الحلى: 360.

2- ينظر: أدب الطف: 9 / 333، ومعجم الشعراء العراقيين: 202، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 180.

3- ينظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلى حتى سنة 2002: 4 / 347.

4- ينظر: يوم الحسين: 126، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 2 / 203، وشعراء الغرى: 11 / 3.

(منتدى النشر) فى النجف، حصل على دبلوم عال من القاهرة، مارس التعليم، له مؤلفات مطبوعة، منها مجاميع شعرية(1).

محمد جواد الجزائرى: ولد فى النجف 1881 أحد علماء النجف المعروفين وشقيق العلامة عبد الكريم الجزائرى وأحد قادة ثورة العشرين، كان متأثرا بالفلسفة، وله فيها مؤلفات، توفى 1959(2).

محمد حسن سميسم: ولد 1861م، من أسرة آل سميسم اللامية، كان أحد شعراء النجف المعروفين بحسه الوطنى، توفى 1923م(3).

محمد حسين كاشف الغطاء: ولد فى النجف 1877، كان عالما مجتهدا مكثرا من التأليف، توفى 1954(4).

محمد الحيدرى: ولد فى سوق الشيوخ 1888 ودرس فى الحوزة العلمية فى النجف، شاعر وسياسى وعضوا فى المجلس النيابى لثمان دورات 1928-1943، من المدافعين عن قضايا الشعب، توفى 1944 (5).

1- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 320، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 186، ومستدرک شعراء الغرى: 2 / 351.

2- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 101، وأدب الطف: 10 / 136 ومعجم الشعراء العراقيين: 311، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 185، وشعراء الغرى: 7 / 350، والكوكب الدرى: 519.

3- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 232، وأدب ألطف: 9 / 90.

4- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 365، وأدب ألطف: 10 / 46، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 187، وشعراء الغرى: 8 / 99.

5- ينظر: موسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 186.

محمـد رضا آل یاسـین: ولـد فی الکاظمیة 1879م، من أسـرة آل یاسـین المعروفـة اسـتوطن النجف، توفی 1917م، وکـان یوم وفاته یوما مشهوداً(1).

محمـد سـعید ألحبوبی: ولد فی النجف 1849، ودرس فی مدارسـها الدینیـة شاعر کبیر , فقیه مجتهـد، وقائد بارز من قواد ثورة العشـرین، کانت له صداقة مع جمال الدین الأفغانی(ت 1897 م) حینما کان بالنجف للدراسة، توفی 1915(2).

محمد السماوی: هو الشیخ محمد طاهر السماوی، المولود فی السماوة 1876 انتقلت عائلته إلی النجف، وهو طفل فدرس الفقه والأصول حتی نال درجة الاجتهاد توفی 1950(3).

محمد صالح بحر العلوم: ولد فی النجف 1908 من أسرة عریقة الفقه والأدب ومعروفة بمعاداتها للعثمانیین، درس فی النجف، نظم الشعر مبکرا، أهم ما یمیز شعره دفاعه المستمیت عن حقوق الشعب، حتی تعرض للاعتقال مرات عدیدة توفی 1992 (4).

محمد علی قسام: ولد فی النجف 1873 من أسرة معروفة بالعلم، قال

1- ینظر: أدب الطف: 10 / 16، وشعراء الغری: 8 / 382، والکوکب الدری: 600.

2- ینظر: معجم الشعراء العراقیین: 335، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 1 / 190.

3- ینظر: أدب الطف: 10 / 18، ومعجم الشعراء العراقیین: 342، والطلیعة من شعراء الشیعة: 1 / 9، وشعراء الغری: 10 / 475.

4- ینظر: معجم رجـال الفکر والأدب فی النجف: 59، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشـرین: 1 / 191، وشعراء الغری: 9 / 321، والکوکب الدری: 631.

الشعر صغيرا لكنه برع فی الخطابة فوظفها للقضايا الوطنية، حتی لقب بشيخ ثوار ثورة العشرين، توفی 1954 (1).

محمد علی اليعقوبی: ولد فی النجف 1894 م، ونشأ فی الحلة، درس علی مشاهير العلماء فكان شاعرا وخطيبا مرموقا، كان برفقة الحبوبی فی معركة الشعيبة ويعد من المكثرين فی التحقيق والتأليف، لقب باليعقوبی نسبة إلی والده الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلی، توفی 1965 (2).

محمد مهدی الجواهری: ولد فی النجف 1899، ودرس علی يد علمائها، ثم انصرف إلی الشعر، عمل فی التدريس والصحافة، ساند الحركة الوطنية، انتخب أكثر من مرة فی المجلس النيابی، ودعی إلی مؤتمرات كثيرة جدا، وضع اسمه فی أكثر من موسوعة لمشاهير العالم من الرجال، حصل علی أكثر من وسام من زعماء وملوک العالم، شكل ظاهرة فی الشعر العربی الحديث، حتی لقب بشاعر العربية الأكبر توفی 1998 فی سوريا(3).

محمد مهدی القزوينی: هو السيد محمد مهدی بن السيد محمد طاهر القزوينی ولد فی كربلاء 1870م، له ديوان شعر ما زال مخطوطا، توفی 1932م(4).

1- ينظر: أدب الطف: 10 / 62، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرين: 2 / 211، وشعراء الغری: 10 / 49، والكوكب الدری: 655.

2- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فی النجف: 476، ومعجم الشعراء العراقيين: 348، وأدب الطف: 10 / 190، والبابليات: 3 / 217 (القسم الثانی).

3- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فی النجف: 110، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرين: 1 / 110.

4- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فی كربلاء: 234، والحسين فی الشعر الكربلائی: 181.

محمود الحبوبی: هو السید محمود حسین محمود الحبوبی ابن أخ السید محمد سعید الحبوبی ولد فی النجف 1906 ودرس فی مدارسها ثم ترکها إلی بغداد، تأثر من الصغر بعمه، عاش حیاة العزوبیة حتی توفی 1969 (1).

مرتضی آل یاسین: مرتضی بن الشیخ عبد الحسین آل یاسین، ولد سنة 1894م، کان من فقهاء النجف البارزین، نال الاجتهاد وهو فی العقد الثالث، عرف بالنسک والتقوی، تزعم جماعة العلماء فی النجف 1959م، له کتب وبحوث، توفی فی ستینات القرن الماضی (2).

مسلم الجابری: هو الشیخ مسلم محمد علی الجابری، ولد فی النجف 1913، ودرس فی معاهدها خطیب وشاعر وکاتب، توفی 1963 (3).

مسلم الحلی: هو السید مسلم حمود ناصر الحسینی، ولد فی الحلة 1916 ودرس فی حوزة النجف العلمیة، حتی نال الاجتهاد، له مؤلفات مطبوعة توفی 1981(4).

مصطفی جمال الدین: هو السید مصطفی بن السید جعفر بن المرزا عنایة

1- ینظر: أدب الطف: 10 / 254، ومعجم الشعراء العراقیین: 389، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 1 / 198.

2- مجلة الموسم ع12 لسنة 1991: 373.

3- ینظر: موسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 3 / 242.

4- ینظر: یوم الحسین: 46، ومعجم رجال الفکر والأدب فی النجف: 138 وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 3 / 242، وتکملة شعراء الحلة: 3 / 253، ومستدرک شعراء الغری: 3 / 265.

الله بن الميرزا حسين بن على بن محمد الشهير بجمال الدين، ولد فى أرياف سوق الشيوخ 1927 من أسرة انتقلت من إيران إلى الهند فى عهد نادرشاه، ترك التعليم الابتدائى وواصل تعليمه الدينى، وقد بان تفوقه منذ صغره، عين أستاذا فى كلية الفقه، توفى بمرض السرطان 1996(1).

مصطفى جواد: ولد فى بغداد 1904 وقيل 1908 من عائلة تركمانية من كركوك، عاش جزء من طفولته فى الخالص، تخرج من دار المعلمين الابتدائية 1924 وواصل دراسته فى السوربون، عين أستاذا فى دار المعلمين العالية، يعد من مشاهير علماء اللغة العربية، توفى 1969 (2).

مظهر اطيمش: مظهر عبد النبى مهدى محمد حسين محمد أحمد طيمش ولد الشطرة 1907، تخرج من دار المعلمين، فعمل معلما فى الشطرة والنجف وكربلاء توفى 1972 (3).

معين السباك: هو الحاج معين عبد الرضا السباك، ولد فى النجف 1917 وسكن الديوانية تولى شؤون المدرسة الدينية هناك (4).

1- ينظر: مصطفى جمال الدين، جهوده وظواهر لغوية فى شعره: 25، وشعراء الغرى: 11 / 345.

2- ينظر: أدب وأدباء الخالص فى القرن العشرين: 1 / 117، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 1 / 202.

3- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب فى النجف: 38، ومعجم الشعراء العراقيين: 398، وموسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين: 3 / 246.

4- ينظر: ديوانه - معين الحاج معين -: 1 / 7، ومستدرک شعراء الغرى: 3 / 293.

مهدی جاسم الشماسی: ولد فی کربلاء 1920 وتعلم فی مدارسـها وتخرج من دار المعلمین الابتدائیة فیها فعین معلما فی مدارس کربلاء ثم انتقل إلی بغداد توفی 1960(1).

السید مهدی الطالقانی: هو السید مهدی السید رضا الطالقانی ولد فی النجف 1848م، وتوفی فیها 1924م (2).

مهدی الفلوجی: هو مهدی عمار سعید الفلوجی، ولد فی الحلة 1864، تخرج علی ید الشاعر حمادی نوح، فعمل فی التجارة حتی أصبح تاجرا معروفا فی العراق توفی 1938 (3).

الناصـری: عبد القادر رشید الناصری، ولد فی الناصریة 1920 من أبوین کردیین من السـلیمانیة، أکمل الابتدائیـة فتطوع فی الجیش لکنه ما لبث أن ترکه عاش فقیراً، مضطهداً، حتی لقب بصعلوک الشعراء توفی1962(4).

هـادی آل کاشف الغطاء: ولـد فی النجف 1870 ودرس علی یـد علمائهـا، أحـد الفقهاء المجتهـدین، عرف بمساجلاته مع جعفر الحلی وجواد الشبیبی توفی 1942 (5).

1- ینظر: معجم الشعراء العراقیین: 417، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 2 / 223.

2- ینظر: معجم رجال الفکر والأدب فی النجف: 282، وأدب الطف: 9 / 95، وشعراء الغری: 12 / 162.

3- ینظر: أدب الطف: 9 / 170، والبابلیات: 4 / 122 (القسم الثانی).

4- ینظر: أدب الطف: 10 / 166، ومعجم الشعراء العراقیین: 242، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشرین: 1 / 131.

5- ینظر: معجم رجـال الفکر والأدب فی النجف: 367، وأدب الطف: 9 / 223، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشـرین: 1 / 218، وشعراء الغری: 12 / 355، والکوکب الدری: 814.

هادی الخفاجی: هو الشیخ هادی صالح مهدی الخفاجی، ولد فی بغداد 1908 وعاش فی کربلاء، کان خطیبا معروفا توفی 1992 (1).

یعقوب الحاج جعفر الحلی: ولد فی النجف 1854 ودرس علی ید علمائها، کان خطیبا مشهورا، وشاعرا باللهجتین الفصحی والعامیة تنقل بین الحلة والنجف والسماوة توفی 1912 (2).

محمد علی النجار: هو السید محمد علی بن محمد بن حسن بن محسن الموسوی ولد فی الحلة 1922، ونشأ فیها ودرس علی ید علمائها، عین معلما، شاعر مکثر، برع فی التاریخ الشعری والتشطیر والتخمیس، عمل فی التجارة(3).

1- ینظر: دیوان الشیخ هادی الخفاجی الکربلائی: 60، ومعجم رجال الفکر والأدب فی کربلاء: 257.

2- ینظر: معجم رجـال الفکر والأدب فی النجف: 476، ومعجم الشعراء العراقیین: 434، وموسوعة أعلام العراق فی القرن العشـرین: 2 / 249 والطلیعة من شعراء الشیعة: 2 / 437، والبابلیات: 3 / 144.

3- ینظر: الحسین فی الشعر الحلی: 449.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المخطوطات

1. ديوان السيد جواد الهندى، الناسخ السيد سلمان هادى آل طعمة، مكتبة الناسخ البيتية، بدون رقم.

2. القصائد البهية فى النصائح المهدوية، ديوان السيد محمد مهدى محمد طاهر القزوينى الموسوى الحائرى، مكتبة السيد سلمان هادى آل طعمة. د. ت.

3. المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر المرحوم عباس مهدى أبى الطوس مخطوطة، بقلم د. عبود جودى الحلى، تاريخ النسخ 1992، موجودة فى مكتبة الناسخ البيتية.

ثالثاً: الكتب المطبوعة

1. الإبداع فى الفن، قاسم حسين صالح، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، دار الطباعة للنشر، بيروت 1981.

2. الإبداع والشخصية، دراسة سيكولوجية، عبد الحليم محمود السيد، دار المعارف، مصر، 1971.

3. أبو الشهداء الحسين بن على، عباس محمود العقاد، دار نشر الشريف الرضى، إيران، ط2، د. ت.

4. اتجاهات الشعر العربی الحدیث، د. حاتم الساعدی، مطبعة ستارة، إیران ط1، 1420هـ.

5. الاتجاه النفسی فی نقد الشعر العربی، د. عبد القادر فیدوح، منشورات اتحاد الکتاب العرب، دمشق، 1992 .

6. الاتجاهات والحرکات فی الشعر العربی الحدیث، د. سلمی الخضراء الجیوسی، ترجمة د. عبد الواحدة لؤلؤة، مرکز دراسات الوحدة العربیة، بیروت، ط1، 2001.

7. الاتجاهات الوطنیة فی الشعر العراقی الحدیث 1914 - 1941، د. رؤوف الواعظ، منشورات وزارة الإعلام العراقیة، 1974.

8. أثر التراث فی الشعر العراقی الحدیث، علی حداد، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد، ط1، 1986.

9. أثر التشیع فی الأدب العربی، محمد سید کیلانی، مکتبة مصر ومطبعتها، مصر، 1947.

10. أخبار شعراء الشیعة، المرزبانی (أبو عبد الله محمد بن عمران ت 384هـ)، تحقیق د. محمد هادی الأمینی، شرکة الکتبی للطباعة والنشر بیروت ط2، 1993.

11. الأخبار الطوال، الدینوری (أبوحنیفة أحمد بن داود ت 282هـ) تحقیق د. عصام محمد الحاج علی، منشورات محمد علی بیضون، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط1، 2001.

12. الأدب الجاهلی، قضایا وفنون ونصوص، د. حسن عبد الجلیل یوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزیع، القاهرة، ط2، 2003.

13. أدب السیاسة فی العصر الأموی، د. أحمد محمد الحوفی، مکتبة نهضة مصر، ط1، 1960.

14. الأدب السیاسی الملتزم فی الإسلام، د. صادق آئینة وند، و د. حسن عباس نصر الله، دار التعارف للطباعة والنشر، بیروت، د. ت.

15. أدب الطف، او شعراء الحسین من القرن الأول الهجری حتی القرن الرابع عشر، جواد شبر، مؤسسة التاریخ العربی، بیروت ط1، 2001.

16. الأدب للشعب، سلامة موسى، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1956م.

17. أدب العرب فى عصر الجاهلية، د. حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984.

18. الأدب العربى الحديث، دراسة فى شعره ونثره، د. سالم أحمد الحمدانى و د. فائق مصطفى أحمد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد 1987.

19. الأدب العربى فى كربلاء من إعلان الدستور العثمانى إلى ثورة تموز 1958، اتجاهاته وخصائصه الفنية، د. عبود جودى الحلى، منشورات مكتبة أهل البيت، كربلاء، ط1، 2005.

20. أدب العصور المتأخرة، د. ناظم رشيد، منشورات مكتبة بسام. بغداد، 1985.

21. الادب المعاصر فى العراق، 1938 ـ 1960 , د. داود سلوم , مطبعة المعارف , بغداد , 1962.

22. أدب وأدباء الخالص فى القرن العشرين، قيس عبد الكافى حسين، مطبعة الأزهر، بغداد، ط1، 1973.

23. الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربى، مصر، ط6، 1976.

24. الأدب وفنونه، د. محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1974.

25. الأدب وقيم الحياة المعاصرة، د. محمد زكى العشماوى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

26. الإرشاد، الشيخ المفيد (محمد بن عبد النعمان ت 413 هـ) منشورات مؤسسة الأعلمى، بيروت، ط3، 1979.

27. أزهار ذابلة وقصائد مجهولة، بدر شاكر السياب، تحقيق وإعداد حسن توفيق، مطبعة الديوانى، بغداد، ط2، 1985 .

28. أزهار الريف (ديوان شعر)، الشيخ محمد بندر النبهانى الطائى الحميرى، مطبعة الزهراء، بغداد، 1952.

29. أسـرار البلاغـة فى علم البيان، الجرجانى (ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت 471هـ) علق عليه السيد محمود رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ط2، 1925.

30. الأسس الفنية للنقد الأدبى، د. عبد الحميد يونس، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1966.

31. الأسس المعنوية للأدب، عبد الفتاح الديدى، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1966.

32. الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، دار المعارف، مصر ط3، 1969.

33. الأسـس النفسـية لأساليب البلاغـة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجى، المؤسـسة العربية للدراسات والنشـر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984.

34. أصداء الحياة، نفح الخلود (ديوان شعر)، مظهر اطميش، مطبعة الراعى، النجف، 1954.

35. الأصـمعيات، اختيار الأصمعى (أبى سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت 216هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط4، 1976.

36. أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1996.

37. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1971.

38. أعلاـم العراق الحـديث، (قـاموس تراجم) 1869 ، 1969، بـاقر أمين الورد (المحـامى)، راجعه وقـدم له: د. نـاجى معروف، مطبعة أوفسيت الميناء، بغداد، 1978.

39. الأغانى، الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين ت 356هـ)، نشر صلاح يوسف الخليل، عن طبعة بولاق الأصلية، دار الفكر للجميع، بيروت 1970.

40. الالتزام فى الشعر العربى، د. أحمد أبو حاقة، دار العلم للملايين، بيروت. ط1، 1979.

41. ألوان شتى (مجموعة شعر)، طالب الحيدرى، مطبعة دار المعارف، بغداد، ط1، 1949.

42. أمالی الزجاجی، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت 340 هـ) تحقیق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربیة الحدیثة، القاهرة، ط1، 1382هـ.

43. الإمام الحسین (علیه السلام) عملاق الفکر الثوری، دراسة فی المنهج والمسار، د. محمد حسین علی الصغیر، مؤسسة التعارف للمطبوعات، بیروت، ط1، 2002.

44. الأنواء (دیوان شعر السید میرعلی أبو طبیخ)، نشره السید جعفر أبو طبیخ، مطبعة الراعی، النجف، 1943.

45. الأنوار ومحاسن الأشعار، الشمشاطی (أبو الحسن بن محمد بن المطهر العدوی ت 380هـ) تحقیق صالح مهدی العزاوی، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد ط2، 1987.

46. البابلیات، محمد علی الیعقوبی، دار البیان للطباعة والنشر والتوزیع، النجف، د.ت.

47. البدایة والنهایة، ابن کثیر (عماد الدین أبو الفداء إسماعیل بن کثیر القرشی الدمشقی ت 744هـ) قدم له محمد عبد الرحمن المرعشلی، حقق نصوصه وعلق علیه مکتب التحقیق، دار إحیاء التراث العربی، مؤسسة التاریخ العربی بیروت، ط1، 1997.

48. البدیع فی نقد الشعر، أسامة بن منقذ (ت 584هـ)، تحقیق د. أحمد أحمد بدوی، ود. حامد عبد المجید، مراجعة الأستاذ إبراهیم مصطفی البابی الحلبی، مصر، 1960.

49. البرهان فی وجوه البیان، ابن وهب الکاتب (أبو الحسین إسحاق بن إبراهیم بن سلیمان ت335 هـ)، تحقیق د. أحمد مطلوب، و د. خدیجة الحدیثی، مطبعة العانی، بغداد، ط1، 1967.

50. بلاغة التراکیب، دراسة فی علم المعانی، د. توفیق الفیل، مکتبة الآداب، القاهرة، 1991.

51. البناء الفنی فی شعر الهذلیین، دراسة تحلیلیة، د. أیاد عبد المجید إبراهیم، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد، ط1، 2000.

52. البناء الفنی للقصیدة العربیة، محمد عبد المنعم خفاجی، مکتبة القاهرة، مصر، ط1، د. ت.

53. بناء القصيدة فى النقد العربى القديم (فى ضوء النقد الحديث)، د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983.

54. بناء القصيدة الفنى فى النقد العربى القديم والمعاصر، مرشد الزبيدى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994.

55. البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت 255هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، مصر، ط5، 1985.

56. التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول، الشيخ منصور على ناصف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

57. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى ت1205هـ)، ج1، تحقيق عبد الستار احمد فراج، الكويت، د. ت.

58. تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية، كارلو نالينو، اعتنى بنشره مريم نالينو، تقديم، د. طه حسين، دار المعارف، مصر، ط2، 1970.

59. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجى زيدان، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1983.

60. تاريخ الأدب العربى، العصر الجاهلى، د. شوقى ضيف، دار المعارف، مصر، ط7، 1976.

61. تاريخ الأدب العربى فى العراق، عباس العزاوى، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد، 1962.

62. تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبرى (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير ت 310هـ)، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

63. تاريخ الخلفاء، السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت 911هـ)، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة المدنى، القاهرة، ط3، 1964.

64. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، مصر، 1949.

65. التاريخ الكبير، ابن عساكر (ثقة الدين ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ت 571هـ)، اعتنى بترتيبه الشيخ عبد القادر أفندى بدران، مطبعة روضة الشام، 1332هـ.

66. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأوائل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت 571هـ)، دراسة وتحقيق على شيرى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

67. تاريخ اليعقوبى (أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى البغدادى ت 292هـ)، تحقيق خليل منصور، دار الاعتصام، إيران، ط2، 1425 هـ.

68. التجديد فى الأدب الأندلسى، د. باقر سماكة، مكتب دار الجنائن للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1971.

69. التجديد فى لغة الشعراء الإحيائيين، د. عادل جاسم البياتى، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1984.

70. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، المباركفورى (أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت 1353هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

71. التحليل الاجتماعى للأدب، السيد يسين، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط3، 1992.

72. تراجيديا كربلاء، سوسيولوجيا الخطاب الشيعى، إبراهيم الحيدرى، دار الساقى، بيروت، ط1، 1999.

73. التشكيلان الإيقاعى والمكانى فى القصيدة العربية الحديثة، أ. د. كريم الوائلى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2006.

74. التشيع وأثره فى العصر العباسى الأول، د. محسن غياض، تقديم د. شوقى ضيف، مطبعة النعمان، النجف، 1973.

75. التصوير الفنى فى القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط5، 1979.

76. تطور الشعر العربى الحديث، الدوافع، المضامين، الفن، د. شلتاغ عبود شراد، دار مجدلاوى للنشر، الأردن، ط1، 1998.

77. تطور الشعر العربى الحديث فى العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج، د. على عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، 1975.

78. تطور الفكرة والاسـلوب فى الاـدب العراقى الحـديث فى القرنين التاسع عشـر والعشـرين , د. داود سـلوم , مطبعـة المعارف , بغـداد , 1959.

79. التفسير النفسى للأدب، د. عز الدين إسماعيل، مكتب غريب، مصر، ط4، د. ت.

80. تكملة شعراء الحلة، أو البابليات، د. صباح نورى المرزوک، دار الضياء النجف، ط1، 2006.

81. تلقيب القوافى وتلقيب حركاتها، ابن كيسان (أبو الحسن محمـد بن احمد ت299هـ)، ضمن كتاب رسائل ونصوص فى اللغة والأدب والتاريخ تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائى، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1988.

82. تهذيب اللغة، الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ت 370هـ)، ج15، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأيبارى، مصر، 1976.

83. التوشـيح، شـرح الجامع الصـحيح (شـرح صـحيح البخارى)، السـيوطى (أبو الفضل جلال الـدين عبد الرحمن ت 911هـ)، تحقيق رضوان جامع رضوان، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1998.

84. الجامع فى تاريخ الأدب العربى، حنا الفاخورى، منشورات ذوى القربى، إيران، ط3، 1427 هـ.

85. جماليات المعنى الشعرى، التشكيل والتأويل، د. عبد القادر الرباعى المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999.

86. جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام، القرشى (أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ت 176هـ تقريبا)، تحقيق على محمد البجاوى، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1981.

87. جمهرة وصايا العرب، دراسة وتحقيق: محمد نايف الدليمى، منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991م.

88. جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع ، أحمد الهاشـمى، إشـراف محمد صدقى جميل، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط1، 1379هـ.

89. حديث الأربعاء، د. طه حسين، دار المعارف، مصر، ط2، د. ت.

90. الحسين فى الشعر الحلى، تراجم وقصائد، سعد الحداد، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، 2007.

91. الحسين فى الشعر الكربلائى، سلمان آل طعمة، مؤسسة الفكر الإسلامى، الأمين للطباعة والنشر، إيران، ط1، 2001.

92. الحسين فى الفكر المسيحى، أنطوان بارا، مكتبة فدك، إيران، ط1، 2001.

93. حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة، د. يوسف خليف، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.

94. الخصائص، ابن جنى (أبو الفتح عثمان بن جنى ت 392هـ)، تحقيق محمد على النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990.

95. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، الخزرجى (صفى الدين أحمد بن عبد الله ت923هـ)، تحقيق مجدى منصور الشيرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

96. خير الزاد ليوم المعاد فى مدائح النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومراثيهم باللغة الفصحى، الشيخ باقر حبيب الخفاجى، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، 1952.

97. الدوافع الذاتية لأنصار الحسين، بحث يبين البواعث الذاتية والدوافع الرسالية لأصحاب الحسين منذ انطلاق المسيرة من المدينة المنور حتى المرابطة على ربى الطف بيطحاء كربلاء، محمد على عابدين، دار الكتاب الإسلامى، قم، إيران، ط3، 1983.

98. الديوان (ديوان شعر مصطفى جمال الدين)، دار المؤرخ العربى، بيروت، ط2، 2008.

99. ديوان أبى الأسود الدؤلى (ت69هـ)، صنعه أبو سعيد الحسن السكرى (ت 290هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1998.

100. ديوان أبى تمام، مراجعة د. محمد عزت نصر الله، دار الفكر للجميع، بيروت، د. ت.

101. ديوان أبى الحب(الصغير)، تحقيق سلمان هادى الطعمة، مطبعة الآداب، النجف، 1966.

102. ديوان أبى دهبل الجمحى، برواية أبى عمرو الشيبانى، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف، ط1، 1972.

103. ديوان أبى المحاسن الكربلائى، تحقيق، محمد على اليعقوبى، مطبعة الباقر، النجف الأشرف ط1، 1383 هـ. وط2، 2000 ضمن كتاب (ديوان أبى المحاسن دراسة عن حياته والاتجاهات السياسية فى شعره، نورى كامل محمد حسن، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط1، 2000م.

104. ديوان اوس بن حجر، شرح وضبط وتقديم، د. فاروق عمر الطباع، شركة دار الارقم بن ابى الارقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت

105. ديوان بحر العلوم، محمد صالح بحر العلوم، مطبعة دار التضامن، ط1، 1969.

106. ديوان التميمى،(الشيخ صالح التميمى ت 1845 م) ، تحقيق محمد رضا السيد سلمان المحامى، وعلى الخاقانى، مطبعة الزهراء، النجف د. ت.

107. ديوان الجزائرى، محمد جواد الجزائرى، دار التعارف، بيروت، 1993.

108. ديوان الجعفرى، صالح بن عبد الكريم بن جعفر كاشف الغطاء، تحقيق وجمع وإشراف على جواد الطاهر، وثائر حسن جاسم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1985.

109. ديوان الجواهرى، محمد مهدى الجواهرى، تحقيق د. إبراهيم السامرائى و د. مهدى المخزومى. و د. على جواد الطاهر ورشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، 1973.

110. ديوان حسين الكربلائى، جمع وتحقيق سلمان هادى آل طعمة، بغداد، ط2، 1963.

111. ديوان الحطيئة (ت 59 هـ)، شرح السكيت والسكرى والسجستانى، تحقيق نعمان أمين طه، البابى الحلبى، القاهرة، ط1، 1958.

112. ديوان الحماسة، أبو تمام (حبيب بن اوس الطائی ت 231ه_) روایة الجواليقی (ت539ه_)، تحقيق عبد المنعم محمد صالح، دار الرشيد، بغداد، 1980.

113. ديوان الحويزی، الشيخ عبد الحسين بن عمران الحويزی، ج1، المطبعة الحيدرية، النجف، د. ت، وج2، فی مدائح ومراثی أهل البيت عليهم السلام، جمعه وعلق عليه حميد مجيد هدو، مطابع النعمان، النجف، 1965م.

114. ديوان الخنساء (ت24ه_)، شرح وضبط وتقديم د. فاروق عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبی الارقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. د.ت.

115. ديوان دعبل بن علی الخزاعی (ت 246 ه_) ، جمعه وقدم له وحققه عبد الصاحب عمران الدجيلی، دار الكتاب البنانی، بيروت، ط2، 1972م.

116. ديوان الربيعی، الشيخ عبد العظيم الربيعی، مطبعة الآداب، النجف، ط2، 1385ه_.

117. ديوان السيد حيدر الحلی (ت 1887)، نشر وتصحيح وتعليق علی الخاقانی، المطبعة الحيدرية، النجف، 1950.

118. ديوان السيد الحميری (ت173 ه_)، جمعه وحققه وشرحه وعلق عليه وعمل فهارسه شاكر هادی شكر، قدم له السيد محمد تقی الحكيم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

119. ديوان السيد رضا الموسوی الهندی، جمعه السيد موسی الموسوی، راجعه وعلق عيه د.عبد الصاحب الموسوی، دار الأضواء،بيروت، ط1، 1988.

120. ديوان السيد محمد سعيد الحبوبی، جمعه محمود الحبوبی، تصحيح وشرح وترجمة الإعلام وترتيب عبد الغفار الحبوبی، مديرية المطابع العسكرية، بغداد، 1983.

121. ديوان السيد مهدی الطالقانی، جمع وتحقيق السيد محمد حسن الطالقانی، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1999.

122. ديوان السماوی، الشيخ عبد الحميد السماوی، تحقيق أحمد عبد الرسول السماوی، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط1 1971.

123. ديوان الشريف الرضی (محمد بن أبی أحمد الحسين الموسوی العلوی ت406ه_)، تصحيح وشرح أحمد عباس الأزهری، المطبعة الأدبية، بيروت، 1307 ه_.

124. ديوان شعر ذى الرمة (غيلان بن عقبة العدوى ت 117ه_)، اعتنى بتصحيحه وتنقيحه كاريل جيس مكارثى، طبع على نفقة كلية كمبردج فى مطبعة الكلية، 1919.

125. ديوان الشعر الواله فى النبى وآله، د. الشيخ أحمد الوائلى، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998.

126. ديوان عبد الحسين الأزرى، تحقيق مكى السيد جاسم وشاكر هادى شكر، تقديم على الشرقى وترجم للشاعر جعفر الخليلى، مؤسسة النعمان، بيروت.

127. ديوان عبد الغنى الحر، العاملى النجفى، المطبعة الإسلامية، طهران، د. ت.

128. ديوان عبد الغنى الخضرى، المطبعة الحيدرية، النجف، 1952.

129. ديوان عبد القادر رشيد الناصرى، ج1، جمعه وضبطه كامل خميس، مطبعة شفيق، بغداد 1965، وحقق الجزء الثانى الذى عنون ب (ديوان الناصرى)، هلال ناجى وعبد الله الجبورى، مطبعة العانى، بغداد، ط1، 1966م.

130. ديوان عروة بن الورد والسموأل، دار صادر، بيروت،د. ت.

131. ديوان الفرطوسى، عبد المنعم الفرطوسى، مطبعة الغرى الحديثة النجف، ط2، 1966.

132. ديوان كاظم آل نوح، مطبعة المعارف، بغداد، 1949.

133. ديوان النابغة الذبيانى بتمامه، صنعه ابن السكيت (يوسف بن يعقوب بن اسحاق ت 244 ه_)، تحقيق د. شكرى فيصل، دار الفكر، بيروت 1968.

134. ديوان هادى الخفاجى الكربلائى، جمع قصائده نجله الشيخ علاء الدين الكربلائى، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003.

135. ديوان الوائلى، إبراهيم الوائلى، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

136. ديوان الياسرى، حسن الياسرى، جمعه ونشره وعلق عليه عبد الجبار الساعدى، مطبعة الآداب، النجف.

137. ديوان يعقوب الحاج جعفر النجفى الحلى، عنى بجمعه والتعليق عليه ولده محمد على اليعقوبى، مطبعة النعمان، النجف، ط1، 1962.

138. الـذخائر، مجموعة قصائد ومقاطع فی مدح ورثاء النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم وأهل بیته علیهم السـلام، محمد علی الیعقوبی، جمع وتصحیح ولد الناظم موسی الیعقوبی، المطبعة الحیدریة، النجف، 1955.

139. ذکریات، أحلام، تأملات، کارل غوسـتاف یونغ، ترجمـة ناصـر السـعدون مراجعة د. سـلمان الواسـطی، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد، ط1، 2001.

140. رثاء غیر الإنسان فی الشعر العباسی، عبد الله عبد الرحیم السودانی، المجمع الثقافی، أبو ظبی، ط1، 1999.

141. الرثاء فی الجاهلیة والإسلام، د. حسین جمعة، دارمعد للنشر والتوزیع دمشق، ط1، 1991.

142. الرثاء فی الشعر الجاهلی وصدر الإسلام، د. بشری محمد علی الخطیب مطبعة الإدارة المحلیة، بغداد، 1977.

143. رسالـة الأدیب، د. زکی مبارک، إعـداد وتقـدیم کریمـة زکی مبارک، إشـراف رباب عدنان درویش، منشورات وزارة الثقافة السوریة، دمشق، 1999.

144. رسالة الحسین، منشورات مکتبة الهادی العامة فی حسینیة کرادة مریم، مطبعة البرهان، بغداد، 1376هـ.

145. الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافیة العامة، آفاق عربیة، بغداد، 1986.

146. زهر الآداب وثمر الألباب، الحصـری القیروانی (أبو إسـحاق إبراهیم بن علی ت 453هـ)، تحقیق زکی مبـارک، دار الجیل، بیروت، ط4، 1972.

147. زورق الخیال، من شعر السید حسین آل بحر العلوم، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، ط1، 1977.

148. سـحر البیان وسـمر الجنان، (دیوان شعر)، الشیخ محمد حسن سمیسم النجفی، تحقیق حسام الدین آل سمیسم، دار البیان العربی، للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، ط1، 1993.

149. سقط المتاع، (ديوان شعر)، عبد الحسين صادق، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، د. ت.

150. سنن ابن ماجه(الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، ت 275هـ)، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط1، 2000.

151. سيكولوجية التذوق الفنى، د. مصرى عبد الحميد حنورة، دار المعارف، مصر، 1985.

152. شخصيات كتاب الأغانى، صنعه، د. داود سلوم، و د. نورى حمودى القيسى، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد، 1982.

153. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلى (شهاب الدين أبوالفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد ت 1089)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت. ط1، 1998.

154. شرح ديوان الحماسة، المرزوقى (أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى ت 421هـ)، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط1، 1991.

155. شرح الصولى لديوان أبى تمام، دراسة وتحقيق، د. خلف رشيد نعمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م.

156. شرح الهاشميات، للكميت بن زيد الاسدى (ت 126 هـ)، ويليه مختارات من اشعار العرب، بقلم محمد محمود الرافعى، مطبعة شركة التمدن الصناعية، د. ت.

157. الشعر السياسى العراقى فى القرن التاسع عشر، د. إبراهيم الوائلى، مطبعة المعارف، بغداد، ط2، 1978.

158. الشعر الصوفى حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالى، د.عدنان حسين العوادى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

159. الشعر العراقى، أهدافه وخصائصه فى القرن التاسع عشر. د. يوسف عز الدين، مطبعة الزهراء، بغداد، 1958.

160. الشعر العراقى الحديث , مرحلة وتطور , د.جلال الخياط , دار الرائد العربى , بيروت ,ط2 , 1987.

161. الشعر العراقی الحدیث، واثر التیارات السیاسیة والاجتماعیة فیه، د. یوسف عز الدین، بغداد، 1960.

162. شعراء الغری أو النجفیات، علی الخاقانی، مطبعة بهمن، إیران، 1408 هـ.

163. شعراء کاظمیون، الشیخ محمد حسن آل یاسین، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1980.

164. الشعر کیف نفهمه و نتذوقه، الیزابیث درو، ترجمة د. محمود إبراهیم الشوش، منشورات مکتبة میمنة، بیروت بالاشتراک مع مؤسسة فرنکلین المساهمة للطباعة والنشر، 1961.

165. الشعر المقبول فی مدائح ومراثی آل الرسول، (دیوان شعر) الشیخ قاسم حسن محیی الدین، المطبعة الحیدریة، النجف، 1350هـ.

166. شعراء من کربلاء من القرن السابع الهجری حتی مطلع القرن الرابع عشر، سلمان هادی الطعمة، مطبعة الآداب، النجف، 1966.

167. الشعر والشعراء، ابن قتیبة(ابو محمد عبد الله بن مسلم ت 276هـ) ، عالم الکتب، بیروت، ط3، 1984.

168. الشعر والمجتمع، مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان المربد الثالث، 1974، منشورات وزارة الإعلام العراقیة، 1974.

169. الصحاح، المسمی تاج اللغة وصحاح العربیة، الجوهری (أبو نصر إسماعیل بن حماد ت 398هـ)، بعنایة مکتبة التحقیق بدار إحیاء التراث العربی، بیروت، ط4، 2005.

170. الصراع بین القدیم والجدید فی الشعر العربی، د. محمد حسین الأعرجی، المرکز العربی للثقافة والعلوم، بیروت . د. ت.

171. الصواعق المحرقة علی أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهیثمی (أبو العباس أحمد بن محمد بن علی ت 973هـ) تحقیق:عبد الرحمن بن عبد الله الترکی وکامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بیروت، ط1، 1997.

172. الصورة السمعیة فی الشعر العربی الجاهلی، صاحب خلیل إبراهیم، من منشورات اتحاد الکتاب العرب، دمشق، 2000.

173. الصورة فی الشعر العربی حتی آخر القرن الثانی الهجری، دراسة فی أصولها وتطورها، د. علی البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزیع، ط2، 1981.

174. ضباب الحرمان، مجموعة شعریة، خضر عباس الصالحی، مطبعة المعارف بغداد، ط1، 1962.

175. طبقات الشعراء، ابن المعتز (عبد الله بن المعتز بن المتوکل الخلیفة العباسی ت 296ه_)، تحقیق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط3، 1976.

176. الطبقات الکبری؛ المسماة بلواقح الأنوار فی طبقات الأخیار، الشعرانی (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علی الأنصاری الشافعی المصری المعروف بالشعرانی ت 973ه_)، ضبطه وصححه خلیل المنصور، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط1، 1997.

177. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام (ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبدالله الجمحی ت 231ه_) تحقیق محمود محمد شاکر، دار المدنی، جدة، د. ت.

178. الطراز الأنفس فی شعر الأخرس، (دیوان شعر عبد الغفار الأخرس)، نشره احمد عزت الفاروقی، اسانبول، مطبعة الشرکة المرتبیة، 1304ه_.

179. الطلیعة من شعراء الشیعة، محمد السماوی، تحقیق کامل سلمان الجبوری، دار المؤرخ العربی، بیروت، ط1، 2001.

180. الظواهر الفنیة فی قصیدة الحرب، د. أحمد مطلوب و آخرون، إعداد عائد خصباک، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد، ط1، 1991.

181. عجائب الملکوت، عبد الله بن محمد بن عباس الزاهد، مؤسسة ذوی القربی، إیران، ط2، 1427ه_.

182. العراق من الاحتلال حتی الاستقلال، عبد الرحمن البزاز، مطبعة العانی، بغداد، ط3، 1967.

183. العقد الفرید، ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسی ت 328ه_)، تحقیق محمد سعید العریان، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1940.

184. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.

185. علم النفس الفنی، د. أبو طالب محمد سعید، مطابع التعلیم العالی، الموصل 1990.

186. علم النفس والأدب، د. سامی الدروبی، دار المعارف، مصر، 1971.

187. العمدة فی محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشیق (أبو علی الحسن عبد الحمید القیروانی ت456 هـ) ، تحقیق محمد محیی الدین عبد الحمید المکتبة التجاریة، مصر، ط3، 1963.

188. عناصر الإبداع الفنی فی شعر احمد مطر، کمال أحمد غنیم، منشورات ناظرین، إیران، ط1، 2004.

189. العین، الفراهیدی (أبو عبد الرحمن الخلیل بن أحمد الفراهیدی ت 175هـ)، تحقیق د. مهدی المخزومی، و د. إبراهیم السامرائی، مؤسسة الأعلمی، بیروت، ط1، 1988.

190. عیون أخبار الرضا، الشیخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی ت 381هـ) ، صححه وقدم له وعلق علیه حسین الأعلمی، منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بیروت، ط1، 1984.

191. فحولة الشعراء، الأصمعی (ابو سعید عبد الملک بن قریب ت 216هـ) تحقیق د. محمد عبد المنعم خفاجی، وطه محمد الزینی، المطبعة المنبریة بالأزهر، مصر، ط1، 1953 .

192. الفصول المهمة فی معرفة أحوال الأئمة علیهم السلام، ابن الصباغ (علی بن محمد بن أحمد المالکی ت 855هـ)، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بیروت، ط1، 1988.

193. فضاء البیت الشعری، عبد الجبار داود البصری، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد، 1996.

194. فن الرثاء، د. شوقی ضیف، (ضمن سلسلة فنون أدبیة) دار المعارف، القاهرة، 1955.

195. فنون التصویر البیانی، د. توفیق الفیل، مکتبة الاداب القاهرة، ط3، 1997.

196. فی الأدب العربی الحدیث، بحوث ومقالات نقدیة، د. یوسف عز الدین، الهیئة المصریة العامة للکتاب، 1973.

197. فی الشعر العربی الحدیث، د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد، ط1، 2002م.

198. فی النقد الأدبی الحدیث،منطلقات وتطبیقات، د. فائق مصطفی و د. عبد الرضا علی، دار الکتب للطباعة والنشر، الموصل، ط2، منقحة ومزیدة 2000.

199. فی النقد الإسلامی المعاصر، د. عماد الدین خلیل، مؤسسة الرسالة بیروت، ط1، 1972.

200. فی نقد الشعر، د. محمود الربیعی، دار المعارف، مصر، ط4، 1977.

201. قضایا الشعر المعاصر، نازک الملائکة، مکتبة نهضة بغداد، بغداد، ط2، 1965.

202. الکامل فی التاریخ، ابن الأثیر (عز الدین أبو الحسن علی بن أبی الکرم محمد بن محمد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشیبانی ت 630هـ)، دار صادر ودار بیروت، بیروت، 1965.

203. کتاب البدیع، ابن المعتز (عبد الله بن المتوکل بن المعتصم بن هارون الرشید ت 296هـ)، اعتنی بنشره وتعلیق المقدمة والفهارس اغناطیوس کراتشکوفسکی، مکتبة المثنی، بغداد، ط2 1979.

204. کتاب الصناعتین الکتابة والشعر، العسکری (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت 395هـ)، تحقیق، د. مفید قمیحة، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط2، 1989.

205. کتاب الفتوح، ابن أعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الکوفی ت نحو 314هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانیة، حیدر آباد الدکن، الهند، ط1، 1972، تحت مراقبة د. محمد عبد المعید خان مدیر دائرة المعارف العثمانیة.

206. کتاب معجم البلدان، یاقوت الحموی (شهاب الدین أبو عبد الله یاقوت بن عبد الله الحموی الرومی البغدادی ت 626هـ)، تصحیح وترتیب واستدراک محمد أمین الخانجی، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1906.

207. كل ما فی الكون يبكی الحسين، نزيه قميحا، دار الهدی، بيروت، ط2، 2002.

208. كنز العمال فی سـنن الأقوال والأفعال، المتقی الهنـدی (علاء الدين علی المتقی بن حسام الدين الهندی 975 هـ)، تحقيق محمود عمر الدمياطی، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004.

209. الكوكب الدری من شـعراء الغری، أو الشـعر النجفی المصـفی فی مدح بيت آل المصـطفی عليهم السلام، علی الخاقانی، اعتنی به وهذبه محسن عقيل دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 2001.

210. لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الـدين محمـد بن مكرم الأنصاری ت 711هـ)، تحقيق عبد علی الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلی، دار المعارف مصر، د. ت.

211. لغة الشعر بين جيلين، د. إبراهيم السامرائی، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1980.

212. لغة الشـعر الحديث فی العراق بين مطلع القرن العشـرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادی، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد 1985.

213. لغة الشعر العراقی المعاصر، عمران خضير حميد الكبيسی ، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982.

214. ليلية عاشوراء فی الحديث والأدب، عبد الله الحسن، إيران، ط1، 1418هـ.

215. مجالی اللطف بأرض الطف (منظومة شعرية)، الشيخ محمد طاهر السماوی، مطبعة الغری، النجف، ط1، 1941.

216. مختار الأغانی فی الأخبار والتهانی، اختيار ابن منظور(ابو الفضل جمال الـدين محمد بن مكرم الانصاری ت 711هـ)، تحقيق عبد الحليم الطحاوی، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.

217. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن

مكرم الانصارى ت711هـ)، تحقيق أحمـد راتب حموش، ومحمد ناجى العمر، مراجعة رياض عبد الحميد مراد، دار الفكر، سوريا، ط1، 1985.

218. المختصر فى أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت 732هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط1 ، د. ت.

219. المراثى الشعرية فى عصر صدر الإسلام، مقبول على بشير النعمة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997.

220. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب، مطبعة البابى الحلبى وأولاده، مصر، ط1، 1955.

221. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسـعودى (أبو الحسن على بن الحسـين بن على ت 346هـ)،دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 2004.

222. مستدرک شعراء الغرى، كاظم عبود الفتلاوى، دار الأضواء، بيروت، ط1، 2002.

223. مشكلة الإبداع الفنى، رؤية جديدة، د. على عبد المعطى محمد، دار الجامعات المصرية، د. ت.

224. مشكلة الفن، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1976.

225. مصـطفى جمال الـدين؛ جهوده وظواهر لغويـة فى شـعره، تحسـين فاضل المشـهدى، المكتبة الادبية المتخصـصة، النجف، ط1، 2006.

226. معجم رجال الفكر والأدب فى كربلاء، سلمان هادى آل طعمة، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999.

227. معجم رجال الفكر والأدب فى النجف خلال ألف عام، محمد هادى الأمينى مطبعة الآداب النجف، ط1، 1964.

228. معجم الشعراء، المرزبانى (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ت384هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، البابى الحلبى، مصر، 1960.

229. معجم شعراء الحسين، جعفر الهلالى، تقديم عبد الهادى الفضلى مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر بيروت، ط1، 2004.

230. معجم الشعراء العراقيين المتوفين فی العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع، جعفر صادق حمودی التميمی، شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، بغداد، ط1، 1991.

231. معجم الشعراء من العصر الجاهلی حتی سنة 2002، كامل سلمان الجبوری، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.

232. المعجم الفلسفی، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية و اللاتينية، د. جميل صليبا، نشر مؤسسة ذوی القربی، إيران ، ط1، 1385ه_.

233. المعجم الكبير، الطبرانی (الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانی ت 360ه_)، تحقيق حمدی عبد المجيد السلفی، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية، مطبعة الزهراء، الموصل، ط2، 1984.

234. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمی العراقی، بغداد، 1983.

235. المعجم المفصل فی اللغة والأدب، د. أميل بديع يعقوب، وميشال عاصی دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.

236. معجم النقد العربی القديم، د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1، 1989.

237. مع النبی وآله، (ديوان شعر)، السيد محمد جمال الهاشمی مطبعة بهرز، إيران، ط1، 1985.

238. معين الحاج معين (ديوان شعر معين السباک النجفی)، مكتبة الحكيم العامة، النجف، د. ت.

239. مفتاح العلوم، السكاكی (ابو يعقوب يوسف بن ابی بكر محمد بن علی ت 626ه_)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

240. المفضليات، اختيار المفضل الضبی (محمد بن يعلی بن عامر ت 168ه_) تحقيق، د. قصی الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988.

241. مفهوم الشعر، دراسة فی التراث النقدی، د. جابر عصفور، دار التنویر للطباعة والنشر، بیروت، ط2، 1982.

242. مقاتل الطالبیین، الأصفهانی (ابو الفرج علی بن الحسین ت 356هـ)، شرح وتحقیق أحمد صقر، إیران، ط1، 1425هـ.

243. مقالات فی الشعر الجاهلی، یوسف الیوسف، دار الحقائق مع دیوان المطبوعات الجامعیة فی الجزائر، ط3، 1983.

244. مقدمة القصیدة العربیة فی الشعر الاندلسی، دراسة موضوعیة فنیة، د. هدی شوکت بهنام، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد ط1، 2000.

245. مقدمة القصیدة العربیة فی الشعر الجاهلی، د. حسین عطوان، دار المعارف، مصر، د. ت.

246. مقطعات مراث، ابن الأعرابی (ت 231هـ)، روایة ثعلب (ت 291هـ)، تحقیق محمد حسین الأعرجی، منشورات مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، 1994.

247. الملحمة الکبری لواقعة کربلاء المسماة بالمقبولة الحسینیة (منظومة شعریة)، الشیخ هادی کاشف الغطاء، تحقیق السید جعفر باقر الحسینی، منشورات أنوار الهدی للطباعة والنشر، قم، ط1، 1416هـ.

248. من شعرائنا المنسیین، عبد الله الجبوری، دار الجمهوریة، بغداد، 1966.

249. من الوجهة النفسیة فی دراسة الأدب ونقده، د. محمد خلف الله أحمد المطبعة العالمیة، القاهرة، ط2، 1970.

250. من وحی الحسین (دیوان شعر)، طالب الحیدری، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1952.

251. من وحی الزمن (دیوان شعر)، عباس الملا علی، دار الحریة للطباعة بغداد، ط2، 1986.

252. مناهج الدراسة الأدبیة فی الأدب العربی، د. شکری فیصل، دار العلم للملایین بیروت، ط5، 1982.

253. المنتظم فی تواریخ الملوک والأمم، ابن الجوزی (جمال الدین أبو الفرج عبد

الرحمن بن على ت 597ه_)، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.

254. منتقى الدرر فى النبى و آله الغرر، (ديوان شعر)، الشيخ كاظم سبتى السهلانى، المطبعة العلمية، النجف، 1372ه_.

255. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنى (ت 684ه_)، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1966.

256. موسوعة أعلام العراق فى القرن العشرين، حميد المطبعى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ج1، ط1، 1995، ج2، ط1، 1996، ج3، ط1، 1998.

257. موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، مراجعة عبد الله عبد الدايم مطابع الشروق، بيروت، ط1، 1977.

258. موسيقى الشعر، د إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ط3، 1965.

259. موسيقى الشعر العربى، مشروع دراسة علمية، د. شكرى محمد عياد ، دار المعرفة، القاهرة، 1968.

260. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، العلوى (محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى ت 1350ه_)، مطبعة النجاح، بغداد، ط2، 1948.

261. نقد الشعر، قدامة (ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامةبن زياد البغدادى ت327ه_)، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

262. نقد الشعر فى المنظور النفسى، د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989 .

263. نوافذ الوجدان الثلاث، دراسة نفسية فى شعرية الخطاب الأدبى، د. سعيد يعقوب، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

264. نوح وتغريد، المجموعة الأولى من شعر البدراوى، عبد الصاحب شكر البدراوى، مطبعة المعارف، بغداد، 1952.

265. نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار، الشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن

الشبلنجی، خرج أحادیثه ووضع حواشیه الشیخ عبد الوارث محمد علی، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط1، 1997.

266. وحدة القصیدة العربیة فی الشعر العربی حتی نهایة العصر العباسی،د. حیاة جاسم، دار الحریة للطباعة، بغداد، 1972.

267. وظیفة الأدب بین الالتزام الفنی والانفصام الجمالی، د. محمد النویهی، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1967،1966.

268. ویکون التجاوز، دراسات نقدیة معاصرة فی الشعر العراقی الحدیث، محمد الجزائری، منشورات وزارة الإعلام، الجمهوریة العراقیة، دار الحریة للطباعة، بغداد، 1974.

269. ینابیع المودة لذوی القربی، الشیخ سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی (ت 1294هـ)، تحقیق سید علی جمال أشرف، دار الأسوة للطباعة والنشر، إیران، ط2، 1422.

270. یوم الحسین، مجموعة القصائد والخطب التی ألقیت بمناسبة ذکری الإمام الحسین (علیه السلام)، للسنوات 19471950 مؤسسة دار السلام، لندن، ط2، 1999.

رابعاً: الرسائل الجامعیة

1. التکرار اللفظی أنواعه ودلالاته قدیما وحدیثا، صمیم کریم الیاس، رسالة ماجستیر، کلیة التربیة، جامعة بغداد، 1988.

2. الحسین رمزا فی الشعر العراقی المعاصر، 1947 2000 عبد الحسین شهیب أحمد الحسانی، رسالة ماجستیر کلیة الاداب، جامعة القادسیة، 2006.

3. رثاء الإمام الحسین فی العصر العباسی، دراسة فنیة، أحمد کریم علوان، رسالة ماجستیر، کلیة الآداب، جامعة الکوفة، 2008.

4. شعر رثاء الإمام الحسین (علیه السلام) فی العراق ابتداء من سنة 1100هـ وحتی

1350 هـ، دراسة فنية، خالد كاظم حميدى الحميداوى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2007.

5. فن الرثاء فى شعر الجواهرى، سلمان صبار بانى الصالحى، رسالة ماجستير، كلية الاداب،جامعة الكوفة، 1996.

6. القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية فى وصايا عصر ما قبل الإسلام الشعرية والنثرية، سهام حسين جواد السامرائى، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، 2002.

7. القيم الإسلامية فى الشعر العراقى الحديث 1945 1980، رائد فؤاد طالب الردينى، رسالة ماجستير، كلية الاداب ، جامعة بغداد، 2002.

8. كربلاء فى الشعر العراقى الحديث من 1920 1970 دراسة موضوعية وفنية، عبد الحسين برغش عبد على، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، 2005.

9. لغة شعر ديوان الهذليين، على كاظم محمد على المصلاوى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1999.

10. مراثى الإمام الحسين (عليه السلام) فى العصر الأموى، دراسة فنية، مجبل عزيز جاسم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2005.

خامساً: المجلات

1. مجلة بابل للعلوم الإنسانية، العدد 10، 2007، الموضوع (طفيات الشريف الرضى، دراسة فى البناء الهيكلى والموضوعى)، د. على كاظم المصلاوى، ص 8، 38.

2. مجلة البيان، مجلة أسبوعية، أدبية، اجتماعية، جامعة، تصدر مرتين فى الشهر مؤقتا، رئيس تحريرها ومديرها المسؤول على الخاقانى، النجف، العدد (11، 12، 13، 14) السنة الأولى، 14 ك2، 1947 عدد خاص بالإمام الحسين (عليه السلام) والعدد 57، 58 السنة الثالثة فى 22، ك1، 1948، عدد خاص بالإمام الحسين (عليه السلام).

3. مجلة جامعة كربلاء، المجلد الخامس، العدد الرابع، إنسانى، ک1، 2007م الموضوع (طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى دراسة موضوعية تحليلية)، د. على كاظم المصلاوى.

4. مجلة الغرى، مجلة علمية، أدبية، فلسفية، فنية، اقتصادية، اجتماعية، عامة، صاحبها ورئيس تحريرها شيخ العرافين آل كاشف الغطاء، تصدر فى النجف، العدد 6 فى 30 ک1 1945، السنة السادسة عدد خاص بالإمام الحسين (عليه السلام) والعدد (9، 10) السنة العاشرة فى 21 ک1 1948، عدد خاص بالإمام الحسين (عليه السلام).

5. مجلة الموسم، مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث، صاحبها ورئيس تحريرها محمد سعيد الطريحى، تصدر عن المركز الوثائقى لتراث أهل البيت عليهم السلام فى أكاديمية الكوفة، هولندا، العدد 12، 1991، عدد خاص بالإمام الحسين (عليه السلام)، والعدد 13، 1992عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام.

المحتويات

الإهداء. 6

المقدمة. 9

التمهيد. 13

أولاً: الرثاء فى اللغة والاصطلاح.. 15

الرثاء فى اللغة. 15

الرثاء فى الاصطلاح.. 16

ثانياً: رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لمحة تاريخية. 19

الباب الأوَّل

الدراسة الموضوعية

الفصل الأول: مراثى الإمام الحسين عليه السلام الاتجاهات العامة والمحاور الموضوعية 37

أولاً: الاتجاهات العامة. 39

توطئة. 39

ص: 270

الاتجاه التقليدى.. 45

الاتجاه التجديدى.. 53

ثانياً: المحاور الموضوعية. 65

الفصل الثانى: مراثى الإمام الحسين عليه السلام الوظائف والأداء 75

توطئة. 77

أولاً: الوظيفة النفسية. 79

ثانياً: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية. 91

ثالثاً: الوظيفة السياسية. 109

الباب الثانى

الدراسة الفنيَّة

الفصل الأول: البناء الهيكلى.. 129

توطئة. 131

العنوان والتأريخ.. 133

مقدمات المراثى.. 136

الخاتمة. 151

مقدمات طفيَّة. 154

مراثٍ من دون مقدمات... 160

الفصل الثانى: اللغة الشعرية. 165

ص: 271

لغة الشعر. 167

أولاً: الألفاظ.. 168

الصياغة. 178

أساليب التصوير الفنى.. 186

التصوير الحسى.. 186

التصوير الذهنى المجرَّد. 191

الأسلوب التقريرى فى بناء الصورة. 194

الإيقاع. 199

الوزن. 200

القافية. 205

التكرار. 211

عناصر إيقاعية أخرى.. 214

الخاتمة. 217

الملحق.. 223

المصادر والمراجع. 243

أولاً: القرآن الكريم.. 243

ثانياً: المخطوطات... 243

ثالثاً: الكتب المطبوعة. 243

رابعاً: الرسائل الجامعية. 266

خامساً: المجلات... 267

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹